



المملكة العربية السعودية
وزارة الثقافة
إمارة المدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين

الجمعية العلمية السعودية

مَجَلَّة

الدِّرَاسَاتِ الْعَقَدِيَّةِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مَحْكَمَةٌ مَتَخَصِّصَةٌ

عدد خاص بمناسبة

اختيار المدينة المنورة عاصمة الثقافة الإسلامية

لعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

العدد ١٠ - السنة الخامسة - رجب ١٤٣٤هـ

جميع حقوق
الطبع محفوظة
لمجلة الدراسات العقدية

ردمك × ٥١٦-١٦٥٨
رقم الإيداع ٧٦١٧/١٤٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم:

مدير التحرير (ص.ب ١٠٠٤٠)

المدينة المنورة

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الإلكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقديّة

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- ١ - أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ٢ - أن تكون خاصة بالمجلة.
- ٣ - أن تكون أصيلة من حيث الجِدَّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ٤ - أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.
- ٥ - أن تكون في مجال تخصص الجمعية.
- ٦ - أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).
- ٧ - أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.
- ٨ - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، وهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.
- ٩ - أن تصدّر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.
- ١٠ - أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبين عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.
- ١١ - أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

ج- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ أَلْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢ سم × ٢٠ سم = (إعداد الصفحة:

٥ أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢ غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢ أسود

العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها

نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحته +١٥ مستلة

منه.

مجلة الدّراساتِ العَقديّة

هَيئةُ التّحرير

رئيس التحرير: أ. د. محمود بن عبد الرحمن قذح.

مدير التحرير: د. سليمان بن سالم السحيمي.

الأعضاء :

أ. د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي.

د. محمد با كريم محمد با عبد الله.

د. سامي بن علي القليطي.

د. منصور بن عبد العزيز الحجيلي.

سكرتير التحرير:

د. علي مهاما ساموه

المواد المنشورة

في المجلة

تعبير عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة
● عقيدة الإمام مالك (إمام دار الهجرة):	
إعداد: الدكتور سعود بن عبد العزيز الدعجان.....	١١
● الاحتساب على المخالفات الشرعية لبعض زوار الحجرة النبوية:	
إعداد: الدكتور خالد بن سعد الزهراني	١٢٧
● مسائل الاستشفاء المتعلقة بالمدينة المنورة (بين المشروع والممنوع):	
إعداد: الدكتور سليمان بن صفية	٢٤٣
● من أشرط الساعة المتعلقة بالمدينة المنورة:	
إعداد: الدكتور مها عبد الرحمن أحمد نتو	٣١١
● جهود الملك عبد العزيز في محاربة البدع:	
إعداد: الدكتور فوزية بنت عبد العزيز الشائع	٣٦٥

عقيدة الإمام مالك

(إمام دار الهجرة)

إعداد الدكتور:

سعود بن عبدالعزيز الدعجان

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

في الجامعة الإسلامية

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد:

فإن المدينة النبوية مدينة رسول الله ﷺ هي المدينة التي انطلقت منها الدعوة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليها؛ ولذلك سميت دار الهجرة، وانطلقت منها الدعوة إلى الإسلام وإلى العقيدة الصحيحة التي هي أساس هذا الدين، وكان فيها الأنصار الذين نصرُوا رسول الله ﷺ في دعوته إلى هذه العقيدة ثم التابعين ثم أتباع التابعين، وكان من هؤلاء الأئمة الذين حملوا العلم ونشروا الإسلام والعقيدة الصحيحة، ولا يزالون يشكلون المثل الأعلى علمياً وسلوكاً في المدينة النبوية (دار الهجرة) الإمام مالك بن أنس - رحمه الله -، ونظراً لما لهذا الإمام من مكانة ورفعة في المدينة النبوية سمي إمام دار الهجرة، وقد استحق هذا اللقب؛ لأنه كان من العلماء الذين هياهم للدعوة إلى الإسلام ونشر العلم، وبيان العقيدة الصحيحة، والدعوة إليها، والدفاع عن هذا الدين، وإظهار السنة، وقمع البدعة والرد على أهل البدع والضلال، حتى كان علماً على اتباع السنة وذم البدعة، حتى قال الإمام أحمد: إذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع. وقال ابن مهدي: إذا رأيت الحجازي يحب مالكا فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت أحداً يتناوله فاعلم أنه في خلاف.

لذلك كان من المناسب الكتابة عن هذا الإمام وعقيدته التي كان عليها، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

حياة الإمام مالك

○ أولاً: سيرته الشخصية ○

١- اسمه ونسبه وكنيته:

هو إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو بن الحارث الأصبحي - بفتح الألف، وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء المنقوطة بنقطة، في آخرها حاء مهملة - هذه النسبة إلى أصبح قبيلة من حمير، وحمير من قحطان^(١).

٢- ولادته:

ولد في المدينة النبوية، واختلف في تاريخ ولادته اختلافاً كثيراً، والاختلافات تدور ما بين سنة ٩٠هـ وسنة ٩٧هـ. وقد رجح القاضي عياض أن ولادته كانت سنة ٩٣هـ. حيث قال:

(والأشهر فيما روي من ذلك قول يحيى بن بكير أن مولده سنة ثلاث وتسعين من الهجرة)، وصحح هذا القول الذهبي في السير بقوله: (مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ)^(٢).

(١) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/١٠٢)، والسير للذهبي (٨/٤٨)، والأنساب للسمعاني (١/٢٨٧)، والانتقاء لابن عبد البر (ص ٩-١١)، والتمهيد له (١/٨٩-٩٠)، ومناقب مالك للزواوي (ص ١٦٠-١٦٢)، وإتحاف السالك لابن ناصر الدين الدمشقي (ق: ٦/ب)، وتزيين الممالك للسيوطي (ص ٢-٤).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (١/١١٠)، والسير للذهبي (٨/٤٩)، والتمهيد (١/٨٧)، والانتقاء (ص ١٠)، ومناقب مالك للزواوي (ص ١٥٩)، وإتحاف السالك (ق: ٨/أ)، وتزيين الممالك للسيوطي (٦/ب-٧/م).

٣- أسرته التي نشأ فيها:

نشأ الإمام مالك في بيت اشتغل بعلم الحديث والأثر، وتربى بين أسرة فاضلة اشتهرت بالعمل، وتوضيح ذلك وبيانه كما يلي:

(١) أبوه:

أنس بن مالك من تابع التابعين، أحد رواة الحديث، وقد روى عنه ولده مالك، وكذلك روى عنه ابن شهاب شيخ مالك^(١).

(٢) جده والد أبيه:

مالك، وكنيته أبو أنس، وهو من كبار التابعين، روى عن عمر وطلحة وعائشة وأبي هريرة وحسان بن ثابت - رضي الله عنهم أجمعين -. وكان من أفاضل الناس وعلماهم^(٢).

(٣) جد أبيه:

أبو عامر بن عمرو، صحابي جليل من أصحاب رسول الله ﷺ، وشهد المغازي كلها مع رسول الله ﷺ، ما عدا بدرًا^(٣).

(٤) أعمامه:

نافع أبو سهيل، وأويس، والربيع، وقد روى أربعتهم - أي: أعمامه الثلاثة وأبوه أنس - عن أبيهم مالك ابن أبي عامر، وقد أخرج البخاري

(١) إتحاف السالك (ق: ٦/ب-٧/م).

(٢) ترتيب المدارك (١/١٠٧)، وإتحاف السالك (ق: ٧/أ).

(٣) ترتيب المدارك (١/١٠٧)، الإصابة لابن حجر (٧/٢٩٨).

ومسلم وغيرهما عن مالك بن أبي عامر وأبي سهيل - ابنه - كثيراً^(١).

(٥) أخوه النضر بن أنس:

كان مقبلاً على العلم، ملازمًا للفقهاء، متلقياً عنهم، معروفًا لديهم، حتى إن مالكا كان يعرف بأخيه النضر، وذلك قبل أن يشتهر باسمه، فلما اشتهر مالك صار يقال: النضر أخو مالك^(٢).

(٦) أمه:

واسمها العالية - وقيل: عالية - بنت شريك بن عبد الرحمن الأزدي، وكانت امرأة فاضلة، وكان لها دور في توجيه ابنها لطلب العلم، كما سيأتي في طلب العلم^(٣).

وقد كان لهذه الأسرة أكبر الأثر في علم مالك واشتهاره، كما أن هذا الأثر امتد إلى بعض أولاد الإمام مالك، وعدد أولاده أربعة:

١ - يحيى ٢ - محمد ٣ - حمادة ٤ - أم البهاء واسمها فاطمة.

وقد ذكر أن يحيى وفاطمة كانا يحفظان الموطأ.

قال ابن شعبان: (ويحيى بن مالك يروي عن أبيه نسخة، وذكر أنه

(١) ترتيب المدارك (١/١٠٨).

(٢) ترتيب المدارك (١/١٠٨-١٠٩، ١١٩)، السير للذهبي (٨/٤٩)، والإمام مالك بن أنس لمصطفى الشكعة (ص ٥-٦).

(٣) ترتيب المدارك (١/١٠٧)، التمهيد (١/٩١)، السير (٨/٤٩)، مناقب مالك للزواوي (ص ١٦٢)، إتحاف السالك (ق: ٧/ب).

روى الموطأ عنه باليمن^(١).

○ ثانيًا: سيرته العلمية ○

أ- طلبه للعلم وحرصه وصبره عليه:

بدأ الإمام مالك يطلب العلم منذ صغره، وحرص عليه، وتفرغ له، وأكثر ملازمة العلماء. قال الزبيري:

(رأيت مالكا في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف)^(٢). وهذا يدل على ملازمته طلب العلم منذ صغره^(٣).

وقد كان للأسرة التي نشأ فيها أثر في حبه للعلم والسعي إلى طلبه، وكان لأمه في حسن توجيهها وإرشادها له أثر في ذلك، قال مطرف: (قال مالك: قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فأكتب الآن).

وقال رحمه الله: (كانت أمي تعممني، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه)^(٤).

(١) ترتيب المدارك (١/١٠٩)، التمهيد (١/٨٧-٨٨)، وقد ترجم ليحيى وفاطمة ابن ناصر الدمشقي في إتحاف السالك (ق: ٣٥/ب) و(ق: ٥٠/ب).

(٢) الشنف: ما يعلق في أعلى الأذن. انظر غريب الحديث لابن الأثير (٢/٥٠٥)، القاموس المحيط (٣/١٦٥).

(٣) ترتيب المدارك (١/١٢١).

(٤) المصدر السابق (١/١١٩).

وبلغ من صبره على العلم وتحمله المشقة في ذلك أنه قال: (كنت آتي نافعًا نصف النهار وما تظلني الشجرة من الشمس إلى خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده، ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه، حتى إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني، ثم أجلس عنه وكان فيه حدة، وكنت آتي ابن هرمل بكرةً، فما أخرج من بيته حتى الليل)^(١).

وقال رحمه الله: (جالست ابن هرمل ثلاث عشرة، كنا نجلس في صحن مسجد النبي ﷺ حتى اتخذت سراويل محشواً)^(٢).

وقد بلغ من حرصه على الانتفاع وعدم تضييع الوقت أنه كان يسعى في طلب العلم حتى في أيام العيد التي يستريح الناس فيها. قال مالك: (شهدت العيد، فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابي، فسمعتة يقول لجاريتته: انظري من على الباب، فنظرت، فسمعتها تقول: مولاي الأشقر مالك، قال: أدخله، فدخلت، فقال: ما أراك بعد انصرفت إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئاً؟ قلت لا، قال: فاطعم قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدثني، فحدثني سبعة عشر حديثاً)^(٣).

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٢٠-١٢١)، تزيين الممالك (ص ٧).

(٢) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل

(١/ ٢٨)، ونقله الذهبي في تاريخه الكبير (٨/ ١٥٩).

(٣) ترتيب المدارك (١/ ١٢١).

وكان يحمل معه خيطاً، وكلما سمع حديثاً من الشيخ، عقد عقدة؛ ليستعين بذلك على الحفظ.

وكان يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد، فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوي مع الناس، قال: يا بنية! إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ^(١).

ب- عصره:

وكما كان للأسرة أثر في تعلم مالك، كان لوجوده في مدينة الرسول ﷺ أثر أعظم، فقد كانت المدينة في زمنه تزخر بالعلماء من التابعين الأخيار، وكانت مدرستها مسجد رسول الله ﷺ في أرجائه تنتشر - حلقات دروس العلم، ويجلس على رأس كل حلقة أحد العلماء المرموقين من أمثال ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وابن هرمز، ونافع، وابن شهاب الزهري... وغيرهم.

وكان العهد لعصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين وصحابته الأخيار غير بعيد، ومن ثم فالفتاوى باقية في الصدور، والأحاديث النبوية محفوظة في القلوب، ومروية على الألسنة، وفقه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وسعيد بن المسيب، وما سجلوا من مسائل، أو استنبطوا من أحكام لا تزال تروى في الحلقات جيلاً بعد جيل، كل ذلك فضلاً عن ثقة المسلمين بساكني دار الهجرة الذين تعلموا على آثار مدرسة النبوة، وورثوا شمائل الصحابة رضي الله عنهم، وتداولوا أحكام الفقهاء، وعلم التابعين الأولين، كل ذلك مما ساعد على تحصيل مالك العلمي، وإمامته في ذلك^(٢).

(١) ترتيب المدارك (١/١١٩).

(٢) انظر: مالك بن أنس لمصطفى الشكعة (٨-٩).

ج- رحلاته:

ويلاحظ في سيرته في طلب العلم أنه لا يوجد ذكر لرحلات قام بها إلى خارج الحجاز، ولم أقف على كلام لأحد من المتقدمين الذين ترجموا له أنه ذكر أنه رحل في طلب العلم.

وأما الذين ترجموا للإمام مالك من المتأخرين المعاصرين؛ فقد ذكر بعضهم أنه رحل في طلب العلم.

قال عبد الله أحمد السيد في ترجمته للإمام مالك: (وقد ارتوى من علم المدينة وفقهها، فحدثته نفسه برحلة إلى ما وراء الحجاز، فسافر إلى البصرة وخراسان والشام، وذهب إلى مكة في موسم الحج، ولكن حنَّ إلى المدينة فعاد إليها ولزمها، ولم يغادرها بعد أن علم أن رسول الله ﷺ قال: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»^(١)).

ولكن أمين الخولي الذي كتب دراسة موسعة عن الإمام مالك، ذكر أنه لم يعثر على خبر رحلة للإمام خارج الحجاز؛ حيث يقول:

(لم أعر على خبر رحلة له إلى خارج الحجاز أيام طلبه للعلم، ولا بعد هذا العهد...)، ثم ذكر ما يؤيد عدم خروجه من الحجاز؛ حيث يقول: (ومالك على كل حال قد رفض عرض خلفاء العباسيين عليه أكثر من مرة أن يسافر معهم إلى بغداد، إذ كان من خطتهم أن يحملوا من علماء الحجاز من يستقضونه بالعراق، أو يستنزلونه هناك، استظهاراً بهم، وتأيداً لمركزهم

(١) انظر: الإمام مالك لعبد الله أحمد السيد (ص ٣٤)، والحديث رواه البخاري (الفتح ٩٠/٤)،

السياسي، وقد حدثتنا الرواية أنه في مذاكرة وكلام بين المنصور ومالك، كان مما قال المنصور له: ... ولكن إن أردت ما عندنا؛ فاذهب معي إلى مدينة السلام، فلا أقدم أحداً عليك أو نحو هذا، فقال له مالك: إن تكن عزيمة من أمير المؤمنين؛ فلا سبيل إلى مخالفته، وإن تكن غير ذلك؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

فقال له المنصور: فلا أحمل عليك شيئاً تكرهه...، ثم ذكر أن مثل هذا العرض تكرر مع المهدي والرشيد. اهـ^(١).

وإن من أوسع من ترجم للإمام مالك من المتقدمين، واستفاد ممن سبقه في ترجمة مالك القاضي عياض في ترتيب المدارك، ومع ذلك لم يذكر شيئاً عن رحلاته في طلب العلم.

○ ثالثاً: صفاته ○

كان الإمام مالك رحمه الله قدوة في الأدب، والسمت، وحسن المعاملة، ورجاحة العقل، حتى قيل: إن شمائله شمائل الصحابة والتابعين.

قال يحيى بن يحيى التميمي: «أقمت عند مالك سنة بعد كمال سماعي منه سنة أتعلم هيئته وشمائله؛ فإنها شمائل الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين-».

حتى إن بعض العلماء لقبه العاقل، وعلى أنه أعقل أهل زمانه.

وكان ربيعة يقول إذا جاء مالك: «جاء العاقل».

(١) انظر: مالك بن أنس لأمين الخولي (١٠٤-١٠٦).

وقال ابن مهدي: «لقيت أربعة: مالكا وسفيان وشعبة وابن المبارك، فكان مالك أشدهم عقلاً».

وقال: «ما رأيت عيناى أحداً أهيب من هيبه مالك، ولا أتم عقلاً، ولا أشد تقوى... من مالك».

وقال أحمد بن حنبل: قال مالك: «ما جالست سفيهاً قط».

وهذا أمر لم يسلم منه غيره، وليس في فضائل العلماء أجل من هذا^(١).

وقال زياد بن يونس: كان والله مالك من أعظم الخلق مروءة، وأكثرهم صمتاً، وكان على سعة في الرزق والملبس والمطعم، وقال الذهبي: قد كان هذا الإمام من الكبراء السعداء، والسادة العلماء، ذا حشمة، وتجميل، وعبيد، ودار فاخرة، ورفعة في الدنيا والآخرة، كان يقبل الهدية، ويأكل طيباً، ويعمل صالحاً، وما أحسن قول ابن المبارك فيه:

صموت إذا ما الصمت زين أهله وفتاق أبكار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل وسيطت له الآداب باللحم والدم

قال الزيري: كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد، والخرسانية، والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه، وخاصة أهل العلم^(٢).

(١) انظر: ترتيب المدارك (١/١١٦-١١٧، ١٤٠-١٤١)، ومناقب مالك للزواوي (ص ١٥٧).

(٢) انظر: ترتيب المدارك (١/١١٤)، ومناقب مالك للزواوي (ص ١٥٥)، السير (٨/١٣٣).

(٣) ترتيب المدارك (١/١١٤).

وكان رحمه الله كثير العبادة والصلاة، كثير العمل في السر^(١).

قال ابن الماجشون: والله ما علمناه إلا بصلاح وعفاف^(٢).

وقال ابن وهب: قيل لأخت مالك بن أنس: ما كان شغل مالك بن أنس في بيته؟ قالت: المصحف والتلاوة^(٣).

وقال سعيد بن الجهم: كان مالك إذا صلى الصبح جلس في مجلسه لا يتكلم، ولا يكلم أحداً حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت اتصل إلى حلقتة^(٤).

وقال ابن المبارك: رأيت مالكا فرأيت من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول:

من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه، وينجو من غمرات الموت، وأهوال يوم القيامة؛ فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية، وروي نحوه عن مطرف^(٥).

وقال أبو بكر الأويسي: كان مالك كثير القراءة، طويل البكاء^(٦).

وقالوا: كان أحسن الناس خلقاً مع أهله وولده، ويقول: في ذلك

(١) المصدر السابق (٢/١٨٢).

(٢) الجرح والتعديل (١/٢٥).

(٣) الجرح والتعديل (١/١٨) مناقب مالك للزاوي (ص١٣٨)، والسير (٨/١١١).

(٤) تزيين الممالك للسيوطي (ص١٥).

(٥) ترتيب المدارك (١/١٧٨).

(٦) المصدر السابق (١/١٨٠).

مرضاة لربك، ومثراة في مالك، ومنسأة في أجلك، وقد بلغني ذلك عن بعض أصحاب النبي ﷺ^(١).

○ رابعاً: ثناء العلماء عليه ○

بلغ الإمام مالك منزلة عظيمة في العلم، جعلت العلماء يثنون عليه كثيراً، وعلى موطنه، ويشيدون بفضله ومنزلته العلمية، ولقد نال من ذلك الثناء حظاً لم ينله كثير من العلماء قبله، وحسبه من تلك المكانة والمنزلة ما قيل بأنه المقصود بقوله ﷺ: «يوشك الناس أن يضر-بوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم في المدينة»^(٢).

قال سفيان بن عيينة: نرى أن المراد بهذا الحديث مالك بن أنس^(٣).

قال القاضي عياض: وهذا هو الصحيح عن سفيان؛ رواه عنه الثقات والأئمة: ابن مهدي، ويحيى بن معين، وعلي بن المدني، والزبير بن بكار، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وغيرهم، كلهم سمع سفيان يقول في تفسير الحديث إذا حدثهم به: (هو مالك، أو أظنه، أو أحسبه، أو أراه، وكانوا يرونه).

(١) ترتيب المدارك (١/١١٨)، مناقب مالك للزواوي (ص ١٥٥).

(٢) رواه أحمد (٢/٢٩٩)، والترمذي - وحسنه - (٥/٤٧ رقم ٢٦٨٠)، وابن حبان في صحيحه

(٢٠/٦)، والحاكم في المستدرک - وصححه ووافقه الذهبي - (١/٩١)، والبيهقي في السنن

الكبرى (١/٣٨٦)، قال الشيخ أحمد شاکر في تحقيق مسند الإمام أحمد: «إسناده صحيح»

(١٥/١٣٥-١٣٧ رقم ٧٩٦٧).

(٣) التمهيد (١/٨٤-٨٥)، السير (٨/٥٦-٥٧)، تزيين المالك (٥-٦).

قال ابن مهدي: يعني سفيان بقوله: «كانوا يرونه»: التابعين.

قال القاضي: ومثله عن ابن جريج وعبد الرزاق^(١).

وقد رجح ذلك ابن عبد البر^(٢).

كما رجحه أيضًا القاضي وقال: توجه احتجاجنا بهذا الحديث من أنه مالك من ثلاثة أوجه:

١ - تفسير السلف للحديث بأن المقصود مالك...

٢ - شهادة السلف الصالح لمالك بالعلم والفضل، وأنه عالم المدينة...

٣ - ما ذكره بعض الشيوخ من أن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها إلى عالم ولا رحلوا إليه من الآفاق رحلتهم إلى مالك^(٣).

قال الذهبي: قال أبو عبد الله الحاكم - وذكر سادة من أئمة التابعين بالمدينة، كابن المسيب ومن بعده -: فما ضربت أكباد الإبل من النواحي إلى أحدٍ منهم دون غيره حتى انقرضوا وخلا عصرهم، ثم ذكر شيوخ مالك المشهورين إلى أن قال: وكلهم يفتي بالمدينة، ولم ينفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر، فلم يقع بهم التأويل في عالم أهل المدينة، ثم حدث بعدهم مالك، فكان فقيهاً، فضربت إليه أكباد الإبل

(١) الانتقاء (ص ١٩، ٢٢)، وترتيب المدارك (١/ ٨٣)، ومناقب مالك للزواوي (ص ٨٧)، وإتحاف السالك (ق: ٩/ ب- ١٠/ أ).

(٢) في الانتقاء (ص ١٩).

(٣) ترتيب المدارك (١/ ٨٥-٨٦)، السير (٨/ ٦١).

من الآفاق، واعترفوا له، وروى الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنًا...^(١).
وقد بلغ من ثناء العلماء على الإمام مالك أنهم جعلوه مثلاً في السنة
والاتباع؛ قال أحمد ابن حنبل: إذا رأيت الرجل يبغض مالكًا؛ فاعلم أنه
مبتدع، وقال أبو داود: أخشى عليه البدعة.

وقال ابن مهدي: إذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس؛ فاعلم أنه
صاحب سنة، وإذا رأيت أحدًا يتناوله؛ فاعلم أنه من خلاف^(٢).

ومن أثنى عليه من العلماء: حماد بن زيد، وأيوب السختياني، وشعبة
بن الحجاج، والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، ومحمد بن الحسن الشيباني،
وسفيان الثوري، وهيب ابن خالد، ويحيى بن سعيد القطان، وأبو الأسود
(شيخ مالك)، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن
المديني، والأوزاعي، ومحمد بن الحكم، والبهلول بن راشد، ويعقوب بن
سفيان، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وابن أبي حاتم الرازي، وأبو داود
السجستاني، وغيرهم من العلماء^(٣).

وقد ذكر غير واحد من العلماء الإجماع على ذلك:

قال النووي: أجمعت طوائف العلماء على إمامته، وجلالته، وعظم

(١) السير (٦١ / ٨)، وانظر مقاله الذهبي (٥٨ / ٨).

(٢) الجرح والتعديل (٢٥ / ١)، مناقب مالك للزواوي (ص ١٠٦).

(٣) الانتقاء (٣٢-١٩)، وترتيب المدارك (١٢٩-١٣٧)، التمهيد (٧٢-٨٧)، الحلية

(٦ / ٣٢١-٣٢٢)، ومناقب مالك للزواوي (ص ٨٥-١١٥)، إتخاف السالك (ق: ١٢-١٣)،

وتزيين الممالك (٨-١١)، وتنوير الحوالك (٣-٤).

سيادته، وتبجيله، وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والتثبيت، وتعظيم حديث رسول الله ﷺ^(١).

قال الذهبي: لم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم، والفقه، والجلالة، والحفظ؛ فقد كان بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة - وذكر أقومًا غيرهم ثم قال - : فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق، والذي تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق - رحمه الله تعالى -^(٢).

○ خامساً: وفاته ○

توفي الإمام مالك - رحمه الله تعالى - في شهر ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ، وعمره ست وثمانون سنة. ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة^(٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٥٩ - الفيحاء).

(٢) السير (٨/٨٥).

(٣) انظر: الإرشاد للخليلي (١/٢٨٣)، الانتقاء (٤٤-٤٥)، التمهيد (١/٩٢)، ترتيب المدارك

(٢/٢٣٧-٢٤١)، السير (٨/١٣٠-١٣٥)، إتحاف السالك (ق: ١٤/ب).

□ الفصل الأول □

أصول منهج الإمام مالك في العقيدة

○ المبحث الأول ○

اعتصامه بالكتاب والسنة، وتحذيره من الابتداع والتقليد

قال خالد بن نزار الأيلي^(١): ما رأيت أحداً أنزع بكتاب الله عز وجل من مالك ابن أنس^(٢).

وعن ابن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الزم ما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «أمران تركتهما فيكم لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»^(٣).

يقول الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين إذا سئل عن الشيء - فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من

(١) خالد بن نزار الغساني الأيلي، صدوق مخطئ، هو من رواة الموطأ، توفي سنة ٢٢٢هـ. التقريب (ص ١٩١، برقم ١٦٨٢)، إتحاف السالك لابن ناصر الدين الدمشقي (٦٩/ب).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٨/١)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك من رواية البهلول ابن راشد (١٥٢/١)، والذهبي في السير (٨/٩٥).

(٣) ذكره السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٢٤)، والفلاي في إيقاظ هم أولي الأبصار (ص ٩٩)، والحديث رواه الإمام مالك في الموطأ (٨٩٩/٢)، وهو حسن بشواهد. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٣٥٥-٣٦١)، حديث رقم (١٧٦١)، وانظر: المشكاة (١/٦٦) حديث رقم (١٨٦).

الساء^(١).

وعن عبد الرحمن بن مهدي^(٢) قال: سئل مالك بن أنس عن السنة، قال: ما لا اسم له غير السنة، وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٣).

ولما سأله رجل: مَنْ أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا رافضي، ولا قدرني^(٤).

وقال ابن وهب: كنا عند مالك، فذكرت السنة، فقال مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق^(٥).

وعن حميد بن الأسود^(٦) قال: قال رجل لمالك بن أنس: أحرم من

(١) رواه ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام من طريق ابن وهب عن مالك به (٦/٢٢٥)، ونقله ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن كتاب «المجالس» لابن وهب (٢/١١٧-١١٨-الريان- ابن حزم)، وذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/١٣٢)، وابن القيم في إعلام الموقعين (١/٢٥٦- الجليل) وعنه الفلاني في إيقاظ همم أولي الأبصار (ص ٩٩).

(٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري، مولا هم، أبو سعيد البصري، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث. قال ابن المديني: «ما رأيت أعلم منه»، وقد لازم الإمام مالكا، وأخذ عنه، وهو من رواة الموطأ. توفي سنة ١٩٨ هـ. إتحاف السالك لابن ناصر الدين الدمشقي (٢١/أ)، التقريب (ص ٣٥١).

(٣) ذكره الشاطبي في الاعتصام (١/٥٨).

(٤) رواه ابن عبد البر في الانتقاء (ص ٣٥)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٤١)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (٥٣/ب/٥٤أ).

(٥) ذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٨)، والسيوطي في مفتاح الجنة (ص ١٢٩).

(٦) حميد بن الأسود بن الأشقر البصري، أبو الأسود الكرايسي، صدوق يهيم قليلا، روى عن الإمام

مسجد النبي ﷺ أو من ذي الحليفة؟ قال له: بل من ذي الحليفة، فقال الرجل: فإني أحرم أنا من مسجد رسول الله ﷺ، قال: فقال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وفي رواية عن عثمان بن عمر^(٢) قال: جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل: رأيت؟ فقال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^(٣).

وفي رواية قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، قال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر - يعني: مسجد رسول الله ﷺ - قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة. قال: وأي فتنة في هذا؟ إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر - عنها رسول الله ﷺ. إني سمعت الله يقول:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

مالك، من الثامنة. تهذيب الكمال (١/٣٣٥)، التقريب (ص ١٨١).

(١) رواه ابن بطة في الإنابة الكبرى (١/٢٦١-٢٦٢)، والآية من سورة النور (٦٣).

(٢) عثمان بن عمر بن فارس العبدي، بصري، أصله من بخارى، ثقة، روى عن مالك، مات سنة ٢٠٧هـ. تهذيب الكمال (٢/٩١٧)، التقريب (ص ٣٨٥).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص ٢٠١)، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٨٢)، وسيأتي ذكره في موقف مالك من أهل الأهواء.

(٤) ذكره الشاطبي في الاعتصام (٢/٥٢-٥٣)، والونشريسي في المعيار المعرب (١١/١١٦).

وعن ابن وهب قال: قال مالك: لم يكن من فتيا الناس أن يقال لهم: لم قلت هذا؟ كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها^(١).

وعن عبد الله بن وهب قال: قال مالك بن أنس: لا تعارضوا السنة وسلموا لها^(٢).

وقال ابن زيد رحمه الله فيما نقله من عقيدة مالك وأئمة السلف -رحمهم الله-: (التسليم للسنن، لا تعارض برأي، ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله)^(٣).

وعن مطرف بن عبد الله^(٤) قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله. ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو المهتدي، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله تعالى ما تولاها، وأصلها جهنم وساءت مصيراً.

(١) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (ص ٢٠١)، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٨٢).

(٢) ذكره السيوطي في مفتاح الجنة (٢٠٠-٢٠١).

(٣) الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص ١١٧)، وانظر: رسالة مالك إلى الليث بن سعد في مؤلفاته.

(٤) مطرف بن عبد الله بن مطرف اليساري، أبو مصعب المدني، ابن أخت مالك، ثقة، من رواة

الموطأ، مات سنة ٢٢٠ هـ. إتحاف السالك (١٧/أ)، التقريب (ص ٥٣٤).

قال: وكان مالك إذا حدّث بها ارتجّ سرورًا^(١).

وعن ابن وهب قال: قال مالك: الحكم حكمان: حكم جاء به كتاب الله، وحكم أحكمته السنة، قال: ومجتهد رأيه، فلعله يوفق. قال: ومتكلف، فطعن عليه^(٢).

وفي رواية قال: الحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان: ما في كتاب الله أو أحكمته السنة، فذلك الحكم الواجب وذلك الصواب، والحكم الذي يجتهد فيه العالم برأيه فلعله يوفق، وثالث: متكلف، فما أحراره ألا يوفق^(٣).

وفي رواية قال: ما كان في كتاب الله أو أحكمته السنة عن رسول الله ﷺ؛ فهو حق لا شك فيه، وما كان من اجتهاد الرأي؛ فالله أعلم به^(٤).

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنيني: قال مالك: قُبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تُتبع آثار رسول الله ﷺ، ولا يُتبع الرأي^(٥).

(١) رواه الآجري في الشريعة (ص ٤٨، ٦٤-٦٥، ٣٠٧)، وابن بطة في الإنبابة (١/٣٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٤)، وذكره ابن زيد القيرواني في الجامع (ص ١١٧)، والقاضي في ترتيب المدارك (٢/٤١). ورواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/١٨٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن مالك نحوه.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/٢٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) ذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٩). وانظر: الحلية لأبي نعيم (٦/٣٢٣).

(٥) جامع العلم لابن عبد البر (٢/١٤٤).

قال معن بن عيسى^(١): (سمعت مالك بن أنس: يقول: إنما أنا بشر- أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)^(٢).

وكان يقول: (ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ)^(٣).

وفي رواية: (إلا صاحب هذا القبر) وأشار بيده إلى قبر النبي ﷺ^(٤).

وقال الهيثم بن جميل^(٥): قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله إن عندنا قومًا وضعوا كتبًا، يقول أحدهم: حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا، وفلان عن إبراهيم بكذا، ويأخذ بقول إبراهيم، قال مالك: وصحَّ عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية كما صحَّ عندهم قول إبراهيم، فقال مالك: هؤلاء يستتابون^(٦).

(١) معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي مولاهم، أبو يحيى المدني القزاز، ثقة ثبت، من كبار رواة الموطأ، كان مالك يتوكأ عليه إذا خرج إلى المسجد، ولهذا يقال له: «عُصبة مالك»، توفي سنة ١٩٨ هـ. التقريب (ص ٥٤٢)، إتحاف السالك (١٦/ أ).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/ ٣٢)، والفلاحي في إيقاظ همم أولي الأبصار (ص ٧٢)، وذكره أبو شامة في مختصر المؤمل (ص ٦١)، وابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٧٥).

(٣) رواه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك (أ/ ٢٢٧)، ورواه ابن عبد البر من قول مجاهد والحكم بن عتيبة (٢/ ٩١)، وروي عن غير هؤلاء. انظر: صفة صلاة النبي ﷺ للألباني (ص ٢٦-٢٧).

(٤) ذكره أبو شامة في المختصر المؤمل (ص ٦٦).

(٥) الهيثم بن جميل البغدادي، أبو سهل، ثقة من أصحاب الحديث، وروى عن مالك، مات سنة ٢١٣ هـ. التقريب (ص ٥٧٧)، تهذيب التهذيب (١١/ ٩٠).

(٦) رواه ابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام (٦/ ٢٧٢)، ونقله ابن القيم في إعلام الموقعين

وقال مالك بن أنس: لما حج أبو جعفر المنصور دعاني، فدخلت عليه فحدثته، وسألني فأجبتة، فقال: إني قد عزمت أن أمر بكتبك هذه التي وضعتها - يعني: الموطأ - فتنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل من أمصار المسلمين منها نسخة، وأمرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدوه إلى غيره، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم رواية المدينة وعلمهم، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وإن ردهم عما قد اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم، فقال: لعمرى لو طواعنتني على ذلك لأمرت به^(١).

قال عبد الله بن نافع^(٢): قال مالك: إن العبد لو ارتكب جميع الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئاً لرجوت له أرفع المنازل؛ لأن كل ذنب بين العبد وبين ربه هو منه على رجاء. وصاحب البدعة ليس هو منها على رجاء؛ إنما يهوى به في نار جهنم^(٣).

(٢/ ٢٠١)، والفلاحي في الإيقاظ (ص ٩٩).

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) (ص ٤٤٠-٤٤١)، وذكره ابن عبد البر في الانتقاء من طريق ابن سعد (ص ٤١)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/ ٧٢).

(٢) عبد الله بن نافع الصائغ المخزومي مولاهم أبو محمد المدني، ثقة، صحيح الكتاب، في حفظه لين، من كبار العاشرة، مات سنة ست ومائتين وقيل بعدها، من رواة الموطأ، التقريب (ص ٣٢٦)، ت ٣٦٥٩.

(٣) رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام (٥/ ٧٦)، ونقله القاضي في ترتيب المدارك (٢/ ٤٩)، وذكره الشاطبي في الاعتصام (٢/ ٢٤٨).

○ موقفه من الرواية عن المبتدع ○

قال إسماعيل بن أبي أويس^(١): سمعت خالي مالكا يقول: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم^(٢).

قال معن بن عيسى^(٣): كان مالك بن أنس يقول: لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ من سوى ذلك؛ وذكر من هؤلاء الأربعة: صاحب الهوى يدعو إلى هواه، أو قال: مبتدع يدعو إلى بدعته^(٤).

(١) إسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ابن عم الإمام مالك وابن أخته، روى عن خاله مالك بن أنس، صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، مات سنة ٢٢٦هـ. إتحاف السالك (٣٦/ب)، التقريب (ص ١٠٨).

(٢) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل عن مالك وعن غيره (٤١٤-٤١٦)، وابن عبد البر في الانتقاء (ص ١٦)، والتمهيد (١/٦٧).

(٣) تقدمت ترجمته ص (١٤).

(٤) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/٦٦-٦٧)، والانتقاء (ص ١٦).

○ المبحث الثاني ○

ذمه للمراء والخصومات والجدل في الدين

وتحذيره من أهل الكلام والأهواء

قال أبو طالب المكي: كان مالك رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشدهم نقضاً للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين^(١).

قال الهيثم بن جميل^(٢): قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله! الرجل عالمًا بالسنة أيجادل عنها؟ قال: لا! ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت^(٣).

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: القرآن هو الإمام، فأما هذا المراء؛ فلا أدري ما هو؟^(٤).

قال إسحاق بن عيسى^(٥): رأيت رجلاً من أهل المغرب جاء مالك بن أنس فقال: إن الأهواء كثرت قبلنا، فجعلت على نفسي - إن أنا رأيتك أن

(١) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٣٩ / ٢)، والذهبي في السير (١٠٦ / ٨).

(٢) تقدمت ترجمته ص (١٤).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٩٤ / ٢)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٣٩ / ٢)، والزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٦).

(٤) رواه ابن بطّة في الإبانة الكبرى (٥١٠ / ٢).

(٥) إسحاق بن عيسى بن نجيج البغدادي، أبو يعقوب ابن الطباع، صدوق، من رواة الموطأ عن مالك،

مات سنة ٢١٥ هـ. التقريب (ص ١٠٢)، إتحاف المسالك (٦٧ / ب).

أخذ بما تأمرني به، فوصف له مالك شرائع الإسلام، الصلاة والزكاة والصوم والحج، ثم قال: خذ بهذا، ولا تخاصم^(١).

وكان إذا سأله الرجل عن شيء من الأهواء يقول له: اقرأ: ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ فيقرأ إلى قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ﴾^(٢) فيضرب بيده على منكب الرجل ويقول: ما أمر الناس بهذا^(٣).

وقال أشهب بن عبد العزيز: سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع! قيل: يا أبا عبد الله! ما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماؤه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون^(٤).

وقال محمد بن عقيل بن الأزهر^(٥): جاء رجل إلى المزني^(٦) يسأله عن شيء من الكلام فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي؛ لقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال: محال أن نظن

(١) ذكره القاضي في ترتيب المدارك (٤٧/٢)، ورواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/٢٣١-٢٣٢).

(٢) سورة البينة، آية (٥).

(٣) ذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ٤٩).

(٤) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص ٥٤)، وذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٧).

(٥) محمد بن عقيل بن الأزهر بن عقيل، أبو عبد الله البلخي، محدث بلخ، قال الذهبي: كان من أوعية العلم. مات سنة ٣١٦هـ. السير (١٤/٤١٥).

(٦) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني، تلميذ الشافعي وناصر مذهبه، قال الذهبي: قليل الرواية، لكنه كان رأساً في الفقه. توفي سنة ٢٦٤هـ. السير (١٢/٤٩٢).

بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجا، ولم يعلمهم التوحيد^(١).

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني^(٢): قال مالك: قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تُتبع آثار رسول الله ﷺ ولا يُتبع الرأي، فإنه متى اتبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته، أرى هذا لا يتم^(٣).

وقال: أرأيت إن جاء من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟!^(٤).

وكان يحذر من أصحاب الرأي ويقول: إياكم وأصحاب الرأي! فإنهم أعداء السنة^(٥).

قال مالك: لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان^(٦).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: دخلت عند مالك وعنده رجل يسأله عن

(١) ذكره الذهبي في السير (٢٦/١٠).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الحنيني، أبو يعقوب المدني، ضعيف، وهو من رواة الموطأ. التقريب (ص ٢٩٩)، التهذيب (١/٢٢٢)، إتحاف السالك (٥٥/أ).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/١٤٤)، وذكره الشاطبي في الاعتصام (١/١٠٥).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/٩٥).

(٥) ذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٨).

(٦) رواه الفريابي في القدر برقم (٣٨٧)، وأبو إسماعيل الأنصاري الهروي في ذم الكلام (٥/٧٥، برقم ٨٦٥)، وذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص ١٣٧)، وصححه ابن حجر في الفتح

القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد^(١)، لعن الله عمرًا؛ فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا؛ لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل^(٢).

قال مصعب بن عبد الله الزبيري^(٣): كان مالك بن أنس يقول: الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه: نحو الكلام في رأي جهم، والقدر، وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحت عمل. فأما الكلام في دين الله، وفي الله عز وجل؛ فالسكوت أحب إلي؛ لأنني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين، إلا ما تحته عمل^(٤).

وفي رواية: قال: سمعت مالك بن أنس يقول: أدركت أهل هذا البلد -يعني: المدينة- وهم يكرهون المناظرة والجدل، إلا فيما تحته عمل^(٥).

قال إسحاق بن عيسى: قال مالك: من طلب الدين بالكلام تزندق،

(١) عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري، المعتزلي القديري، كذبه العلماء، وقد عقد اللالكائي فصلًا ذكر فيه مخازي مشايخ القدرية وفصائح المعتزلة كعمرو بن عبيد وغيره. توفي سنة ١٤٣ هـ. شرح اعتقاد أهل السنة (٤/٧٣٧-٧٤٣)، وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٢٧٣-٢٨٠)، وتهذيب التهذيب (٨/٧٥-٧٠).

(٢) ذكره البغوي في شرح السنة (١/٢١٧)، والزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٧-١٤٨).

(٣) مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير المدني، صدوق عالم بالنسب، ومن رواة الموطأ عن مالك، مات سنة ٢٣٦ هـ. التقريب (ص ٥٣٣)، إتحاف السالك (٤٣/ب).

(٤) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/١٤٨-١٤٩)، وابن عبد البر في جامع العلم (٢/٩٤-٩٥).

(٥) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١٩/٢٣٢).

ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب^(١).
ولذلك كان يقول: إذا قلَّ الكلام أصيب الجواب، وإذا كثر الكلام
كان من صاحبه فيه الخطأ، وقال: كان ابن هرمز قليل الكلام، وكان يرد
على أهل الأهواء، وكان أعلم الناس بما اختلفوا فيه من ذلك...^(٢).

قال معن بن عيسى: انصرف مالك بن أنس يوماً من المسجد وهو
متكى على يدي فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية - كان يتهم بالإرجاء -^(٣)

(١) رواه المروزي في ذم الكلام (٥/ ٧١-٧٢، برقم ٨٥٩)، وذكره الزواوي في مناقب مالك
(ص ١٤٧). وروي هذا القول عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة: رواه اللالكائي في
شرح اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٣٧-٥٣٨)، ورواه ابن
عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٣٩)، ومن طريقه ابن السمعاني في أدب الإملاء
والاستملاء (ص ٧٢)، ورواه المروزي في ذم الكلام وأهله (٥/ ٢٠١-٢٠٢، برقم ٩٩٨)،
والأصبهاني في الحجة (١/ ١٠٥) من طرق عنه. وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي كما
في العلو للعلي العظيم للذهبي (ص ١٥٧)، ومختصره للألباني (ص ١٥٤/ الأثر برقم
١٣٨/١٥٧).

ورواه ابن عساكر من طريق أبي يوسف القاضي عن مجالد عن الشعبي وقال: «هكذا رواه هذا
الطبري - قلت: اسمه: إسحاق ابن ابراهيم - عن أبي يوسف. ورواه غيره عن أبي يوسف من
قوله وهو أشبه بالصواب»، ونقل عن أبي بكر البيهقي أنه قال: «وروي هذا أيضاً عن مالك بن
أنس». تبين كذب المفترى (ص ٣٣٣-٣٣٤)،.

(٢) مناقب مالك للزواوي (ص ١٥٢)، ورواه ابن عساكر بلفظه: «كان ابن هرمز بصيراً بالكلام،
وكان يسد على أهل الأهواء». تبين كذب المفترى (ص ٣٥٢).

(٣) الإرجاء لغة: التأخير، والمرجئة: هم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان بمعنى أنهم يقولون:
الإيمان قول أو تصديق فقط، فيكون الإيمان تاماً بغير العمل. انظر موقف مالك من المرجئة
(الباب السابع الفصل الثالث).

فقال: يا أبا عبد الله! اسمع مني شيئاً أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: فإن غلبتك اتبعني، قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه! فقال مالك: يا عبد الله! بعث الله محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين. قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل^(١).

قال الشافعي: كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أمّا أنا فعلى بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاكُّ، فاذهب إلى شاكِّ مثلك، فخاصمه^(٢).

قال عبد الله بن نافع^(٣): سمعت مالكا يقول: لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئاً، ثم نجا من هذه الأهواء؛ لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس؛ لأن كل كبيرة بين العبد وبين ربه هو منها على رجاء، وكل هوى ليس هو منه على رجاء؛ إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم^(٤).

(١) رواه الأجرى في الشريعة (ص ٥٦-٥٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥٠٨)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٣٩)، والشاطبي في الاعتصام (٢/٩٣).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٤)، وذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٨)، ورواه ابن بطة في الإبانة: من رواية ابن وهب عن مالك (٢/٥٠٩)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٤١).

(٣) تقدمت ترجمته في ص (١٤).

(٤) ذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٩)، والشاطبي في الاعتصام (ص ٢٤٨/٢).

قال إسماعيل بن أبي أويس^(١): سمعت مالكا يقول: ما قلت الآثار في قوم إلا ظهر فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء^(٢).
وفي رواية قال: إذا قلَّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قلَّت الآثار كثرت الأهواء^(٣).

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكا يقول: إن حقا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعا لأثر من مضى- قبله^(٤).

قال عثمان بن عمر العبدي^(٥): جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة، فقال له: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل: رأيت؟ قال مالك:
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾^(٦).

(١) تقدمت ترجمته في ص (١٤).

(٢) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٤٧)، وذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٨).

(٣) ذكره شيخ الإسلام في الفتاوى (١٧/٣٠٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/٢٧١)، والمقصود من ذلك أن البعد عن كلام الله تعالى ورسوله والجهل بهما يؤدي إلى الأخذ بأقوال الرجال، فينشأ عن ذلك الاختلاف والافتراق والتعصب واتباع الهوى. انظر: الفتاوى ودرء تعارض العقل والنقل في الموضوعين السابقين.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٤).

(٥) تقدمت ترجمته ص (١٤).

(٦) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/١٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦)، والبيهقي في المدخل (ص ٢٠٠-٢٠١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٤٦)، ورواية الخطيب واللالكائي عن

وقال عبد الله بن وهب: قال مالك: لم يكن من فتيا الناس أن يقال: لم قلت هذا؟ كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها^(١).

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني^(٢): قال مالك بن أنس: إياكم وأصحاب الرأي! فإنهم أعداء أهل السنة^(٣).

وقال إسحاق بن عيسى: سمعت مالك بن أنس يعيب الجدل في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل غ على محمد ﷺ لجدله!^(٤)

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكا يقول: ليس الجدل من الدين بشيء^(٥).

ولذلك كان مالك يقول: الداء العضال التنقل في الدين^(٦).

وقال عبد الله بن مسلمة بن قعنب^(٧): قال مالك بن أنس: مهما

إسحاق الطباع عن مالك، والآية من سورة النور، الآية (٦٣).

(١) رواه البيهقي في المدخل (ص ٢٠١).

(٢) تقدم في ص (١٤).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦-٣٢٧)، وذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٨).

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥٠٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/١٤٤)، وأبو

نعيم في الحلية (٦/٣٢٤)، والبيهقي في المدخل (ص ٢٠١).

(٥) ذكره الذهبي في السير (٨/٦٧، ١٠٨)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٣٥)، والقاضي

في ترتيب المدارك (٢/٣٩)، والشاطبي في الاعتصام (٢/٣٩).

(٦) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣١٩).

(٧) عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي، أبو عبد الرحمن البصري، أصله من المدينة، وسكنها مدة،

تلاعبت به من شيء فلا تلعبن بأمر دينك^(١).

وكان يقول: كان يقال: لا تمكن زائغ القلب من أذنيك؛ فإنك ما تدري ما يعلقك من ذلك^(٢).

وقال أبو مصعب الزهري: رأيت مالكا، وقوم يتجادلون عنده، فقام ورفض رداءه، وقال: إنما أنتم جرب^(٣).

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكا يقول: قال رجل: لقد دخلت في هذه الأديان فلم أر شيئا مستقيما، فقال رجل من أهل المدينة من المتكلمين: فأنا أخبركم لم ذلك؟ لأنك لا تتقي الله، فلو كنت تتقي الله جعل الله لك من أمرك مخرجا^(٤).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: قال مالك بن أنس: قيل لرجل عند الموت: على أي دين تموت؟ قال: على دين أبي عمارة - كأنه رجل كان يتولاه من أهل الأهواء - قال: فقال مالك: يدع المشؤم دين أبي القاسم ويموت

ثقة عابد، من رواة الموطأ، وكان ابن المدني وابن معين لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، ومات سنة ٢٢١ هـ. التقريب (ص ٣٢٣)، إتحاف السالك (٤١/ت).

(١) رواه الخلال في السنة (ص ٢١٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥٠٦)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/١٤٤-١٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٠).

(٢) ذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص ١٢٠).

(٣) ذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٣٩).

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٤٠٧)، وذكره الزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٦-١٤٧).

على دين أبي عمارة^(١).

وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: المرء في العلم يُقسِّي القلب، ويورث الضغن^(٢).

وقال مطرف بن عبد الله: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين - وفي رواية قال: إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء - يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله عز وجل، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو المهتدي، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولاه، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

قال: وكان مالك إذا حدث بها ارتج سروراً^(٣).

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٥٥).

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٥٣٠)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/ ٣٩).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (ص ٤٨، ٦٤-٦٥، ٣٠٧)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٢)، وأبو نعيم

في الحلية (٦/ ٣٢٤)، وابن عبد البر في جامع العلم (٢/ ١٨٢)، والخطيب البغدادي في: الفقيه

والمفتقه (١/ ١٧٣)، وذكره ابن أبي زيد القيرواني في «الجامع» (ص ١١٧)، والقاضي في: ترتيب

المدارك (٢/ ٤١).

○ المبحث الثالث ○

هجره لأهل البدع والأهواء، ونهيه عن مجالستهم، أو مكالمتهم،
أو السلام عليهم، أو الصلاة خلفهم، أو عيادة مرضاهم

قال معن بن عيسى: إن رجلاً بالمدينة يقال له: أبو الجويرية^(١) يرى
الإرجاء، فقال مالك: لا تناكحوه^(٢).

وقال عبد الله بن أحمد: عن أبيه أحمد ابن حنبل، أنه قال: كان ثور بن يزيد
الكلاعي^(٣) يرى القدر^(٤) وكان من أهل حمص^(٥)، أخرجوه ونفوه؛ لأنه كان يرى
القدر، قال: وبلغني أنه أتى المدينة، فقبل لمالك: قد قدم ثور، فقال: لا تأتوه، فقال:
لا يجتمع عند رجل مبتدع في مسجد رسول الله ﷺ^(٦).

قال مالك في القدرية^(٧) والإباضية^(٨): لا يُصلى على موتاهم، ولا تُتبع

(١) ذكر ابن حجر في باب الكنى ثلاثة رجال بهذه الكنية، ولم يتبين لي هل هو أحدهم، أو غيرهم.
تهذيب التهذيب (١٢/٦٢-٦٣).

(٢) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/٩٩٤).

(٣) ثور بن يزيد الكلاعي، أبو خالد الحمصي، ثقة ثبت، إلا أنه يرى القدر، مات سنة ١٥٠ هـ،
وقيل غير ذلك. التقريب (ص ١٣٥)، وانظر: الميزان (١/٣٧٤).

(٤) يرى القدر يعني: أنه يقول بمقولة القدرية الذين ينكرون أن الله يخلق أفعال العباد.

(٥) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد المهملة بلد مشهور بين دمشق وحلب. معجم البلدان
(٢/٣٠٢).

(٦) روه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٧٢٤-٧٢٥).

(٧) القدرية: هم الذين ينكرون مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد. انظر: الفرق بين الفرق (ص ١٨،
٢٠٥-٢١٠)، والملل والنحل (١/٤٣-٨٥).

(٨) الإباضية: أحد فرق الخوارج، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها عبد الله بن أباض. انظر:
الملل والنحل (١/١٣٤).

جنائزهم ولا تُعاد مرضاهم...^(١).

وفي رواية: سئل عن الصلاة خلف الإباضية والواصلية^(٢) فقال: ما أحبه، فقيل: فالسكنى معهم في بلادهم؟ فقال: ترك ذلك أحب إليّ^(٣).

وسئل عن مجالسة القدرية وكلامهم، فقال: لا تكلمهم، ولا تقعد إليهم، إلا أن تجلس إليهم تغلظ عليهم، قلت: إن لنا جيراناً لا أكلمهم ولا أخاصمهم؟ فقال: لا تجالسهم، عادهم في الله، يقول الله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٤) فلا توادهم...، وسئل عن عيادة أهل القدر؟ قال: لا تعودوهم^(٥).

وقال ابن القاسم: سئل مالك عن أهل القدر: أيُسلَّم عليهم؟ قال: لا يُسلَّم عليهم^(٦).

قال ابن القاسم: وكأني رأيته يرى ذلك في أهل الأهواء كلهم، ولم يبيئه^(٧).

(١) المدونة (١/١٨٢، ٢/٤٨).

(٢) الواصلية: أحد فرق المعتزلة، وسميت بذلك نسبة إلى مؤسسها واصل بن عطاء الغزال. انظر: الملل والنحل (١/٤٦).

(٣) البيان والتحصيل (١/٤٤٣)، المدونة (١/١٨٢)، (٢/٤٨).

(٤) سورة المجادلة، آية (٢٢).

(٥) البيان والتحصيل (١٨/٢١٠)، وذكره القرطبي في تفسيره: (١٧/٣٠٨).

(٦) البيان والتحصيل (١٨/١٤٩)، وترتيب المدارك (٢/٤٧). وذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص ١٢١).

(٧) المصدرين السابقين.

وقال مالك: بئس القوم أهل الأهواء! لا تسلم عليهم^(١).

وقال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: لا يُصلى خلف القدريّة، ولا أرى أن يناكحوا^(٢).

وقال أشهب بن عبد العزيز: سئل مالك عن القدريّة فقال: قوم سوء، فلا تجالسوهم، قيل: لا يصلى خلفهم؟ قال: نعم^(٣).

وقال في العتبية: قال مالك في الذي يسافر إلى أرض البربر فيدخل بلاد أهل الأهواء فيكون معه السيف والسرّج فيريد أن يبيع منهم وهم أصحاب بدع وأصحاب أهواء يقاتل بعضهم بعضًا. قال: لا أحب أن يبيع السلاح لمن يناوئ به أهل الإسلام^(٤).

وعن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد المصري

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢٢٩)، وفتح الباري (١١/٤٠).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (ص ١٩٩)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (٣/١٠٥١)، وذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص ١٥٠)، وابن رشد في البيان والتحصيل (١٦/٣٨٠)، والقاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٧).

(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٣/١٠٦٣)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٧)، والزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٦). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الصلاة خلف أهل البدع والأهواء والفجور: «والتحقيق أن الصلاة خلفهم لا ينهى عنها لبطلان صلاتهم في نفسها؛ لكن لأنهم إذا أظهروا المنكر استحقوا أن يهجروا، وألا يقدّموا في الصلاة على المسلمين، ومن هذا الباب ترك عيادتهم وتشجيع جنازتهم. كل هذا من باب الهجر المشروع في إنكار المنكر للنهي عنه». انظر منهاج السنة (١/٩٣).

(٤) البيان والتحصيل (١٦/٣٦٥).

المالكي، قال في كتاب الإجازات من كتابه في الخلاف: قال مالك: لا يجوز الإجارة في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم^(١).

(١) لأن ذلك مما يعينهم على نشر باطلهم وضلالهم وفسادهم. قال ابن خويز منداد: «وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم...» -قال-: وكذلك كتب القضاء بالنجوم، وعزائم الجن، وما أشبه ذلك». انظر: جامع العلم لابن عبد البر (٩٩/٢).

○ المبحث الرابع ○

إثباته معاني الأسماء والصفات وتفويضه كيفيتها^(١)

جاء رجل إلى الإمام مالك فقال له: يا أبا عبد الله! ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وفي رواية قال: كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع^(٣).

قال أشهب بن عبد العزيز: سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع! قيل: وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون^(٤).

(١) في هذا الفصل قوله في الصفات إجمالاً، وسيأتي التفصيل في الباب الثالث.

(٢) سورة طه، آية (٥).

(٣) سيأتي تخريج ما روي عن مالك في مبحث صفة الاستواء.

(٤) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص ٥٤)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/١٠٣ -

○ المبحث الخامس ○

محبتة لصحابة رسول الله ﷺ واعترافه بفضلهم وموالاتهم

والاستغفار لهم، وتغليظ القول لمن يبغضهم

قال مالك رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا.

وقال: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غلٌّ؛ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾^(١).

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٣٢ / ١٨)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٢٧ / ٦)، وذكره البغوي في تفسيره (٣٢١ / ٤)، وابن كثير في تفسيره (٣٣٩ / ٤)، والقاضي في ترتيب المدارك (٤٦ / ٢) - (٤٧)، والزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٤).

○ المبحث السادس ○

موقفه من ترتيب الخلفاء الراشدين وتفاضلهم

سُئِلَ الإمام مالك عن خير هذه الأمة بعد نبيها، فقال: أبو بكر، أو في ذلك شك؟ قد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة ومعه غيره، وأمره على الحج ومعه غيره، وفي رواية: سُئِلَ عن أبي بكر وعمر؟ فقال: ليس فيهما إشكال؛ إنهما أفضل من غيرهما، أو قال: ليس في ذلك شك^(١).

وعن مصعب الزبيري: أن هارون الرشيد لما حج أتى مالكا فاستأذن عليه فحجبه، ثم أذن له، وفي رواية لبعضهم: ثم خرج إليه، فلما دخل عليه قال: يا أبا عبد الله! ما حملك على أن أبطأت، وقد علمت مكاني؟ - وفي رواية: جلستنا بابك - فقال: والله يا أمير المؤمنين! ما زدت على أن تروضأت وعلمت أنك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ، فأحببت أن أتأهب له، فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلاً، وأخذه بيده ومضى - إلى قبر النبي ﷺ فقال: أخبرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبي ﷺ؟ فقال: كان محلها منه في حياته كمحلها منه بعد وفاته، فقال: شفيتني يا مالك، شفيتني يا مالك^(٢).

وروى مطرف بن عبد الله عن مالك أنه قال: قال لي أمير المؤمنين هارون الرشيد: يا مالك! كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

(١) البيان والتحصيل (١٨/٤٥٨)، والسير (٨/١٠٦).

(٢) رواه ابن ناصر الدين الدمشقي في إتحاف السالك (١٨/ب، ١٩/أ)، وذكره القاضي في ترتيب

المدارك (٢/١٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٧/٥٠٦).

من النبي ﷺ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين! قربها منه في حياته كقرب مضجعهما من مضجعه بعد وفاته، فقال: شفيتني يا مالك، شفيتني يا مالك^(١).

وقال عبد العزيز بن أبي حازم: سألت مالكا فيما بيني وبينه: من تقدم بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أقدم أبا بكر وعمر، لم يزد على هذا^(٢).

وعن ابن القاسم وغيره: أن مالكا سُئل عن تفضيل أبي بكر وعمر على غيرهما؟ فقال: لا شك في أبي بكر وعمر أنها أفضل من غيرهما، أو قال: لا إشكال فيهما، أو قال: ليس في ذينك شيء^(٣).

وسئل الإمام مالك عن عثمان وعلي: أيهما أفضل؟ فقال: ما أدركت أحدا ممن يقتدى به إلا وهو يرى الكف عنهما، يريد التفضيل بينهما^(٤).

وقال إسماعيل بن أبي أويس: قال مالك: ليس من أمر الناس الذي

(١) إتحاف السالك (١٩/أ)، ورواه عن طريق آخر عن يحيى بن سليمان بن نضلة، قال ابن ناصر: «ورواية مطرف بن عبد الله عن مالك أشهر وأصح» (١٨/ب).

(٢) رواه ابن عبد البر في الانتقاء (ص ٣٥).

(٣) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة عن الحارث بن مسكين عن مالك (٨/٣٦٨)، وذكره القاضي عن ابن القاسم في ترتيب المدارك (٢/٤٥)، وفي العتبية كما في البيان والتحصيل (١٨/٤٥٨)، والذهبي في السير (٨/١٠٦).

(٤) رواه اللالكائي عن الحارث بن مسكين (٨/١٣٦٨)، وعن ابن القاسم في العتبية كما في البيان والتحصيل (١٨/٤٥٨)، وابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص ١١٥)، والقاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٨/٢٢٤)، والذهبي في السير (٨/١٠٦)، والهيثمي في الصواعق المحرقة (٥٧).

مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس^(١).

وقال عبد الله بن وهب: سألت مالك بن أنس من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر وعمر، قلت: ثم من؟ قال: أمسك. قلت: يا أبا عبد الله! إنك إمام أقتدي بك في ديني، قال: أبو بكر وعمر ثم عثمان^(٢).

وقال أشهب: كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين، وكانوا يغلبون على مجلسه، فناداه: يا أبا عبد الله! فأشرف له مالك، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه، فقال له الطالبِيُّ: إني أريد أن أجعلك حجة بيني وبين الله إذا قدمت عليه فسألني. فقال له: قل، فقال: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قال العلويُّ: ثم من؟ قال مالك: ثم عمر. قال العلويُّ: ثم من؟ قال: الخليفة المقتول ظمًا عثمان. قال العلويُّ: والله لا أجالسك أبدًا!

قال مالك: فالخيار لك^(٣).

وقال أبو مصعب^(٤): سئل مالك: من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟

(١) رواه ابن عبد البر في الانتقاء (٣٥-٣٦).

(٢) رواه الخلال في السنة (ص ٤٠١ برقم ٥٨٥)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٤٦/٢).

(٣) ترتيب المدارك (٤٤-٤٥/٢).

(٤) هو أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، أبو مصعب الزهري، المدني الفقيه، صدوق، عابه أبو خيثمة للفتوى بالرأي، وهو من رواة الموطأ. مات سنة ٢٤١ هـ. انظر: التقريب (ص ٨٧). وإتحاف السالك (٤٧/أ).

فقال مالك: أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: ثم عمر. قيل: ثم من؟ قال: عثمان. قيل: ثم من؟ قال: هنا وقف الناس، هؤلاء خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، أمر أبا بكر بالصلاة، واختار أبو بكر عمر، وجعلها عمر إلى ستة، فاختاروا عثمان، فوقف الناس هنا. زاد في رواية: وليس من طلب الأمر كمن لم يطلبه^(١).

وقال سويد بن سعيد^(٢): سمعت مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وشريك بن عبد الله، ويحيى بن سليم، ومسلم بن خالد، وهشام بن سليمان المخزومي، وجريير بن عبد الحميد، وعلي بن مسهر، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، ووكيع، ومحمد بن فضيل، وعبد الرحيم بن سليمان، وعبد العزيز ابن أبي حازم، والدراوردي، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وجميع من حملت عنهم العلم يقولون: ... أفضل أصحاب رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم^(٣).

وفي رواية عن مالك أنه قال: مثل قول الشافعي -يعني: أن ترتيبهم في التفضيل كترتيبهم في الخلافة-: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي^(٤).

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٤٥-٤٦).

(٢) سويد بن سعيد بن سهل الهروي الحدثاني، أبو محمد الأنباري، صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه، فأفحش فيه ابن معين القول وهو من رواة الموطأ. مات سنة ٢٤٠هـ. التقريب (ص ٣٤٠)، إتحاف السالك (٣٩/ أ).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٨٥)، والسنن الكبرى (١٠/ ٢٠٦).

(٤) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٨/ ١٣٦٨).

□ الفصل الثاني □

○ المبحث الأول ○

قوله في معنى الإيمان الشرعي

قال عبد الله بن نافع: كان مالك يقول: (الإيمان قول وعمل...) (١).

وقال ابن وهب: سئل مالك بن أنس عن الإيمان فقال: (قول وعمل) (٢).

وقال أشهب بن عبد العزيز: قال مالك: أقام الناس يصلون نحو بين المقدس ستة عشر شهراً، ثم أمروا بالبيت الحرام، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، قال مالك: وإني لأذكر هذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان (٣).

وقال معن بن عيسى: سمعت مالك بن أنس سأله رجل عن الإيمان،

فقال: (الإيمان قول وعمل) (٤).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٢١٣، ٥٣٢، ٦٣٦)، والأجري في الشريعة ص: (١١٨)،

وابن بطة في الإبانة الكبرى: (٢/٨١٢ رقم ١١١١)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة

رقم (١٧٤٢)، وأبو نعيم في الحلية: (٦/٣٣٦)، والدولابي كما في الانتقاء لابن عبد البر (ص

٣٥)، وإرشاد السالك لابن عبد الهادي (ص ٥٣).

(٢) رواه الدولابي كما في الانتقاء لابن عبد البر (ص ٣٣)، وإرشاد السالك لابن عبد الهادي (ص

٥٢).

(٣) الدولابي كما في الانتقاء لابن عبد البر (ص ٣٤)، وإرشاد السالك لابن عبد الهادي (ص ٥٣)،

وذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٤٣).

(٤) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٥٣).

وقال سويد بن سعيد: سمعت مالك بن أنس وحماد بن زيد وسفيان ابن عيينة والفضيل بن عياض - وذكر أقوامًا غيرهم - قال: وجميع من حملت عنهم العلم يقولون: الإيمان قول وعمل...^(١).

وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عمل، ويقولون: لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان^(٢).

وقال يحيى بن سليم: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان؟ فقالوا: قول وعمل، ثم ذكرهم حتى قال: وسألت مالك بن أنس؟ فقال: (قول وعمل)^(٣).

قال أبو سلمة الخزازي: قال مالك: الإيمان المعرفة والإقرار والعمل^(٤).

وقال أبو عثمان الزبيري: كان مالك يقول: (الإيمان قول وعمل)^(١).

(١) روه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٨٥)، وفي السنن الكبرى (١٠/٢٠٦).

(٢) رواه الطبري في صريح السنة (ص ٢٥ رقم ٢٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٤/٨٨٤).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (ص ١٣١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٨٠٣-٨٠٤) رقم (١٠٩١)، واللالكائي في شرح السنة (٤/٨٤٧-٨٤٨) رقم (١٥٨٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٥٣)، ورواه عبد الله بن أحمد في السنة من طريق عبد الله بن سيار عن يحيى بن سليم (١/٣٣٦) رقم (٧٠٢).

(٤) رواه الخلال في السنة رقم (١٠٠٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٨٠٦) رقم (١٠٩٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة: (٢/٥١٢)، رقم (٥٦٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٨٤٨) رقم (١٥٨٧).

وقال عبد الرزاق: سمعت سفيان الثوري ومالك بن أنس - وذكر أقوامًا غيرهم - يقولون: (الإيمان قول وعمل...) (٢).

وقال محمد بن سليم: وكان مالك بن أنس يقول: (الإيمان قول وعمل) (٣).

وقال أحمد بن حنبل: بلغني أن مالك بن أنس وابن جريج - وذكر أقوامًا غيرهم - قالوا: (الإيمان قول وعمل) (٤).

وفي العتبية: قال مالك في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ قال: هي صلاة المؤمنين إلى بيت المقدس قبل أن تصرف القبلة، فلما أنزل صرف القبلة؛ أنزل الله تعالى في هذا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ للصلاة التي كانوا يصلونها تلقاء بيت المقدس (٥).

وفي الجامع لابن أبي زيد القيرواني: قال مالك: (الإيمان قول وعمل) (٦).

وقال القاضي عياض: قال غير واحد: سمعت مالكا يقول: (الإيمان قول وعمل) (٧).

(١) رواه الخلال في السنة رقم (١٠١٤).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٤٢-٣٤٣) رقم (٧٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٥٣)، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص ٢٨) رقم (١٢).

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٨١٢-٨١٣) رقم (١١١٣).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٣١٧) رقم (٦٣٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٨٠٤) رقم (١٠٩١)، من طريق عبد الله بن أحمد، ورواه من طريق أبي داود السجستاني (٢/٨١٣) رقم (١١١٥).

(٥) البيان والتحصيل (١٧/٥٤٢-٥٤٣).

(٦) الجامع (ص ١٢١).

(٧) ترتيب المدارك (٢/٤٣)، ونقله عنه الذهبي في السير (٨/١٠٢)، وابن عبد الهادي في إرشاد

○ المبحث الثاني ○

قوله في زيادة الإيمان ونقصانه

قال عبد الله بن نافع: قال مالك: (الإيمان يزيد وينقص) ^(١).

وقال الوليد بن مسلم: سمعت أبا عمرو -يعني: الأوزاعي- ومالكا وسعيد بن عبد العزيز يقولون: ليس للإيمان منتهى هو في زيادة أبداً، وينكرون على من يقول: إنه مستكمل الإيمان، وإن إيمانه كإيمان جبريل ع ^(٢).

وقال سويد بن سعيد: سمعت مالك بن أنس، وحماد بن زيد -وذكر أقواماً غيرهم- قال: وجميع من حملت عنهم العلم يقولون: الإيمان ... يزيد وينقص ^(٣).

وقال إسحاق -يعني الفروي-: كنت عند مالك، قال: الإيمان يزيد وينقص، قال الله عز وجل: ﴿لِيَزِدَّاكَ وَإِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ ^(٤).

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُّ مِّنْ طَلَبَانَ

السالك في مناقب مالك (ص ٥١).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٧٣-١٧٤) رقم (٢١٣)، (٣١٧/١) رقم (٦٣٦). ورواه الخلال في السنة وزاد: «ويكره ذكر جبريل وميكائيل...» (رقم ١٠٨٢)، وإسناده صحيح. والآجري في الشريعة (ص ١١٨)، واللالكائي في شرح السنة (٩٥٩/٥) رقم (١٧٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٣٦/٦).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٣٣-٣٣٢/١) رقم (٦٨٧)، وابن بطة في الإبانة (٩٠١/٢)، رقم (١٢٥٩).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٥/١)، والسنن الكبرى (٢٠٦/١٠).

(٤) سورة الفتح، آية (٤).

وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي ﴿١﴾^(٢).

وفي رواية له قال: كنت عند مالك بن أنس، فسمعت حماد بن أبي حنيفة يقول لمالك: يا أبا عبد الله! إن لنا رأيًا نعرضه عليك، فإن رأيته حسنًا مضينا عليه، وإن رأيته غير ذلك كفنا عنه، قال: وما هو؟ قال: يا أبا عبد الله! لا نكفر أحدًا بذنوب^(٣)، الناس كلهم مسلمون عندنا، قال: ما أحسن هذا! ما بهذا بأس، فقام إليه داود بن أبي زنبر، وإبراهيم بن حبيب وأصحاب له، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عبد الله! إن هذا يقول بالإرجاء، قال: ديني مثل دين الملائكة المقربين، وديني مثل دين جبريل وميكائيل والملائكة المقربين قال: لا والله، الإيمان يزيد وينقص؛ ﴿لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمْتُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ فطمأنينة قلبه زيادة في إيمانه^(٤).

وقال عبد الرزاق: سمعت مالك بن أنس وسفيان الثوري - وذكر أقوامًا غيرهم - يقولون: (الإيمان ... يزيد وينقص)^(٥).

(١) سورة البقرة، آية (٢٦٠).

(٢) رواه أبو أحمد الحاكم في شعار أهل الحديث (ص ٢٩) رقم (١٣).

(٣) الصواب أن يقال: لا نكفر أحدًا بكل ذنب.

(٤) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٦٠)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك باختصار (٤٨/٢).

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٤٢-٣٤٣) رقم (٧٢٦)، والآجري في الشريعة (ص ١١٧)، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص ٢٨) رقم (١٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨١٣) رقم (١١١٤). وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٥٢-٢٥٣)، ونقله

وفي رواية قال: (لقيت اثنين وستين شيخاً - وذكر منهم مالك بن أنس... قال كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)^(١).

وعن قيس بن مسلم، عن سعيد بن جبير: في قوله ﴿لِيَطْمِئَنَ قَلْبِي﴾ قال: ليزداد إيماني، وكذلك فسرهُ مالك بن أنس^(٢).

وقال عبد الله بن وهب: قال مالك: لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يخزن لسانه^(٣).

وقال عبد الرزاق: كان معمر، وابن جريج، وسفيان الثوري، ومالك ابن أنس يكرهون أن يقولوا: أنا مستكمل الإيمان على إيمان جبريل وميكائيل^(٤).

وقال القاضي عياض: قال غير واحد: سمعت مالكا يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض^(٥).

عنه الذهبي في السير (٨/١٠٨)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥٢).

(١) شرح اعتقاد أهل السنة (٥/٩٥٨) رقم (١٧٣٧).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول السنة (٥/٨٩٦) رقم (١٦٠٣).

(٣) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٦٣). وخزن الشيء يخزنه خزناً واختزنه: أحرزه

جعله في خزنة واختزنه لنفسه، وخزنت السر - واختزنه: كتتمته، والمعنى: يحفظ لسانه من

الكلام المحظور - كالغيبية والنميمة - الذي يؤدي إلى نقص الإيمان. قال الشاعر:

إذا المرء لم يخزن لسانه فليس على شيء سواه يخازن

انظر: الصحاح للجوهري (٥/٢١٠٨)، ولسان العرب (١٣/١٣٩).

(٤) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٥٣).

(٥) تقدم تخريجه.

○ المبحث الثالث ○

قوله في علاقة الإسلام بالإيمان والاستثناء في الإيمان

سأل عبد الملك الميموني الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - قال: قلت لأبي عبد الله: تفرّق بين الإسلام والإيمان؟ قال: نعم، وأقول: مسلم ولا أستثني، قلت: بأي شيء تحتج؟ قال: عامة الأحاديث تدل على هذا، ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك^(١)، ثم قال: قال لي ابن حنبل، وحماد بن زيد: يفرق بين الإيمان والإسلام، قال: وحدثنا أبو سلمة الخزاعي قال: قال مالك وشريك، وذكر قولهم، قول حماد بن زيد فرق بين الإيمان والإسلام^(٢).

قال الوليد بن مسلم: سمعت أبا عمرو - يعني الأوزاعي - ومالك بن أنس، وسعيد ابن عبد العزيز لا ينكرون أن يقول: أنا مؤمن، ويأذنون في الاستثناء أن أقول: أنا مؤمن إن شاء الله^(٣).

(١) من الأدلة على التفريق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الآية (١٤) من سورة الحجرات.

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومنه: قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ لَمْ تُعْطِ فُلَانًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، قَالَ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ» رواه البخاري (٣/٣٤٠).

(٢) رواه الخلال في السنة (٣/٦٠٤-٦٠٥ رقم ١٠٧٧) عن عبد الملك به، ومن طريقه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/٢١١)، وذكره ابن تيمية في الإبان (٣٥٥-٣٥٦).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٤٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٨٧٣).

○ المبحث الرابع ○

موقفه من مرتكب الكبيرة

قال ابن وهب: قال مالك: إن أصوب ذلك وأعدله عندي إذا قال: لا إله إلا الله ثم هلك، أن يغسل ويصلى عليه^(١).

وقال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا تكفروا أهل التوحيد بذنب، ولا تشركوهم^(٢).

وقال عبد الله بن نافع: سمعت مالكا يقول: لو أن رجلاً ركب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله، ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع - وذكر كلاماً - دخل الجنة^(٣).

وفي رواية عنه قال: لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئاً، ثم نجا من هذه الأهواء لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس؛ لأن كل كبيرة بين العبد وبين ربه هو منها على رجاء، وكل هوى ليس هو منه على رجاء، إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم^(٤).

وقال بشر بن عمران الزهري: سمعت مالكا يقول: لو أن العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئاً، ثم نجا من هذه البدع، والتناول لأصحاب رسول الله ﷺ، لأرجو أن يكون في أعلى درجات الفردوس مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً^(٥).

(١) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة: (٦/١٠٦٠).

(٢) البيان والتحصيل (١٨/٥٨٦).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥).

(٤) ترتيب المدارك (٢/٤٩)، والاعتصام (٢/٢٤٨).

(٥) مناقب مالك للزواوي (١٤٨).

□ الفصل الثالث □

قوله في صفات الله - جلّ وعلا -

○ المبحث الأول ○

قوله في القرآن وأنه كلام الله وصفة من صفاته

قال ابن أبي أويس: سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن، فقالوا: كلام الله عز وجل، وهو منه، وليس من الله عز وجل شيء مخلوق^(١).

وفي رواية أخرى: قال ابن أبي أويس: القرآن كلام الله، وعلمه، ووحيه، وتنزيله، هذه مقالة خالي مالك^(٢).

وقال عبد الله بن نافع: كان مالك بن أنس يقول: القرآن كلام الله^(٣).

وقال أبو مصعب الزهري: سمعت مالك بن أنس يقول: القرآن كلام الله وليس بمخلوق^(٤).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/١٥٦-١٥٧، رقم ٤١٥)، والآجري في الشريعة (ص ٧٩)، واللاكثي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٢٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥)، وذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٤٣)، الذهبي في كتاب العلو (١٠٤).

(٢) ذكره ابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥١).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (ص ٧٩)، وذكره ابن عبد البر في الانتقاء: من رواية عبد الله ابن أحمد عن أبيه عن سريج بن النعمان عن عبد الله بن نافع (ص ٣٤-٣٥)، وذكره ابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥٣).

(٤) رواه البيهقي في الأساء والصفات (١/٣٨٥).

وقال زهير بن عباد: كان كل من أدركت من المشايخ: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، وعبد الله ابن المبارك، ووكيع بن الجراح، وغيرهم ممن أدركت من فقهاء الأمصار: مكة، والمدينة، والعراق، والشام، ومصر وغيرها، يقولون: القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعه علم حتى يعلم ويؤمن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق^(١).

وعن سويد بن سعيد قال: سمعت مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض - وذكر أقوامًا غيرهم - إلى أن قال: وجميع من حملت عنهم العلم يقولون: القرآن كلام الله تعالى، وصفة ذاته غير مخلوق، من قال: إنه مخلوق؛ فهو كافر بالله العظيم^(٢).

وفي الجامع لابن أبي زيد القيرواني: قال مالك: القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيد ولا ينفد، وليس بمخلوق^(٣).

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١/٢٥٨-٢٦٠).

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٨٥)، والسنن الكبرى (١٠/٢٠٦).

(٣) الجامع (ص ١٣٣).

○ المبحث الثاني ○

قوله في صفة استواء الله على عرشه وعلوّه على خلقه

قال سحنون: أخبرني بعض أصحاب مالك أنه كان قاعداً عند مالك، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله! مسألة، فسكت عنه، ثم قال له: مسألة، فسكت عنه، ثم عاد، فرفع إليه مالك رأسه كالمجيب له، فقال له السائل: يا أبا عبد الله! مسألة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف كان استواؤه؟ قال: فطأطأ رأسه ساعة ثم رفعه، فقال: سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، ولا أراك إلا امرأ سوء، أخرجوه^(١).

وقال جعفر بن ميمون: سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه^(٢).

وقال مهدي بن جعفر^(٣): حدثنا جعفر بن عبد الله - وكان من أهل

(١) البيان والتحصيل (١٦/٣٦٧-٣٦٨).

(٢) رواه الصابوني في «عقيدة السلف» (ص ١٧)، وذكره في العتبية كما في البيان والتحصيل (١١/٣٦٧-٣٦٨).

(٣) مهدي بن جعفر بن حبهان الرملي الزاهد، توفي سنة ٢٣٠هـ. قال ابن حجر: صدوق له أوهام، ونقل عن ابن عدي قوله: يروي عن الثقات أشياء لا يتابع عليها، وقال البخاري: حديثه منكر. التقريب (ص ٥٤٨)، تهذيب التهذيب (١٠/٣٢٥).

الحديث ثقة-، عن رجل قد سماه لي قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله! ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: فما رأينا مالكا وجد من شيء كوجده من مقاتته، وعلاه الرخصاء وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه، قال: ثم سري عن مالك، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمره به فأخرج (١).

وقال عبد الله بن وهب: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرخصاء، ثم رفع رأسه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء

(١) رواه عثمان الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٦٦، برقم ١٠٤) عن مهدي بن جعفر به.

ورواه الصابوني في عقيدة السلف (ص ١٧-١٩ رقم ٢٥، ٢٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨ رقم ٦٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦) من طريق مهدي بن جعفر عن جعفر بن عبد الله قال - وفي رواية أبي نعيم: [كنا عند مالك (!) ف] - جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله! فذكره نحوه، ولم يذكر الرجل بينه وبين مالك. ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١) بسنده من طريق مهدي بن جعفر عن مالك ابن أنس، أنه سأله (!) عن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك، ثم قال: استواؤه مجهول (!)، والفعل منه غير معقول، والمسألة عن هذا بدعة».

قلت: هكذا في التمهيد لابن عبد البر، ولعله خطأ مطبعي، أو أنه من أوهام مهدي بن جعفر أو غيره من الرواة، ولو صح سند هذه الرواية؛ فإنها تعتبر شاذة، والصواب: (استواؤه غير مجهول)، وهذا الذي يتفق مع بقية الروايات.

صاحب بدعة، أخرجوه. قال: فأخرج الرجل^(١).

وقال يحيى بن يحيى التميمي: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرخصاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج^(٢).

قال عبد الله بن نافع: قيل لمالك: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء^(٣).

وقال مهدي بن جعفر: عن مالك بن أنس، أنه سأله عن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك ثم قال: استواؤه مجهول^(٤)، والفعل منه غير معقول، والمسألة عن هذا

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، وعنه الذهبي في العلو، وقال: إسناده صحيح (ص ١٠٣)، وذكره أيضاً في كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (ص ٨٠) رقم (٧)، ونقله عنه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥٦)، وانظر المختصر للألباني (ص ١٤١)، والفتح أيضاً: (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٣/ ١٥٠-١٥١)، والاعتقاد (ص ١١٦)، وذكره الذهبي في العلو (ص ١٠٤)، وعنه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥٦)، وانظر: مختصر العلو للألباني (ص ١٤١-١٤٢).

(٣) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٨).

(٤) هكذا في التمهيد لابن عبد البر، ولعله خطأ مطبعي أو أنه من أوهام الراوي عن مالك وو

بدعة^(١).

وقال بقي بن مخلد: حدثنا أيوب بن صالح المخزومي بالرملة^(٢)، قال: كنا عند مالك إذ جاء عراقي فقال له: يا أبا عبد الله، مسألة أريد أن أسألك عنها؟ فطأطأ مالك رأسه، فقال له: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، إنك أمرؤ سوء، أخرجوه بضبعيه فأخرجوه^(٣).

وقال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليا حتى علاه الرخصاء، وما رأينا مالكا وجد من شيء وجدته من مقالته، وجعل الناس ينظرون ما يأمر به، ثم سُرِّي عنه، فقال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاً، أخرجوه. فناده الرجل: يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدا وفق لما وفقت إليه^(٤).

مهدي ولعل هذا من أوهامه أو مما لا يتابع عليه كما في ترجمته، ولو صح سند هذه الرواية فتعتبر شاذة، والصواب (استواؤه غير مجهول) وهذا الذي يتفق مع بقية الروايات.

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٧/١٥١).

(٢) الرملة: واحدة الرمل، مدينة عظيمة بفلسطين، كانت رباطاً للمسلمين، معجم البلدان (٦٩/٣).

(٣) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٧/١٥١).

(٤) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٣٩)، ونقله عنه الذهبي في السير (٨/١٠٦-١٠٧).

وعن جعفر بن ميمون قال: سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالًّا وأمر به أن يخرج من مجلسه^(١).

(١٠٧)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥١-٥٢).

(١) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص ١٧) رقم (٢٤).

○ المبحث الثالث ○

قوله في صفة المعية وصفة النزول^(١)

عن عبد الله بن نافع قال: كان مالك بن أنس رحمه الله يقول: (الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء) وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَايَعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُمْ سَادِسُهُمْ﴾^(٢).

وقال القاضي عياض: قال غير واحد: سمعت مالكا يقول: (الله في السماء، وعلمه في كل مكان)^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل آثارا عن السلف في إثبات علو الله على خلقه ونفي الحلول؛ ومنها رواية عبد الله بن نافع: «وروى هذا الكلام عن مالك مكي خطيب قرطبة^(٤) فيما جمعه من تفسير مالك نفسه، وكل هذه الأسانيد صحيحة»^(٥).

قال زهير بن عباد: كل من أدركت من المشايخ: مالك بن أنس، وسفيان، وفضيل ابن عياض، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح،

(١) ما روي عن مالك في تأويل هذه الصفة لم يثبت. راجع الأصل.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/١٠٦-١٠٧ رقم ١١) و(٢٨٠ رقم ٥٣٢)، ورواه الآجري في الشريعة (ص ٢٨٩)، والذهبي في العلو (ص ١٠٣)، وإسناده صحيح.

(٣) ترتيب المدارك (٢/٤٣).

(٤) مكي بن أبي طالب بن محمد المختار، القيسي القيرواني، ثم القرطبي صاحب التصانيف، قال الذهبي: «كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم». توفي سنة ٤٣٧ هـ. السير

(٥) معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٣٩٤).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٦١-٢٦٢).

يقولون: النزول حق^(١).

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١/ ٣٤١)، ونقل أبو عمر الطلمنكي إجماع السلف على

ذلك؛ كما في شرح حديث النزول لابن تيمية (ص ١٨٨).

○ المبحث الرابع ○

إثباته رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بأبصارهم

قال عبد الله بن وهب: قال مالك - رحمه الله تعالى - : (الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم) ^(١).

وقال أشهب بن عبد العزيز: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله! هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيّر الله الكفار بالحجاب ^(٢)، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ^(٣).

وفي رواية زاد فقال: يا أبا عبد الله! فإن قومًا يزعمون أن الله لا يرى، قال مالك: (السيف.. السيف) ^(٤).

قال ابن نافع وأشهب وأحدهما يزيد على الآخر: قلت: يا أبا عبد الله! ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ^(٥) إلى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ؟ قال: نعم بأعينهم هاتين، قلت له: فإن قومًا يقولون: لا ينظر إلى الله، إن ﴿نَاطِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا، بل ينظرون إلى الله؛ أو ما سمعت قول موسى ع: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾؟ أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ في الدنيا؛ لأنها دار فناء، ولا ينظر ما يبقى بها يفنى، فإذا صاروا إلى

(١) رواه الآجري في الشريعة (ص ٢٥٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٠١ رقم ٨٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦)، وذكره الذهبي في السير (٨/ ٩٩).

(٢) في هذا إشارة إلى أن الإمام مالك يرى عدم رؤية الكفار لله عز وجل، وهو الذي عليه الجمهور. الفتاوى (٦/ ٤٨٧).

(٣) سورة المطففين، آية (١٥).

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٦٨، رقم ٨٠٨).

دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى، وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾^(١).

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: سأل أبو السمح مالكا فقال: يا أبا عبد الله! أنرى الله يوم القيامة؟ فقال: نعم؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال لقوم آخرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾^(٢).

قال أبو حفص التنيسي^(٣): سمعت مالك بن أنس يقول: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قوم يقولون: إلى ثوابه! قال: كذبوا؛ فأين هم من قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾^(٤).

وفي الجامع لابن أبي زيد القيرواني: قيل لمالك: أيرى الله عز وجل يوم القيامة؟ قال: نعم، يقول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٥).

(١) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٤٢/٢)، والذهبي في السير (١٠٢/٨)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥١). وقد رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٠١-٥٠٢ رقم ٨٧٢) من طريق أشهب ببعضه.

(٢) ذكره في العتبية كما في البيان والتحصيل (٤٧٨/١٨)، وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٣٦)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (ص ٥٤-٥٥).

(٣) عمرو بن أبي سلمة التنيسي - بمشاة ونون ثقيلة بعدها تحتانية ثم مهملة - أبو حفص الدمشقي، مولى بني هاشم، صدوق له أوهام، من كبار العاشرة، مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها ع. تقريب التهذيب (ص ٤٢٢، برقم ٥٠٤٣).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦).

(٥) كتاب الجامع (ص ١٢٣).

□ الفصل الرابع □

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

○ المبحث الأول ○

ما ورد عنه في التفاضل بين الأنبياء والرسل وتعظيمهم

قال عبد الرحمن بن القاسم: سمعت مالك بن أنس يقول: (بلغني أن عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا كان حملهما جميعاً، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، قال مالك: أراه لفضل عيسى على يحيى) ^(١).

وقال مالك رحمه الله: من سبَّ أحدًا من الأنبياء والرسل، أو جحد ما أنزل عليهم، أو جحد منهم أحدًا، أو جحد ما جاؤوا به؛ فهو بمنزلة من سبَّ رسول الله ﷺ، يُصنع فيه ما يُصنع فيه هو؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ^(٢).

وقال: ﴿قُولُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ^(٣).

(١) نقله ابن كثير من تفسير ابن أبي حاتم كما في تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٢١)، وعزاه إليه ابن

حجر في فتح الباري (٦/ ٤٦٨)، وسنده صحيح إلى مالك.

(٢) سورة البقرة، آية (٢٨٥).

(٣) سورة البقرة، آية (١٣٦).

ثم قال على إثرها: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نُؤَلُّوا فَإِنَّمَاهُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وقال في النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٢).

ففي هذا كله بيان^(٣).

(١) سورة البقرة، آية (١٣٧).

(٢) سورة النساء، آية (١٥٠-١٥١).

(٣) البيان والتحصيل (١٦/٤١٥).

○ المبحث الثاني ○

ما ورد عن الإمام مالك في الإيمان بالنبى ﷺ

المطلب الأول:

الاعتداء به وتعظيمه وإجلاله

قال بشر بن عمر: كان مالك لا يضحك، ف قيل له في ذلك، فقال: (الضحك يدعو إلى السفه)، وقد بلغني أن ضحك النبي ﷺ كان تبسماً^(١).

قال أبو مصعب الزهري: سمعت مالكا يقول: إني لأذكر وما في وجهي طاقة شعر، وما منا أحد يدخل المسجد إلا معتماً؛ إجلالاً لرسول الله ﷺ^(٢).

قال معن بن عيسى: كان مالك بن أنس -رحمة الله عليه- إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوته عنده؛ قال: اغضض من صوتك؛ فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ من رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت النبي ﷺ^(٣).

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه،

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥٢).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٧).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٤٠٦)، وابن ناصر الدين الدمشقي في

إتحاف السالك (ق ٣/ ب).

وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يوماً في ذلك؟ فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه، لقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرَّ، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، قد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إمّا مصلياً، وإمّا صامتاً، وإمّا يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزع منه الدم، وقد جفَّ لسانه في فمه هيبَةً لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم - وكان من المتعبدين المجتهدين - فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه^(١).

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥١-٥٢)، والشفاء (٢/ ٥٩٧-٥٩٨).

المطلب الثاني:

تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ

قال أبو مصعب الزهري: كان مالك لا يحدث إلا على وضوء؛ إجلالاً منه لحديث رسول الله ﷺ^(١).

وقال أبو سلمة الخزامي: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوته، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك؟ فقال: أوقر حديث رسول الله ﷺ^(٢).

وقال إسماعيل بن أبي أويس: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرَّح لحيته، وتمكَّن في جلوسه بوقار وهيبة وحدَّث، فقيل له في ذلك؟ فقال: أحبُّ أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث إلا على طهارة متمكناً^(٣)، وفي رواية: قال: كان خالي مالك لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة^(٤).

وقال مطرّف بن عبد الله: كان مالك إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١/٤١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣١٨)، وابن عبد البر في جامع العلم (٢/١٩٩).

(٢) رواه الراهمهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٥٨٥)، الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١/٣٨٨).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣١٨)، والبيهقي في المدخل (ص ٣٩٢)، وابن ناصر الدين الدمشقي في إتحاف السالك (ق ٣/أ).

(٤) رواه ابن ناصر الدين الدمشقي في إتحاف السالك (ق ٣/ب).

اغتسل وتطيّب، ولبس ثياباً جددًا، ثم يحدث، قال غيره: إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ^(١).

وقال يحيى بن عبد الله بن بكير: كان مالك بن أنس -رحمه الله تعالى- إذا عرض عليه الموطأ تهيأ ولبس ثيابه، وعمامته، ثم أطرق، فلا يتنخم، ولا يبزق، ولا يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة؛ إعظامًا لحديث رسول الله ﷺ^(٢).

وعن مصعب بن عبد الله الزبيري -وغير واحد-: أن هارون الرشيد لما حجّ أتى مالكا فاستأذن عليه فحجبه، ثم أذن له -وفي رواية بعضهم: ثم خرج إليه- فلما دخل عليه، قال: يا أبا عبد الله! ما حملك على أن أبطأت وقد علمت مكاني؟ وفي رواية: حبستنا ببابك - فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن توضأت، وعلمت أنك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ فأحببت أن أتأهب له، فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلاً^(٣).

قال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري -قاضي المدينة-: مر مالك ابن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازته، فقبل له؟ فقال: إني لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم^(٤).

(١) رواه القاضي في الإلماع (ص ٢٤٢).

(٢) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١/٣٨٥) والسمعاني في «أدب الإملاء» (ص ٣٥).

(٣) ترتيب المدارك (٢/١٩).

(٤) رواه الترمذي في العلل الصغير (١/٧٤٨)، ومن طريقه ابن عدي في الكامل في الضعفاء

(١/٩٠)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣١٨)، والخليلي في الإرشاد (١/٢١١)، والخطيب في

الجامع لأخلاق الراوي (١/٤٠٨).

وقال ابن القاسم: قيل لمالك: لم لم تكتب عن عمرو بن دينار؟ قال: آتيته والناس يكتبون عنه قيامًا، فأجلت حديث رسول الله ﷺ أن أكتبه قائمًا^(١).

قال إسماعيل بن أبي أويس: كان مالك يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل، وقال: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ^(٢).

وقال عبد الرحمن بن مهدي: سألت مالك بن أنس عن حديث وأنا أصحبه في الطريق، فقال: هذا حديث رسول الله ﷺ وأكره أن أحدثك ونحن نستطرق الطريق، فإن شئت أن أجلس وأحدثك به فعلت، وإن شئت أن تصحبني إلى منزلي وأحدثك به فعلت؟ قال: فصحبته إلى منزله، فجلس، وتمكن، ثم حدثني^(٣).

وقال ابن مهدي: وسألوا مالكا بالموسم وهو قائم فلم يحدثهم^(٤).
وعنه قال: مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فاتنهرني، وقال لي (كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي)^(٥).

وقال خالد بن نزار: سألت مالكا عن شيء - وكان متكئا - فقال:

(١) رواه الخطيب في الجامع (٤٠٨/١)، وذكره الذهبي في السير (٦٧/٨).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣١٨/٦)، والبيهقي في المدخل (ص ٣٩٢)، وابن ناصر الدين الدمشقي في إتحاف السالك (ق ٣/أ).

(٣) رواه الخطيب في الجامع (٤٠٨/١).

(٤) ترتيب المدارك (٢/٢٥).

(٥) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى (٢/٦٠٣).

حدثني يحيى بن سعيد عن سعيد المسيب، ثم استوى جالسًا، وتخلل بكساء وقال: (أستغفر الله، فقلت له في ذلك؟ فقال: إن العلم أجل من ذلك، ما حدثت عن رسول الله ﷺ وأنا متكئ) (١).

وقال إسماعيل بن أبي أويس: لم يكن يجلس مالك على المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله ﷺ (٢).

وقال سعيد بن عفير: سألت مالك بن أنس عن الرجل يسمع الحديث فيأتي به على معناه؟ فقال: (لا بأس به، إلا حديث رسول الله ﷺ، فإني أحب أن يؤتى به على ألفاظه) (٣).

وفي رواية قال: قال مالك بن أنس: كل حديث للنبي ﷺ يؤدي على ألفاظه، وعلى ما روي، وما كان عن غيره فلا بأس إذا أصاب المعنى (٤).

وقال معن بن عيسى: سألت مالكا عن معنى الحديث؟ فقال: (أما حديث رسول الله ﷺ فأدّه كما سمعته، وأما غير ذلك فلا بأس بالمعنى) (٥).

وقال أشهب بن عبد العزيز: سألت مالكا عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد؟ فقال: أما ما كان منها قول رسول الله ﷺ فإني أكره ذلك، وأكره أن يزداد فيها وينقص منها، وما كان من قول غير رسول الله

(١) ترتيب المدارك (١٨/٢).

(٢) المصدر السابق (١٦/٢)، والشفاء (٦٠١/٢-٦٠٢).

(٣) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٣٤/٢).

(٤) رواه الخطيب في الكفاية في علم الرواية (ص ٢٨٨).

(٥) رواه الخطيب في الكفاية (ص ٢٨٩).

ﷺ فلا أرى بذلك بأسًا إذا كان المعنى واحدًا^(١).

وقال معن بن عيسى: كان مالك يتقي في حديث رسول الله ﷺ ما بين
التي والذي ونحوهما^(٢).

وفي رواية: كان مالك يتحفظ من الباء والتاء والشاء في حديث رسول
الله ﷺ^(٣).

(١) رواه الخطيب في الكفاية (ص ٢٨٨).

(٢) رواه الخطيب في الكفاية (ص ٢٧٥).

(٣) رواه الخطيب في الكفاية (ص ٢٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣١٨).

المطلب الثالث:

تعظيم الإمام مالك للمدينة وتفضيلها على مكة^(١)

قال القاضي^(٢): قال محمد مسلمة: دخل مالك على المهدي فقال له: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «المدينة مهاجري، وبها قبري، وبها مبعثي، وأهلها جيراني، وحقيق على أمتي حفظي في جيرانني، فمن حفظهم كنت له شهيداً، أو شفيحاً يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيرانني؛ سقاه الله من طينة الخبال»^(٣).

وقال الشافعي: رأيت بباب مالك كراعياً^(٤) من أفراس خراسان، ويقال: مصر، فقلت له: ما أحسنها! فقال: هي هبة مني إليك، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحي من الله أن أطأ تربة فيها نبي الله بحافر دابتي^(٥).

(١) وللإمام مالك رواية أخرى في تفضيل مكة على المدينة، راجع الأصل.

(٢) ترتيب المدارك (٢/١٠٩ - ١١٠).

(٣) رواه ابن عدي من حديث معقل بن يسار وعائشة من طريقين:

الطريق الأول: فيه محمد بن الحسن بن زباله متروك واهي الحديث.

والطريق الثاني: فيه عبد السلام بن أبي الجنوب، متروك الحديث، وفيه عمرو بن عبيد البصري

المعتزلي القدري، مبتدع ضال، داع إلى بدعته، كذبه بعض العلماء وتركوا حديثه. الكامل

(٥/١٧٦٢، ١٩٦٩، ٦/٢١٨)، وانظر: الميزان (٢/٦١٤، ٣/٢٧٣، ٦١٤).

(٤) الكراع: اسم يجمع الخيل. انظر لسان العرب (٨/٣٠٧).

(٥) ذكره في ترتيب المدارك (٢/٥٣)، والشفا (٢/٢٦٠)، والزركشي - في إعلام الساجد

(ص ٢٥٨)، ولم أر للإمام مالك - رحمه الله تعالى - سلفاً في فعله هذا، ولم أقف على إسناد لهذه

الرواية والتي قبلها للتمكن من الحكم على صحتها، ولكن ذكر القاضي عياض ما يعارضها من

أن مالكا روي ركباً بغلة: فعن أبي السمح عبد الله بن السمح قال: «رأيت مالكا على بغلة سرية

وذكر القاضي عياض: أن الإمام مالكا أفتى فيمن قال: تربة المدينة ردية، يضرب ثلاثين درة، وأمر بحبسه - وكان له قدر - وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه، تربة دفن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها غير طيبة^(١).

وقال ابن أبي زيد القيرواني: قال مالك: اختار الله المدينة لرسوله ﷺ لمحياه ومماته، وتبوت بالإيمان والهجرة، وافتتحت القرى بالسيف حتى مكة، وافتتحت المدينة بالقرآن. ولو علم عمر موضعا أفضل منها لم يدع الله أن يدفن فيها^(٢)، قال مالك: وبها حدث^(٣) رسول الله ﷺ وآثاره، ومنبره،

بسرج سري عليه؛ وغلाम يمشي خلفه؛ حتى أتى إلى باب داره فدخل راكباً إلى موضع مُعرسه؛ فنزل؛ وقعد..»؛ ولكن القاضي عياض رد هذه الرواية بقوله: الأخبار المشهورة عنه بخلاف هذا كما سنذكره، وأنه كان لا يركب بالمدينة إكراماً لتربة فيها رسول الله ﷺ مدفون. ترتيب المدارك (١/١٢٥-١٢٦).

(١) الشفا (٢/٦٢٠)، وقد روت عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به فرحة أو جرح. قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا- ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا». رواه البخاري (الفتح: ١٠/٢٠٦)، ومسلم (٤/١٧٢٤).

قيل: إن المقصود بقوله: «تربة أرضنا» المدينة لبركتها، وقد ذكر ابن القيم فائدة تربة الأرض عموماً، ثم قال: «وإذا كان هذا في هذه التريات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها، وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ!» زاد المعاد (٤/١٨٧)، وانظر: شرح النووي لمسلم (١٤/١٨٤)، ووفاء الوفاء: (١/٦٧-٦٩).

(٢) يعني بذلك ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ) صحيح البخاري (الفتح ٤/١٠٠).

(٣) الحدث: القبر، يعني قبره ﷺ. النهاية (١/٢٤٣).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ الآية، سورة المعارج، آية (٤٣).

ومنها يحشر خيار الناس، وقد بارك فيها النبي ﷺ وفي مدّهم، وصاعهم،
ورغّب في سكنها، والصبر على لأوائها^(١).

وقال مالك: (استشارني بعض ولاة المدينة أن يطلع منبر رسول الله ﷺ
بخفين، فنهيته عن ذلك، ولم أر أن يطلعه بخفين)^(٢).

(١) الجامع (ص ١٣٨)، وما ذكره مالك من خصائص المدينة كله ثابت وصحيح.

انظر: فضائل المدينة من الموطأ (٢/ ٨٨٤-٨٩٣)، وصحيح البخاري (الفتح: ٤/ ٨١-٩٩)،

ومسلم (٢/ ٩٩١-١٠١٧).

(٢) ذكره في العتبية كما في البيان والتحصيل (٣/ ٤٢٨) (١٧/ ٥٣٣).

المطلب الرابع:

موقف الإمام مالك من الدعاء أمام قبر الرسول ﷺ

قال القاضي عياض في المبسوط ^(١) عن مالك قال: (لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي).

ثم قال: قال مالك - في رواية ابن وهب -: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا له؛ يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو، ويسلم، ولا يمس القبر.

وقال مالك - في المبسوط -: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء، وقال فيه أيضًا: ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر، قيل له: فإن أناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو الأيام المرة والمرة أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال مالك: لم يبلغني هذا عن أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ^(٢)، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراد. قال: وقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله

(١) انظر: الشفا (٢/ ٦٧١-٦٧٨).

(٢) قول مالك هذا رواه ابن عبد البر في التمهيد من قول وهب بن كيسان رواه عنه مالك

على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١)، قال: وقال النبي ﷺ: «لا تجعلوا قبوري عيداً»^(٢).

(١) رواه مالك في الموطأ مرسلاً (١/١٧٢)، انظر: التمهيد (٥/٤١-٤٤) قال الألباني: «صحيح».

تحذير المساجد (٢٤-٢٦)، غاية المرام (ص: ٩٨).

(٢) رواه أحمد (٢/٣٦٧)، وأبو داود (٢/٢١٨).

قال الألباني: صحيح. انظر: تحذير المساجد (ص ١٤٠-١٤٢)، غاية المرام (ص ٩٨).

المطلب الخامس:

موقف الإمام مالك - رحمه الله تعالى - من السفر لزيارة

قبر النبي ﷺ

كره الإمام مالك أن يقول الرجل: زرت قبر رسول الله ﷺ واستعظمه^(١).

كذلك كره الإمام مالك - رحمه الله تعالى - النذر بالسفر إلى المدينة وبيت المقدس؛ لما فيه من الإيهام بأن يكون القصد من السفر زيارة القبور عندها؛ لأن شد الرحل من أجل زيارة القبر لا يجوز لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»^(٢)، ونذر المعصية لا يجوز الوفاء به لقوله ﷺ: «لا نذر في معصية»^(٣).

وقد سُئل الإمام مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال مالك: إن كان أراد القبر فلا يأتيه، وإن أراد المسجد فليأته، ثم ذكر الحديث: «لا تشد الرحال...»^(٤).

وفي رواية: قال مالك: من قال: لله عليّ أن آتي المدينة، أو بيت المقدس، أو المشي إلى المدينة، أو المشي إلى بيت المقدس؛ فلا شيء عليه، إلا أن يكون

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/٢٣٥-٢٣٦).

(٢) رواه البخاري (الفتح: ٧٠/٣)، ومسلم (٩٧٦/٢).

(٣) رواه مسلم (١٢٦٣/٣).

(٤) المدونة (٨٧/٢)، وانظر: الكافي لابن عبد البر (١/٤٥٨).

نوى بقوله ذلك أن يصلي في مسجد المدينة، أو مسجد بيت المقدس، فإن كان تلك نيته؛ وجب عليه الذهاب إلى المدينة أو إلى بيت المقدس راكباً^(١).

(١) انظر: كتاب الشفا (٢/٦٦٦-٦٧٨).

الفصل الخامس:

قول الإمام مالك في الإيمان باليوم الآخر ومقدماته (١)

أولاً: قوله في أشراف الساعة:

قال في العتبية: قال مالك: (بلغني أنه تبعث نار من أرض اليمن تسوق الناس إلى أرض المحشر)^(١).

وقال مالك: (وقد كان يقال من أشراف الساعة تقارب الأسواق)^(٢).

ثانياً: قوله في صفة الجنة:

وقال مالك: (ليس شيء أشبه بثمار الجنة من الموز؛ لا تطلبه في شتاء ولا صيف إلا وجدته، وقرأ ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾)^(٣).

ثالثاً: قوله في الميزان:

قال زهير بن عباد: كل من أدركت من المشايخ: مالك، وسفيان، وفضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، كانوا

(١) روى الإمام مالك عدداً من الأحاديث المتعلقة باليوم الآخر ومقدماته في الموطأ (١/١٨٧، ٢٣٩) و(٢/٩٩٤).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/٣٦٠).

وهذا الأثر من قول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٥-٢٢٢٦).

(٣) البيان والتحصيل (١٨/٤١٢).

وهذا الأثر من قول النبي ﷺ كما في مسند أحمد (٢/٥١٩).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٣١)، والآية من سورة الرعد رقم (٣٥).

يقولون: الميزان حق^(١).

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢/ ٥٦٠).

الفصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره

○ المبحث الأول ○

موقف الإمام مالك من الإيمان بالقدر وما نقل عنه في هذا الباب

قال مالك لرجل: سألتني عن القدر؟ فقال الرجل: نعم. قال: يقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١)، حقت كلمة ربك ليملأن جهنم منهم، فلا بد أن يكون ما قال^(٢). قلت: يقصد مالك القدرية.

وقال أشهب بن عبد العزيز: سألت مالكا عن قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا نَزَّلْنَا لُونًا مُخْتَلِفِينَ﴾^(٣) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٤) ﴿١١٩﴾، قال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير^(٥).

ولمالك رواية أخرى أشار إليها ابن كثير؛ قال: وعن مالك فيما روينا عنه من التفسير ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: للرحمة^(٥).

(١) سورة السجدة، آية (١٣).

(٢) البيان والتحصيل (١٧/٥٠٣).

(٣) سورة هود، آية (١١٨، ١١٩).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/١٤٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٥٤٩)،

وذكره البغوي في تفسيره (٢/٤٠٦)، والقرطبي في تفسيره (٩/١١٥)، وابن كثير في تفسيره

من رواية ابن وهب (٢/٤٦٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٤٦٥).

وفي العتبية: سئل مالك عن الأمراض تقع في بعض البلدان فيكثر فيهم الموت، وقد كان الرجل يريد الخروج إلى ذلك الموضع، فلما بلغه كثرة ذلك المرض والموت كره أن يخرج إليه؟ قال: ما أرى بأساً إن خرج أو أقام، وذكر الحديث الذي جاء عن رسول الله ﷺ في الطاعون، فقليل له: أفتراه يشبه ما جاء في الحديث من الطاعون؟ قال: نعم^(١).

وسأله رجل وقال له: الفواحش كتبها الله علينا؟ قال مالك: (نعم قبل أن يخلقنا، ولا بد لمن كتب الله عليه ذلك أن يعملها، ويصير إلى ما قدر عليه وكتبه)^(٢).

وقال مروان بن محمد: كنت عند مالك، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله! إن فلاناً دخل مسجد رسول الله ﷺ ووضع يده على المنبر، وعاهد الله لا يعصي الله بعد هذا، فقال مالك: (ما هو بأعظم جرماً من فعل هذا؛ يلحف على الله أن يرد قضاء قدر عليه! كان من حكمة أن يسأل الله العصمة والتوفيق)^(٣).

وقال حمزة^(٤) بن ربيعة: قال مالك: (لم نؤمر أن نتكل على القدر، وإليه نصير)^(٥).

(١) البيان والتحصيل (١٧/٣٩٦)، وذكره ابن زيد القيرواني في الجامع (ص: ٢٤٣).

الحديث الذي جاء في الطاعون رواه مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» (٢/٨٩٤-٨٩٧).

(٢) ترتيب المدارك (٢/٤٨).

(٣) رواه الخليلي في الإرشاد (١/٤٥٨).

(٤) كذا في المطبوع.

(٥) رواه الخلال في السنة (ص ٥٥١، برقم ٩٢٤). قال المحقق على السنة: «رجاله ثقات، غير أنني لم أجد ضمرة فيمن روى عن مالك». ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأثر في الفتاوى (٨/١٠٥) من السنة للخلال، لكن قال: «قال ضمرة بن ربيعة» ولم يرفعه إلى مالك. والله أعلم.

وقيل للإمام مالك بن أنس: إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث، فقال: احتجوا عليهم بآخره؛ وهو قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(١).

(١) الحديث من رواية أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِي لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الذِّبْرُ الْقَسِيرُ﴾. قالوا: يا رسول الله! أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» رواه مالك في الموطأ (٢٤١/١) والبخاري (٥١٢/٨، ٤٩٣/١١)، ومسلم (٢٠٤٧/٤) - (٢٠٤٨).

○ المبحث الثاني ○

حكم الرقى والتمائم والنشرة عند الإمام مالك

أولاً: حكم الرقى عند الإمام مالك:

سُئِلَ الإمام مالك: أيرقي الرجل ويستريقي؟ قال: لا بأس بذلك بالكلام الطيب^(١).

قيل لمالك: فيكتب للمحموم القرآن؟ قال: لا بأس به، ولا بأس أن يرقى بالكلام الطيب^(٢).

قال ابن وهب: سُئِلَ مالك عن الرقى بالحديد والملح وعقد الخيط، فكره ذلك كله، وكان العقد عنده في ذلك أعظم كراهية. وفي رواية قال: لم يكن ذلك من أمر الناس القديم^(٣).

ثانياً: حكم النشرة بالأشجار والإدهان عند الإمام مالك:

قال في العتبية: سُئِلَ مالك عن النشرة بالأشجار والإدهان، قال: لا بأس بذلك، قد سحرت عائشة فيما بلغني، فأقامت أياماً، ثم أتيت في منامها، فقيل لها: خذي ماءً من ثلاثة آبار يجري بعضها إلى بعض فاغتسلي به، قال: ففعلت، فذهب عنها ما كانت تجد^(٤).

(١) البيان والتحصيل (١٨/٤٢٦).

(٢) الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص: ٢٣٧-٢٣٨).

(٣) البيان والتحصيل (١٧/١٦٥).

(٤) البيان والتحصيل (١٨/٦٠٠)، الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص: ٣٣٩)، وفعل عائشة رواه

ثالثاً: حكم التمائم إذا كانت من القرآن عند الإمام مالك:

قال مالك رحمه الله: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عز وجل على أعناق المرضى على وجه التبرك بها، إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين.

وقال في العتبية: سُئل مالك عن الذي يعلق الحرز من الحمرة؟ فقال: أرجو أن يكون خفيفاً، قيل له: فالذي يكتب له القرآن من الحمى؟ فقال: لا بأس به، وما سمعت فيه شيئاً^(١).

قال في العتبية: سُئل مالك عما يعلّق في أعناق النساء من القرآن وهن حيّض؟ فقال: ليس بذلك بأس إذا جعل في كُنّ في قصبه حديد أو جلد يخرز عليه، وكذلك الصبيان فلا أرى بذلك بأساً، قلت: رأيت إن علّق عليها هكذا ليس عليه شيء يُكنّه، فقال: ما رأيت من يفعل ذلك، وليس بفعل هذا بأس، قيل: أفرأيت الحبلى يكتب لها الكتاب تعلقه؟ قال: أرجو أن لا يكون بذلك بأس؛ إذا كان ذلك من القرآن وذكر الله أو شيئاً معروفاً، وأما ما لا يدري ما هو، والكتاب العبراني، وما لا يعرف؛ فإني أكرهه^(٢).

ابن عبد البر نحوه. التمهيد (٦/٢٤٥)، وانظر: المنتقى للباجي (٧/٢٥٨).

(١) البيان والتحصيل (١٨/٤٢٦)، الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص: ٢٣٨-٢٣٩).

(٢) البيان والتحصيل (١/٤٣٨).

الفصل السابع: نواقض الإيمان

○ المبحث الأول ○

حكم سبه ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام عند الإمام

مالك

قال ابن القاسم ومطرف: قال مالك: (من سبَّ النبيَّ ﷺ من المسلمين قُتل، ولم يستتب)^(١).

قال أبو مصعب وابن أبي أويس: سمعنا مالكا يقول: من سب النبيَّ ﷺ أو شتمه، أو عابه، أو تنقصه قُتل، مسلماً كان أو كافراً، ولا يستتاب^(٢).

وقال أشهب: قال مالك: (من سبَّ النبيَّ ﷺ من مسلم أو كافر قُتل، ولم يستتب)^(٣).

وقال ابن وهب: قال مالك: (من قال: إن رداء النبيَّ ﷺ وسخ؛ أراد عييه، قُتل)^(٤).

سأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبيَّ ﷺ، وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده، فغضب مالك وقال: (يا أمير المؤمنين! ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها، من شتم الأنبياء قُتل، ومن شتم أصحاب النبيَّ ﷺ جُلد)^(٥).

(١) الشفا (٢/٩٣٦-٩٣٧)، الصارم المسلول (ص ١٣١).

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) المصدرين السابقين.

(٤) الشفا (٢/٩٣٧-٩٣٨)، المعيار المغرب (٢/٣٢٧).

(٥) الشفا (٢/٩٥٤)، الصارم المسلول (ص ٥٦٩)، المعيار المغرب (٢/٣٥٦).

وروى الوليد بن مسلم عن مالك: أنه جعل سبَّ النبي ﷺ ردة^(١).
 وقال أيضًا: من شتم الأنبياء أو أحدًا منهم أو تنقصه قُتل ولم يستتب،
 ومن سبَّهم من أهل الذمة قُتل، إلا أن يسلم^(٢).
 وعن ابن المواز قال: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سبَّ النبي ﷺ
 أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قُتل، ولم يستتب^(٣).
 وعن مطرف بن عبد الله: أن الإمام مالكًا قال: من سبَّ النبي ﷺ من
 المسلمين أو أحدًا من الأنبياء أو انتقصه قُتل، وكذلك من فعل ذلك من
 اليهود والنصارى قُتل، ولا يستتاب إلا أن يسلم قبل القتل^(٤).

(١) الشفا (٢/٩٣٣)، الصارم المسلول (ص ٣١١)، فتح الباري (١٢/٢٨١).

(٢) الشفا (٢/١٠٩٧، ١٠٩٨).

(٣) الشفا (٢/٩٣٧).

(٤) الصارم المسلول (ص ٣١١).

○ المبحث الثاني ○

سب وشتم الصحابة وأمهات المؤمنين ﷺ وموقف مالك من

ذلك

قال: من سبَّ أبا بكر جُلْد، ومن سبَّ عائشة قُتِل، قيل له: لم؟! قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فمن عاد لمثله فقد كفر^(٢).

قال مالك: من شتم النبي ﷺ قُتِل، ومن شتم أصحابه أُدِّب^(٣).

وقال أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ؛ أبا بكر وعمر أو عثمان أو معاوية، أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر، قُتِل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاقمة الناس نكل نكالا شديداً^(٤).

وقال هشام بن عمار: قال مالك: «من سبَّ أبا بكر جُلْد، ومن سبَّ عائشة قُتِل، قيل له: لم؟! قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، فمن عاد لمثله

(١) سورة النور، آية (١٧).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره: (٢٠٥ / ١٢)، والقاضي في الشفا: (١١٠٩ / ٢)، وابن تيمية في

الصارم المسلول: ص (٥٦٦)، والزواوي في مناقب مالك: ص (١٤٤).

(٣) الشفا (٢ / ٩٥٤)، الصارم المسلول (ص ٥٦٩).

(٤) الشفا (٢ / ١١٠٨)، مناقب مالك للزواوي (ص ١٤٣).

(٥) سورة النور، آية (١٧).

فقد كفر»^(١).

وقال أبو عروة - رجل من ولد الزبير - : كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٢).

فقال مالك: (من أصبح في قلبه غيظ على أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقد أصابته هذه الآية)^(٣).

وقال أحمد بن حنبل: قال مالك رحمه الله: (الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهم، - أو قال: نصيب - في الإسلام)^(٤).

وعن أبي جعفر الأبلي قال: قال مالك رحمه الله: ليس لمن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق^(٥).

وفي رواية: عن معن بن عيسى قال: سمعت مالكا يقول: (ليس لمن

(١) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٢، الشفا: ١١٠٩/٢، وابن تيمية في الصارم المسلول ص (٥٦٦)،

مناقب مالك للزواوي: ص (١٤٤).

(٢) سورة الفتح، آية (٢٩).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٢٧/٦)، وذكره كل من القرطبي في تفسيره (٢٩٦/١٦-٢٩٧)،

وابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٤)، والبعوي في تفسيره (٢٠٧/٤).

(٤) رواه الخلال في السنة (٤٩٣/٣)، برقم (٧٧٩)، وذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص ١٦٢).

(٥) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة برقم (١٩٠).

سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق، قد قسم الله الفيء على ثلاثة أصناف فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١).

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)، فإنما الفيء لهؤلاء الثلاثة الأصناف^(٤).

عن عبد الله بن سوار العبدي قال: قال مالك: (من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غلٌّ؛ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا الآيات من قوله تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾^(٥)، قال: فمن تنقصهم أو كان في قلبه غل؛ فليس له في الفيء حق)^(٦).

(١) سورة الحشر، آية (٨).

(٢) سورة الحشر، آية (٩).

(٣) سورة الحشر، آية (١٠).

(٤) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٧/١٢٦٨-١٢٦٩)، وذكره القاضي عياض في الشفا

(٢/١١١١)، وترتيب المدارك (٢/٤٦-٤٧).

(٥) سورة الحشر، الآيات (٧، ٨، ٩، ١٠).

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٧)، وذكره البغوي في تفسيره (٤/٣٢١).

وقال مصعب الزبيري وعبد الله بن نافع: دخل هارون المسجد، فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ، فسلم عليه، ثم أتى مجلس مالك، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، قال له مالك: وعليك السلام -يا أمير المؤمنين!- ورحمة الله وبركاته، ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق؟ قال: لا، ولا كرامة ولا مسرة، قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله: ﴿لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ فمن عابهم؛ فهو كافر، ولا حق لكافر في الفيء^(١).

وقال: إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك؛ فقد حوا في أصحابه، حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين، أو كما قال^(٢).

قال أشهب بن عبد العزيز: سئل مالك عن الراضية فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم؛ فإنهم يكذبون^(٣).

وقال مالك: (شر الطوائف الروافض)^(٤).

(١) ذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٦-٤٧).

(٢) الصارم المسلول (ص ٥٨٠).

(٣) رواه أبو حاتم الرازي كما في منهاج السنة (١/٦٠).

(٤) ذكره التلمساني في نفح الطيب (٥/٣٠٧).

○ المبحث الثالث ○

حكم الساحر عند الإمام مالك

قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(١)، فأرى أن يقتل، ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه^(٢).

وقال ابن المواز: من قول مالك وأصحابه أن الساحر كافر بالله، فإذا سحر هو بنفسه فإنه يقتل ولا يستتاب، والسحر كفر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ﴾^(٣).

وقال مالك: وهو كالزنديق إذا عمل السحر هو بنفسه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(٤). وقد أمرت حفصة بجارية لها سحرتها أن تقتل، فقتلت^(٥).

ونقل القرطبي عن مالك أنه قال: فإن جاء الساحر أو الزنديق تائباً قبل أن يشهد عليها قبلت توبتها، والحجة لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ

(١) سورة البقرة، آية (١٠٢).

(٢) الموطأ (٣/ ٨٧١).

(٣) سورة البقرة، آية (١٠٢).

(٤) سورة البقرة، آية (١٠٢).

(٥) البيان والتحصيل (١٦/ ٤٤٣).

يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴿١﴾، فدل على أنه كان ينفعهم إيمانهم قبل نزول العذاب، فكذلك هذان^(٢).

وقال ابن القاسم: أخبرني ابن أبي زنبر أن رجلاً جاء إلى مالك فقال: أرأيت الساحر من أهل الذمة إذا عثر عليه؟ قال: إن أسلم لم يقتل، وإن لم يسلم قُتِلَ، وهو بمنزلة من شتم النبي ﷺ من النصارى، إن أسلم لم يقتل، وإن لم يسلم قُتِلَ^(٣).

وقال القرطبي: قال مالك: لا يقتل إلا أن يقتل بسحره، ويضمن ما جني، ويقتل إن جاء منه ما لم يعاهد عليه، وقال ابن خوير منداد: فأما إن كان ذميًّا؛ فقد اختلفت الرواية عن مالك، فقال مرة: يستتاب وتوبته الإسلام، وقال مرة: يُقتل وإن أسلم...

وقال مالك أيضًا في الذمي إذا سحر: يعاقب، إلا أن يكون قتل بسحره، أو أحدث حدثًا فيؤخذ منه بقدره^(٤).

(١) سورة غافر، آية (٨٥).

(٢) تفسير القرطبي (٤٩/٢).

(٣) البيان والتحصيل (٤٤٣/١٦).

(٤) تفسير القرطبي (٤٩/٢)، فتح الباري (٢٧٧/٦)، (١٠/٢٢٤-٢٢٦).

○ المبحث الرابع ○

موقف الإمام مالك من أهل البدع والأهواء

المطلب الأول:

موقف الإمام مالك من الخوارج

قال مالك: الإباضية^(١) والحرورية^(٢) وأهل الأهواء كلهم أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قُتلوا^(٣).

وقال ابن القاسم: قال مالك في الحرورية وما أشبههم أنهم يقتلون إذا لم يتوبوا إذا كان الإمام عدلاً، فهذا يدل على أنهم إن خرجوا على إمام عدل وهم يريدون قتاله ويدعون إلى ما هم عليه؛ دُعوا إلى الجماعة والسنة، فإن أبوا قُتلوا^(٤).

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي: (رأى مالك قتل الخوارج وأهل القدر من أجل الفساد الداخل في الدين)، وهو من باب الفساد في الأرض، وليس إفسادهم بدون فساد قطاع الطريق والمحاربين للمسلمين على أموالهم، فوجب بذلك قتلهم، إلا أنه يرى استتابتهم لعلهم يرجعون

(١) الإباضية: إحدى فرق الخوارج، تقدم التعريف بهم.

(٢) الحرورية: أحد ألقاب الخوارج، ولقبوا بذلك لاجتماعهم بقرية حروراء -وضع بالنهر وان-

بعد خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١١٤-١٣٨).

(٣) المدونة (٢/٤٨).

(٤) المصدر السابق.

الحق، فإن تَمَادُوا قَتَلُوا عَلَى إِفْسَادِهِمْ لَا عَلَى الْكُفْرِ^(١).

وقال أشهب بن عبد العزيز: سئل مالك عن قول رسول الله ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»^(٢)، قال: أرى ذلك في الحرورية، فقلت: أتراهم بذلك كفارًا؟ قال: لا أدري ما هذا^(٣).

وقال في المدونة: قيل لمالك: أرايت قتلى الخوارج يصلى عليهم؟ قال: لا، وقال مالك - في القدرية والإباضية -: لا يصلى على موتاهم، ولا تتبع جنائزهم، ولا تعاد مرضاهم، فإذا قتلوا؛ فذلك أحرى أن لا يصلى عليهم^(٤).

وقال في العتبية: سئل مالك عن الصلاة خلف الإباضية والواصلية، فقال: ما أحبه، فقيل: فالسكنى معهم في بلادهم؟ فقال: ترك ذلك أحب إليّ^(٥).

وعن ابن وهب عن مالك - وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع: القدرية وغيرهم، فقال: لا أرى أن يصلى خلفهم^(٦).

وروى ابن وهب عن مالك: من صلى خلف أهل البدع؛ فلا إعادة

(١) التمهيد (٤/٢٣٨)، (٢٣/٣٣٧-٣٣٨)، وذكره القاضي في الشفا (٢/١٠٥٥-١٠٥٦).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٨٤)، والبخاري في (الفتح ١٠/٥١٤)، ومسلم (١/٧٩).

(٣) التمهيد (١٧/١٥)، البيان والتحصيل (١٨/٣٤١)، والجامع (ص ١٢٥).

(٤) (١٨٢/١)، (٤٨/٢).

(٥) البيان والتحصيل (١/٤٤٣).

(٦) السير (٨/٦٧).

عليه.

وقال ابن وهب: قيل لمالك: أرأيت من صلى خلفهم فريضة؟ فقال: ما أحب أن أبلغ ذلك كله، أرأيت لو صلى خلفهم سنين؟^(١).

(١) المعيار المعرب (٢/٣٣٨)، وانظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ٨٠٩-٨١٠).

المطلب الثاني:

القدرية وموقف الإمام مالك منهم

◀ ما روي عنه في تعريفهم:

سُئِلَ مالِكُ عَنِ الْقَدْرِيةِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَهِيلٍ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: (إِنِ الْإِسْتِطَاعَةَ إِلَيْهِمْ، إِنْ شَاءُوا أَطَاعُوا، وَإِنْ شَاءُوا عَصُوا) ^(١).

وَعَنْ ابْنِ وَهَبٍ: أَنَّ مَالِكًا ذَكَرَ بِأَنَّ الْقَدْرِيةَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ الْمَعَاصِيَ) ^(٢).

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقَدْرِيةِ مِنْ هُمْ؟ فَقَالَ: (إِنَّهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ) ^(٣).

◀ ما روي عنه في تكفيرهم:

رَوَى مَالِكٌ عَنْ عَمِّهِ أَبِي سَهِيلِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أُسِيرُ مَعَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُكَ فِي هَؤُلَاءِ الْقَدْرِيةِ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْتُ أَنَّ تَسْتِيبُهُمْ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا عَرَضْتَهُمْ عَلَى السَّيْفِ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: وَذَلِكَ رَأْيِي، قَالَ مَالِكٌ: وَذَلِكَ رَأْيِي ^(٤).

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٤٨).

(٢) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٠١).

(٣) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٠١)، وقد روي نحوه عن بعض الأئمة كالشافعي في الموضوع السابق، وأحمد في السنة للخلال (ص ٥١٩-٥٣٢).

(٤) رواه في الموطأ (٢/ ٩٠٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٣٠-٤٣١)، والخلال في السنة (ص ٥٣٣)، والأجري في الشريعة (ص ٢٢٧٩)، واللائكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٠٩-٧٠٩).

عن سعيد بن عبد الجبار قال: سمعت مالك بن أنس يقول: رأيت فيهم أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا - يعني: القدرية - (١).

وقد روي عن مالك أنه سُئِلَ عن القدرية الذي يستتاب؟ فقال: الذي يقول: (إن الله عز وجل لم يعلم ما العباد عاملون حتى يعملوا) (٢).

وقال مروان بن محمد: سألت مالك بن أنس عن تزويج القدرية؟ قال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ (٣).

قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول لرجل: سألتني أمس عن القدر؟ قال: نعم، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَكَلِمَةً حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٤)، حقت كلمته ليملائن جهنم منهم، فلا بد من أن يكون ما قال الله تعالى (٥).

وقال عبد العزيز بن عبد الله الأويسى: قال مالك بن أنس: (ما أضل

(٧١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٢٠٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٨٨).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٨٧-٨٨)، وذكره الذهبي في السير (٨/١٠٠).

(٢) اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٧٠١-٧٣٢).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/٨٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٧٣٢)، وابن ناصر في إتحاف السالك (ق: ٦٠/أ). والآية من سورة البقرة، آية (٢٢١).

(٤) سورة السجدة، آية (١٣).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٦)، والعتبي كما في البيان والتحصيل (١٦/٣٦٥-٣٦٦)، والذهبي في السير (٨/٩٩).

من كذب القدر، لو لم تكن عليهم فيه حجة إلا قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)؛ لكفى بها حجة^(٢).

◀ ما روي عنه في عدم تكفيرهم:

قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: (لا يصلى خلف القدريّة، ولا يحمل عنهم الحديث)^(٣).

قال أشهب: سئل مالك عن القدريّة فقال: قوم سوء، فلا تجالسوهم. قيل: ولا يصلى خلفهم؟ فقال: نعم^(٤).

قال مصعب بن عبد الله: سمعت مالك بن أنس يقول: لا يصلى خلف القدريّة^(٥).

وقال ابن القاسم: سألت مالكا عن الصلاة خلف الإمام القدري، قال: إن استيقنت؛ فلا تصلي خلفه، قال: قلت: ولا الجمعة، قال: ولا الجمعة، إن استيقنت، قال: وأرى إن كنت تتقيه وتحافه على نفسك أن تصلي معه وتعيدها ظهرا، قال مالك: وأهل الأهواء مثل أهل القدر، قال:

(١) سورة التغابن، آية (٢).

(٢) رواه الآجري في الشريعة (ص ٣٥٧).

(٣) رواه الخطيب في الكفاية (ص ١٩٩).

(٤) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٣/ ١٠٦٣)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/ ٤٧)،

والزواوي في مناقب مالك (ص ١٤٦).

(٥) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٧٣٢).

ورأيت مالكا إذا قيل له في إعادة صلاة من صلى خلف أهل البدع يقف ولا يجب في ذلك^(١).

قال ابن وهب - وغير واحد -: سئل مالك عن خصومة أهل القدر وكلامهم فقال: من كان منهم عارفاً بما هو عليه فلا يواضع القول، ويخبر بخلافه، ولا يصلى خلفهم، ولا أرى أن يناكحوا^(٢).

وفي رواية: سئل مالك عن مجالسة القدرية وكلامهم فقال: لا تكلمهم، ولا تقعد إليهم، إلا أن تجلس إليهم تغلظ عليهم، وقلت: إن لنا جيراناً لا أكلمهم ولا أخاصمهم؟ فقال: لا تجالسهم، عادهم في الله؛ يقول الله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣)، فلا توادهم. قال: وسئل عن عيادة أهل القدر، قال: لا تعودوهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث^(٤).

وفي رواية: قال مالك: ما رأيت أهله - يعني: أهل القدر - من الناس إلا أهل سخافة عقل وخفة وطيش^(٥).

(١) المدونة (١/٨٣-٨٤).

(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٣/١٥٠١)، وذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص ١٠٥)، والقاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٧)، والعتبي كما في البيان والتحصيل (٢١٠/١٨).

(٣) سورة المجادلة، آية (٢٢).

(٤) رواه في العتبية كما في البيان والتحصيل (٢١٠/١٨).

(٥) رواه في العتبية كما في البيان والتحصيل (١٧/٥٧٦)، وابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص ١٢١).

وقال ابن القاسم: سُئِلَ مالك عن أهل القدر أيسلّم عليهم؟ قال:
لا يسلّم عليهم.

قال ابن القاسم: وكأني رأيتَه يرى ذلك في أهل الأهواء كلهم
ولا يبينه^(١).

(١) رواه في العتبية كما في البيان والتحصيل (١٨/١٤٩)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك
(٤٧/٢).

المطلب الثالث:

موقف الإمام مالك من المرجئة^(١):

قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إن المرجئة أخطئوا، وقالوا قولاً عظيماً؛ قالوا: إن من أحرق الكعبة أو صنع كل شيء فهو مسلم. فقيل للمالك: ما ترى فيهم؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٢).

وقال معن بن عيسى: انصرف مالك بن أنس في يوماً من المسجد، وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية كان يُتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله! اسمع مني شيئاً أكلمك به، وأحاجك، وأخبرك برأبي، فقال له: احذر أن أشهد عليك! قال: والله ما أريد إلا الحق واسمع، فإن كان صواباً فقل به أو فتكلم، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني، قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعك، قال: فإن جاء رجل فكلمنا فغلبنا؟ قال: اتبعناه، فقال له مالك: يا عبد الله! بعث الله محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين، قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل^(٣).

وفي رواية عن معن بن عيسى قال: إن رجلاً بالمدينة يقال له: أبو الجويرية يرى بالإرجاء، فقال مالك: (لا تناكحوه)^(٤).

(١) المرجئة تقدم التعريف بهم، وهم الذين يخرجون العمل من الإيمان.

(٢) ترتيب المدارك (٢/٤٨-٤٩)، والآية من سورة الممتحنة رقم (١١).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (ص ٥٦-٥٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥٠٧-٥٠٨)، وذكره

القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٣٩)، والشاطبي في الاعتصام (ص ٩٣).

(٤) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/٩٩٤).

المطلب الرابع:

حكم الإمام مالك على من قال بخلق القرآن

قال عبد الله بن نافع: قال مالك: من قال القرآن مخلوق؛ يؤدب ويحبس حتى نعلم منه التوبة^(١).

وفي رواية عنه قال: كان مالك بن أنس يقول: (القرآن كلام الله عز وجل، ويستفزع قول من يقول: القرآن مخلوق، قال مالك: يوجع ضرباً، ويحبس حتى الموت)^(٢).

وقال سويد بن سعيد: سمعت مالك بن أنس وحماد بن زيد - وذكروا أقواماً غيرهم - إلى أن قال: وجميع من حملت عنهم من أهل العلم يقولون: القرآن كلام الله تعالى وصفة ذاته غير مخلوق، من قال: إنه مخلوق؛ فهو كافر بالله العظيم^(٣).

وعن ميمون بن يحيى البكري قال: قال مالك: (من قال: القرآن مخلوق؛ يستتاب فإن تاب، وإلا ضربت عنقه)^(٤).

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/١٠٦-١٠٧، ١٧٣-١٧٤)، وأحمد بن سلمان النجاد في «الرد

على من يقول القرآن مخلوق» (ص ٧٠-٧١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/٣١٥).

(٢) رواه الآجري في الشريعة (ص ٧٩) وإسناد هذه الرواية والتي قبلها: صحيح.

انظر مختصر العلو للألباني (ص ١٤٣).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٨٥)، والسنن الكبرى (١٠/٢٠٦).

(٤) ذكره اللالكائي في اعتقاد أهل السنة نقلاً عن ابن أبي حاتم (٢/٣١٤)، والذهبي في العلو

(ص ١٠٤).

قال الألباني: «إسناده لا بأس به». مختصر العلو (ص ١٤٣).

وقال ابن أبي أويس: قال مالك: (القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق، زاد غيره عنه: ومن قال: مخلوق؛ فهو كافر، والذي يقف أشد منه، يستتاب وإلا ضربت عنقه)^(١).

وعن عبد الله بن نافع قال: قلت لمالك بن أنس: إن قومًا بالعراق يقولون: القرآن مخلوق؟ فنتر يده عن يدي، فلم يكلمني الظهر ولا العصر- ولا المغرب، فلما كان العشاء الآخرة قال لي: يا عبد الله بن نافع! من أين لك هذا الكلام؟ ألقيت في قلبي شيئًا هو الكفر، صاحب هذا الكلام يقتل ولا يستتاب^(٢).

وفي رواية سريح بن النعمان قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ يقول: فذكر الحكاية، حتى قال مالك: ويملك يا عبد الله! من سألك عن هذه المسألة؟ قلت: رجلان ما أعرفهما، قال: اطلبهما فجنني بهما أو بأحدهما؛ حتى أركب إلى الأمير فأمره بقتلهما أو حبسهما أو نفيهما^(٣).

وقال أبو محمد يحيى بن خلف المقرئ: كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله! ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال: كافر، زنديق، اقتلوه، قال: إنها أحكي كلامًا سمعته، قال: لم أسمع من أحد إلا منك^(٤).

(١) ترتيب المدارك (٢/٤٣).

(٢) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/٣١٤): وفي إسناده: يعقوب بن دينار، قال الذهبي: لا يعرف وبعضهم اتهمه بالوضع. الميزان (٤/٤٥٢).

(٣) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/٣١٥).

(٤) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/٢٤٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٨٤)،

المطلب الخامس:

موقف الإمام مالك من السماع عند الصوفية

قال عبد الله بن يوسف: كنا عند مالك بن أنس فقال له رجل من أهل نصيبين^(١): يا أبا عبد الله! عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرًا، فإذا أكلوا أخذوا في القصائد، ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك: هم مجانين؟ فقال له: لا، قال: هم صبيان؟ قال: لا، هم مشايخ عقلاء، قال مالك: ما سمعنا أن أحدًا من أهل الإسلام يفعل هكذا! قال الرجل: بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون، يلطم بعضهم رأسه، وبعضهم وجهه، فضحك مالك، وقام إلى منزله، فقال أصحاب مالك للرجل: يا هذا! أدخلت والله مشقة على

والسنن الكبرى (١٠/٢٠٦)، وذكره القاضي في ترتيب المدارك (٢/٤٤)، ويحيى بن خلف المقرئ الطرسوسي الراوي عن مالك، قال الذهبي في الميزان: «ليس بثقة، أتى عن مالك بما لا يحتمل»، وقال في ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين: «مجهول، حكى عن مالك قولاً منكراً - وذكر هذه الرواية - ثم قال: معاذ الله أن يأمر مالك بقتل حاكي الكفر أو يحكم بزندقته». وقال ابن حجر في اللسان: «أظنه الذي بعده - يعني بذلك يحيى بن خليف السعدي - وهو منكر الحديث».

قلت: وفي الإسناد أيضًا علي بن زيد الفرائضي - أو الفرضي -، ذكره الخطيب في تاريخه، ونقل عن ابن يونس أنهم تكلموا فيه. الميزان (٤/٣٧٢)، ذيل ديوان الضعفاء (ص ٧٥)، لسان الميزان (٦/٢٥٢)، تاريخ بغداد (١١/٤٢٧).

(١) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل بين الشام والموصل، ونصيبين أيضًا قرية من نواحي حلب، وهي أيضًا مدينة على شاطئ الفرات.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٢٨٨-٢٨٩)، والروض المعطار للحميري (ص ٥٧٧).

صاحبنا، لقد جالسناه نيفاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا هذا اليوم^(١).
قال إسحاق بن عيسى الطباع: سألت مالگًا عما يترخص فيه أهل
المدينة من الغناء، فقال: إنما يفعلُه الفساق^(٢).

(١) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٢/٥٤)، والزواوي في مناقب مالك (ص ١٥٧).
(٢) رواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص ١٤٢)، وابن الجوزي في تلبس إبليس
(ص ٢٢٩).

الخاتمة

بعد طول بحث وتتبع لمنهج الإمام مالك رحمه الله في العقيدة، فإنني أرى أن منهجه وعقيدته هو منهج السلف الصالح وعقيدتهم؛ المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإنني أوجه الدعوة إلى الإخوة المالكية الذين يتسبون إلى مذهب الإمام مالك - رحمه الله تعالى - في الفقه، ويسلكون منهج الأشاعرة في العقيدة المخالفة لمنهج السلف، والصحيح من عقيدة مالك، ويدعون أن ذلك هو اعتقاد الإمام مالك.

أقول لهم: هذه عقيدة الإمام مالك الصحيحة الثابتة الحققة، فما وجه التفريق بين موافقة مالك في الفقه، ومخالفته في العقيدة التي هي الأساس؟ وإذا كان هناك التباس فيما بلغهم من عقيدة مالك؛ فهذا البحث يزيل كل لبس، ويبين بالدليل الواضح الصريح البين أن عقيدة الإمام مالك هي عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وعقيدة السلف هي التي يجب أن تكون عقيدة كل مسلم؛ لارتباطها القوي بالكتاب والسنة، ولأنها عقيدة القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية، وإن الرجوع للحق خير من التماهي بالباطل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

١٣	المقدمة
١٥	حياة الإمام مالك
١٥	أولاً: سيرته الشخصية
١٨	ثانياً: سيرته العلمية
٢٢	ثالثاً: صفاته
٢٥	رابعاً: ثناء العلماء عليه
٢٨	خامساً: وفاته
٢٩	الفصل الأول: أصول منهج الإمام مالك في العقيدة
٢٩	المبحث الأول: اعتصامه بالكتاب والسنة، وتحذيره من الابتداع والتقليد
٣٦	موقفه من الرواية عن المبتدع
٣٧	المبحث الثاني: ذمه للمراء والخصومات والجدل في الدين

- المبحث الثالث: هجره لأهل البدع والأهواء، ونهيه عن مجالستهم، أو مكالمتهم، أو السلام عليهم، أو الصلاة خلفهم، أو عيادة مرضاه ٤٧
- المبحث الرابع: إثباته معاني الأسماء والصفات وتفويضه كيفيتها ٥١
- المبحث الخامس: محبته لصحابة رسول الله ﷺ واعترافه بفضلهم ٥٢
- المبحث السادس: موقفه من ترتيب الخلفاء الراشدين وتفاضله ٥٣
- الفصل الثاني: الإيمان ٥٧
- المبحث الأول: قوله في معنى الإيمان الشرعي ٥٧
- المبحث الثاني: قوله في زيادة الإيمان ونقصانه ٦٠
- المبحث الثالث: قوله في علاقة الإسلام بالإيمان والاستثناء في الإيمان .. ٦٣
- المبحث الرابع: موقفه من مرتكب الكبيرة ٦٤
- الفصل الثالث: قوله في صفات الله -جلَّ وعلا ٦٥
- المبحث الأول: قوله في القرآن وأنه كلام الله وصفة من صفاته ٦٥
- المبحث الثاني: قوله في صفة استواء الله على عرشه ٦٧

- المبحث الثالث: قوله في صفة المعية وصفة النزول..... ٧٢
- المبحث الرابع: إثباته رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بأبصارهم ٧٤
- الفصل الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام..... ٧٦
- المبحث الأول: ما ورد عنه في التفاضل بين الأنبياء والرسل وتعظيمهم ٧٦
- المبحث الثاني: ما ورد عن الإمام مالك في الإيمان بالنبى ﷺ..... ٧٨
- المطلب الأول: الاقتداء به وتعظيمه وإجلاله..... ٧٨
- المطلب الثاني: تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ..... ٨٠
- المطلب الثالث: تعظيم الإمام مالك للمدينة وتفضيلها على مكة ٨٥
- المطلب الرابع: موقف الإمام مالك من الدعاء أمام قبر الرسول ﷺ... ٨٨
- المطلب الخامس: موقف الإمام مالك -رحمه الله تعالى- من السفر لزيارة
قبر النبي ﷺ..... ٩٠
- الفصل الخامس: قول الإمام مالك في الإيمان باليوم الآخر ومقدماته... ٩٢
- أولاً: قوله في أشرط الساعة..... ٩٢

ثانياً: قوله في صفة الجنة..... ٩٢

ثالثاً: قوله في الميزان..... ٩٢

الفصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره..... ٩٤

المبحث الأول: موقف الإمام مالك من الإيمان بالقدر وما نقل عنه في هذا

الباب..... ٩٤

المبحث الثاني: حكم الرقى والتائم والنشرة عند الإمام مالك..... ٩٧

أولاً: حكم الرقى عند الإمام مالك..... ٩٧

ثانياً: حكم النشرة بالأشجار والإدهان عند الإمام مالك..... ٩٧

ثالثاً: حكم التائم إذا كانت من القرآن عند الإمام مالك..... ٩٨

الفصل السابع: نواقض الإيمان..... ٩٩

المبحث الأول: حكم سبه ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام عند الإمام

مالك..... ٩٩

المبحث الثاني: سب وشتم الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم

وموقف مالك من ذلك..... ١٠١

- المبحث الثالث: حكم الساحر عند الإمام مالك ١٠٥
- المبحث الرابع: موقف الإمام مالك من أهل البدع والأهواء ١٠٧
- المطلب الأول: موقف الإمام مالك من الخوارج ١٠٧
- المطلب الثاني: القدريّة وموقف الإمام مالك منهم ١١٠
- المطلب الثالث: موقف الإمام مالك من المرجئة ١١٥
- المطلب الرابع: حكم الإمام مالك على من قال بخلق القرآن ١١٦
- المطلب الخامس: موقف الإمام مالك من السماع عند الصوفية ١١٨
- الخاتمة ١٢٠
- فهرس الموضوعات ١٢١

الاحتسابُ على المخالفات الشرعية لبعض زوّار الحُجرة النبوية

إعداد الدكتور:

خالد بن سعد الزهراني

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين في

الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَوَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾^(٣) أما بعد..

فإن الله قد اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق، وأوجب على عباده اتباعه وتوقيره ومحبته وتعزيره، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٤) بل جعل ذلك أصلاً في الإيمان، وركناً في الشهادتين لا يتم إيمان العبد ولا إسلامه إلا بتحقيق هذا

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء آية ١ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٧٠-٧١ .

(٤) سورة الفتح آية ٩ .

الأصل العظيم.

وإن لمحبة النبي ﷺ وتوقيره مظاهر عديدة، ومن ذلك شد الرحال إلى مسجده، ومن ثم التشرف بالسلام عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهما.

ولكن فثاماً من الناس تنكبت الصراط السوي في المحبة والتوقير، بين الغلو والجفاء، يظهر ذلك جلياً في زيارة الحجرة النبوية والسلام على النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما، حيث صاحبت هذه الزيارة الكثير من المخالفات العقدية، فاعتقد بعض الناس في هذا القبر النفع والضر، من دون الله تعالى، وصرفوا أنواعاً من العبادات التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له؛ كالدعاء، والاستغاثة، والنذر، والذبح، وطلب الشفاء، وغيرها.

وانحرف فثام منهم في الجانب التعبدي عند زيارتهم للحجرة النبوية، كما صحب هذه الزيارة بعض التجاوزات السلوكية والأخلاقية.

وقد حصلت لي تجربة عملية مع هذه المخالفات - إبان عملي في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمسجد النبوي - فرأيت بعض هذه المخالفات، وهي متكررة بتكرر الزيارة، وتحتاج إلى تعاون بين رجال الهيئة، وأئمة المسجد النبوي الشريف، والمدرسين فيه، ودعاة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد على القضاء على هذه المخالفات،

والحد منها، ولكن بعض الزوار وبخاصة ممن هم من غير هذه البلاد، ومن الذين لم يتربوا على التوحيد الخالص، يقعون في مثل هذه المخالفات؛ لمعتقدات قد تربوا عليها، وتوارثوها عنم كان قبلهم، ولكل قوم وارث.

وأردت في هذا البحث المتواضع أن أحصي أكثر هذه المخالفات الشرعية، وأبين كيفية الاحتساب عليها، من منظور شرعي.

فكان من الأهمية بمكان الاحتساب على هذه الظواهر، واستئصالها من جذورها، ودعوة من تلبس بها إلى الدين الحق وإلى إصلاح العقيدة التي دخلها الانحراف.

والاحتساب من الواجبات على الأمة الإسلامية، تأثم بتركه، ويسقط الإثم إذا قام به من يكفي على الوجه المشروع.

والاحتساب إعدار الله تعالى، وتبليغ الحق للمحتسب عليه، وبه كمال الدين، ولولا الله وحده ثم القيام بواجب الاحتساب لعمت الفوضى، وانتشرت الضلالة، واختلط الحابل بالنابل، ولما عُرف الحق من الباطل، ولا السنة من البدعة، ولا التوحيد من الشرك. وتكمل الأهمية حين تُعرف ضوابط الاحتساب، والوسائل والأساليب.

ومن هذا يتبين أهمية دراسة المخالفات الشرعية عند الحجرة النبوية، وكيفية الاحتساب عليها.

ويتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين.

التمهيد ويشتمل على:

أولاً: تعريف الحجرة النبوية.

ثانياً: وصف الحجرة النبوية.

ثالثاً: حكم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من غير شد رحل.

المبحث الأول: المخالفات الشرعية عند الحجرة النبوية قديماً وحديثاً.

المطلب الأول: المخالفات العقدية.

المطلب الثاني: المخالفات التعبدية.

المطلب الثالث: المخالفات السلوكية.

المبحث الثاني: كيفية الاحتساب على المخالفات، والآثار المترتبة على ذلك.

المطلب الأول: ضوابط الاحتساب.

المطلب الثاني: وسائل وأساليب الاحتساب.

المطلب الثالث: آثار الاحتساب.

الخاتمة، والفهارس.

التمهيد

أولاً: تعريف الحجرة النبوية ووصفها

المقصود بالحجرة، هي: حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي الحجرة التي دُفن فيها النبي ﷺ، وصاحبيه رضي الله عنهما. والحجرة لغة، واصطلاحاً تطلق ويراد بها أحد أمرين:

١- البيت المتخذ للسكنى بجميع منافعه، وهي على هذا المعنى ترادف كلمة البيت في عرفنا، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

فبيوت أزواج النبي ﷺ بمنافعها، وأقسامها تسمى حُجراً، وعلى هذا فهو المعنى العام لكلمة الحجرة، لأن البيت محاط، وما كان كذلك يسمى حجرة^(٢).

وقد ورد إطلاق الحجرة على البيت المتخذ للسكنى بجميع منافعه في وصف ابن عباس رضي الله عنهما لصلاة رسول الله ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها، حيث قال: ((فلما صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة العشاء الآخرة دخل إلى منزله - بيت ميمونة رضي الله عنها -.. فأوى رسول الله صص إلى فراشه، ولما كان في جوف الليل خرج إلى الحجرة فقلب في أفق

(١) سورة الحجرات الآية: ٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٠٩. فتح الباري ٨/٥٨٩ .

السَاء))^(١).

٢- ما يتخذ غرفة للبيت، مثل الحريم^(٢) - مكان النساء - في البيت^(٣).
فالجزء الذي يخصص لأمر معين كالنوم مثلاً، أو لمجلس، يسمى حجرة،
ونحو هذا المعنى إطلاق الحجرة اليوم على الغرفة. بل إن الناس اليوم لا يطلقون
-في الغالب- لفظ الحجرة إلا على هذا المعنى^(٤).

ومما يدل على أن الحجرة النبوية يقصد بها هذا المعنى قول أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها: ((كان رسول الله يصلي في الحجرة يفصل بين الشفيع
والوتر، أسمع تسليمه وأنا في البيت))^(٥).

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كانت قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم ربما يسمعها من في الحجرة، وهو في البيت))^(٦).

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام الرازي في فوائده ١٢٢/٣ وأصل الحديث في البخاري، كتاب
التوحيد، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق ص ١٢٨٤ رقم ٧٤٥٢،
ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل ص ٣١٠ رقم ١٧٨٩ .

(٢) قال ابن منظور: حريم الدار ما دخل فيها مما يغلق عليه بابها، وما خرج منها فهو الفناء...
وحريم الدار ما أضيف إليها، وكان من حقوقها ومرافقها، لسان العرب ١٢/١٢٥ .

(٣) انظر الإخائية ص ٣٢٣ .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣١٠ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/٨٣، وذكره المقرئ في مختصر قيام الليل ص/٢٨٢، وانظر
الحديث الذي بعده.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/٨١ رقم ١٣٧٢ والترمذي
في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١٢٣ رقم ٣٢٨،
والبيهقي في السنن الكبرى ٣/١٠، وحسنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية ص ١٦٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ولفظ الحجرة في هذه الآثار لا يراد به جملة البيت كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١)، بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت، وكانت هذه من جريد النخل، بخلاف الحجر التي هي المساكن فإنها كانت من اللبن... »^(٢).

والحجرة الشريفة في عرف المتأخرين، تطلق على جميع ما حواه الحائز الخمس الذي بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله حول الحجرة^(٣).

والذي يحدد المعنى من لفظ الحجرة هو سياق الكلام، ومدلوله، فإن أريد بالحجرة المكان الذي دفن فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يحمل على الإطلاق الثاني، وأن أريد بيت عائشة رضي الله عنها بكامله، فهذا يحمل على الإطلاق الأول.

ثانياً: وصف الحجرة النبوية

أقسام الحجرة النبوية:

إن مسكن أم المؤمنين ينقسم إلى قسمين بيت وحجرة، والحجرة منقسمة إلى: قسم تسكنه عائشة رضي الله عنها، وهو في مؤخرة الحجرة،

(١) سورة الحجرات آية ٤.

(٢) الإخائية ص ٣٢٣.

(٣) انظر: وفاة الوفا ٢/٥٦١، ٥٦٠، وصف المدينة المنورة ص ٦٨، تاريخ المسجد النبوي

وقسم فيه القبور: وهو في مقدمة الحجرة وهي أي: القبور ليست ظاهرة في الحجرة، بل محجوبة عن النظر في مكان مستقل^(١).

ويدل على ذلك قول عائشة بعد أن دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيتها: «كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا واضعة ثوبي، وأقول إنما زوجي وأبي، فلما دفن عمر معها فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر»^(٢).

ومما يدل على أن القبور كانت مستورة في الحجرة: قول القاسم بن محمد بن أبي بكر رحمه الله لعائشة رضي الله عنها: «اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فكشفت...»^(٣).

فهذا يدل على أن القبور غير ظاهرة لا ترى، لأنها لو كانت ظاهرة لم يسأل القاسم أمه عائشة رضي الله عنها أن تكشف له عن القبور، وكان بإمكانه أن ينظر في الحجرة من غير هذا السؤال^(٤).

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٣٩٩ وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٢٦٠ . قاعدة عظيمة في

الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص ٨٤ .

(٢) مشكاة المصابيح للتبريزي ٣٩٨

(٣) انظر الشريعة للأجري ص ٧٥

(٤) عون المعبود ٢٨/٩ .

مرافق الحجرة النبوية:

• وأما وجود منافع في البيت النبوي، فيدل عليه ما وجد في بعض بيوت النبي ﷺ من مشربة وهي الغرفة العلية، وهي التي صلى رسول الله ﷺ بأصحابه في أحد أوقاته التي مرض فيها.

فعن جابر رضي الله عنه قال: ((ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً بالمدينة فصرعه على جذم^(١) نخلة فانفكت قدمه، فأتيناه نعوده فوجدناه في مشربة لعائشة يسبح جالساً، فقمنا خلفه، وأشار إلينا فقعدنا، فلما قضى الصلاة قال: إذا صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً، وإذا صلى الإمام قائماً فصلوا قياماً، ولا تفعلوا كما تفعل أهل فارس بعظمائها))^(٢).

وقد كان يرقى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعجلة، ففي صحيح البخاري في حديث اعتزال رسول الله نساءه: ((فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلّام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسود على رأس الدرجة))^(٣).

(١) الجذمة: القطعة انظر لسان العرب ٨٦/١٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود ١/١٦٤ رقم ٦٠٢، وابن خزيمة في صحيحه ٥٣/٣، وأبو يعلى في مسنده ٤١١/٣ وقال محققه: رجاله رجال الصحيح .

(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها،

• كما أن وجود الكنيف^(١) في بعض بيوت نسائه، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «دخلت بيت حفصة فحانت مني التفاتة، فرأيت كنيف رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة»^(٢).

• كما أن من المعلوم أن للنساء مكاناً غير مكان الرجال، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل الضيوف في بعض الأحيان في بيته، ومن طبيعة الحال تنحي النساء عن مكان الرجال^(٣).

وبهذا يظهر واضحاً جلياً عدم الضرورة المدعية في صلاة عائشة رضي الله عنها عند القبور، بل بإمكانها الصلاة في بقية بيته بعيداً عن القبور، وهذا هو اللائق بها وبدينها - رضي الله عنها -، وبذلك تنتفي شبهة من أجاز الصلاة عند القبور، واستدل بفعل أم المؤمنين رضي الله عنها، وبهذا أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء^(٤).

ثالثاً: حكم زيارة قبر النبي ﷺ من غير شد رحل:

زيارة قبر النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين؛ مشروعة وممنوعة:

(١) هو: السترة، والساتر، والمرحاض، وهو مكان للتخلي انظر: القاموس المحيط ص ٨٥٠ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ٩٣ .

(٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١/ ٤٣٨، وقد ناقش السمهودي هذا القول، وذكر أن عرض

الحجرة غير معلوم؛ لأنه لا يعلم نهاية الحجرة، فيحتمل أنها في وسط البناء . والشاهد من إيراده

هنا أن البيت له مرافق أخرى، وأن الحجرة جزء منه.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٤٠٠ .

النوع الأول: الزيارة المشروعة

لا خلاف بين العلماء في جواز زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إن كانت الزيارة شرعية خالية من البدع، وعد بعض أهل العلم زيارة القبر النبوي مستحبة ومن أفضل الأعمال من جنسها كما هو قول جمهور العلماء من أهل المذاهب وغيرهم، وقد حكى القاضي عياض وغيره الإجماع عليه، وممن قال بهذا القول -استحباب الزيارة- ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، كما أفتت به اللجنة الدائمة للإفتاء، وقال به علماء هذا العصر^(١).

ودليل ذلك:

١ - الأدلة العامة الواردة في زيارة قبور المؤمنين كقوله صلى الله عليه وسلم: ((نهيتكم عن زيارة القبور فزورها))^(٢).

٢ - بعض الأحاديث التي يفهم منها جواز زيارة قبره صلى الله عليه وسلم - وإن لم يكن فيها لفظ الزيارة - مثل:

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض ٨٣/٢ وشرح ابن بطال لصحيح البخاري ٢٧٠/٣، فضل زيارة القبور ص ١٣، والمغني ٥/٤٦٥، ومنسك شيخ الإسلام ٩٢ والصارم المنكي ص ٣٠، والقصيدة النونية مع شرحها لابن عيسى ٣٥٦/٢، والصلوات والبشر ص/١٥٥، وعون الباري شرح صحيح البخاري ٢/٢٣١، والمسوى شرح الموطأ ١/٤١١، وفتاوى اللجنة الدائمة ١/٤٢٩، ٤٣٠، والشرح الممتع ٧/٤٠٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٦٦٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر

أ. حديث: معاذ بن جبل رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا معاذ إنك عسى أن تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك تمر بمسجدي هذا أو قبري))^(١).

ب. ومنها حديث سلام عيسى عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره، فقد أخرج الحاكم وغيره مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((ليهبطن عيسى ابن مريم حكماً عدلاً، وليسلكن فج الروحاء حاجاً أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم علي، ولأردن عليه))^(٢).

٣- فعل السلف الصالح رضوان الله عليهم في زيارة النبي ﷺ .

ومن ذلك ما اشتهر عن ابن عمر رضي الله عنهما من السلام على قبر النبي ﷺ عند قدومه من سفر أو عند سفره، وعليه اعتمد جماعة من علماء السلف، وهو أثر صحيح مشهور.^(٣)

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٢٣، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/١٢١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/٦٦٥.

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٥/٦٦٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک بهذا اللفظ ٢/٥٩٥ من طريق يعلى بن عبيد عن محمد بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عطاء مولى أم صبية عن أبي هريرة به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والحديث بهذا اللفظ ضعفه الألباني .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ١/١٦٦، وابن أبي شيبة في المصنف ١٣/٢٩، والقاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٩٣، وسلام ابن عمر على القبر النبوي عند قدومه من سفر أو عند سفره من عدة طرق صحيحة، وبأسانيد لا غبار فيها، ولا خلاف في صحتها وقوتها، وقد اعتنى بذكر طرقه الإمام إسماعيل بن إسحاق، في كتابه القيم: فضل الصلاة على النبي ﷺ .

٤- الإجماع على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، حيث نقله غير واحد من أهل العلم، وجرى عمل المسلمين على ذلك^(١).

النوع الثاني: الزيارات غير المشروعة.

وصورها عديدة، مثل:

١- شد الرحل للقبر والقصد له: وهذا عمل غير مشروع، وإلى منعه ذهب الصحابة والتابعين وجمهور العلماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فإن الصحابة والتابعين والأئمة لم يعرف عنهم نزاع في أن السفر إلى القبور وآثار الأنبياء داخل في النهي، كالسفر إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى وغيره، وإن كان الله سماه الوادي المقدس، وسماه البقعة المباركة، ونحو ذلك، فلم يعرف عن الصحابة نزاع أن هذا وأمثاله داخل في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة، كما لم يعرف عنهم نزاع أن ذلك منهي عنه، وأن قوله: لا تشدوا الرحال^(٢) نهى بصيغة الخبر، كما قد جاء في الصحيح بصيغة النهي: (لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى^(٣)) »

(١) انظر عمدة القاري ٧٠/٥ .

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب التطوع باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ١/٣٩٨ رقم ١١٣٢، ومسلم في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢/١٠١٤ رقم ١٣٩٧ .

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب التطوع باب مسجد بيت المقدس ١/٤٠٠ رقم ١١٣٩، وفي كتاب الإحصاء وجزاء الصيد باب حج النساء ٢/٦٥٩ رقم ١٧٦٥، وكتاب الصوم باب الصوم يوم النحر ٢/٧٠٣ رقم ١٨٩٣، ومسلم في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/٩٧٥ رقم ٨٢٧ .

فالصحابة ومن تبعهم لم يعرف عنهم نزاع أن هذا نهي منه، فإن لفظه صلى الله عليه وسلم صريح في النهي، ولم يعرف عنهم نزاع أن النهي متناول للسفر إلى البقاع المعظمة غير المساجد، سواء كان النهي عنها بطريق فحوى الخطاب، وأنه إذا نهي عن السفر إلى مسجد غير الثلاثة فالنهي عن السفر إلى ما ليس بمسجد أولى، أو كان بطريق شمول اللفظ، فالصحابة رضي الله عنهم الذين رووا هذا الحديث بينوا عمومته لغير المساجد الثلاثة»^(١).

٢- تخصيص الزيارة بصفة معينة ووقت معين لم يدل عليه الدليل: لأن تخصيص العبادات بوقت وزمن أو ربط بعضها ببعض ليس من منهج أهل العلم السائرين على الهدى، بل ذلك من البدع التي حذر منها العلماء، وذكروا أن ما أطلقه أو عممه الشرع يبقى على إطلاقه وعمومه إلا لدليل يفيد التخصيص والتقيد^(٢)، ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «زيارة القبور ليس لها وقت محدد، أي ساعة من الليل أو النهار تزورها فلا بأس، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زارها ليلاً»^(٣).

(١) الإخنائية ص ١١٤ .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٠٥ وما بعدها، وأحكام الجنائز ص ٢٤٢ . والمتقى من فتاوى الفوزان ١/ ١٢٢ .

(٣) انظر المقرب لأحكام الجنائز ص ٩٢ وانظر القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٤٥٧، ٤٥٨، والبدع والمحدثات ص ٢٩٧ .

المبحث الأول:

المخالفات الشرعية عند الحجرة النبوية قديماً وحديثاً^(١).

تنوعت المخالفات لبعض زوار قبر النبي ﷺ، وتباينت إلى أقسام، منها: العقدي، ومنها التعبدي، ومنها السلوكي الأخلاقي، وكل هذه المخالفات قد حذّر العلماء منها، وفيما يأتي تفصيل لها:

المطلب الأول: المخالفات العقدية.

والمقصود بالمخالفات العقدية هي التي تمس جناب التوحيد، ولها تعلق بالقلب، وهذه الأفعال إذا صرفت لغير الله وتعلقها قلب فاعلها فقد تخرجه من الملة، أو تحبط عمله، ومنها:

أولاً: التوسل

والتوسل هو: «الرغبة والطلب، يقال وسل إذا رغب، والواصل: الراغب إلى الله»^(٢).

والتوسل الشرعي يدور حول المعنى اللغوي تماماً، فهو بمعنى: «التقرب إلى الله عز وجل بما جعله قربة وسبيلاً إليه؛ للتوصل إلى رضوانه»، وهو المعنى الذي قاله أهل العلم، وأجمعوا عليه، يقول ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله

(١) وسوف أسرد إن شاء الله هذه المخالفات، مع بعض الصور لهذه المخالفة.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٠٥٢ مادة "وسل".

تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: «واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»^(١).

ومن المعلوم شرعاً عدم جواز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم، ولا بقبره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته؛ لأنّ هذا من التوسل الممنوع، وإنما يتوسل العبد باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم والافتداء به، لأنّ ذلك داخل في جملة الأعمال الصالحة. ومن أمثلة التوسل الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبقبره بعد موته .

ثانياً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم من دون الله:

الدعاء من أجل العبادة التي لا تنبغي إلا لله وحده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢) والمقصود هاهنا هو دعاء الطلب ودعاء المسألة.

والدعاء هو: السؤال والطلب والرغبة إلى الله^(٣)، والدعاء في الشرع ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة، ودعاء عبادة^(٤). وقد كان بعض الجهلة يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر في ذلك قصصاً كثيرة كما

(١) تفسير الطبري ٦/٢٢٦، تفسير القرآن العظيم ٢/٥٤ .

(٢) سورة غافر آية ٦٠

(٣) انظر: لسان العرب ١٤/٢٧٥، والدين الخالص ٢/٢٠٤ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٠/٢٤٠، بدائع الفوائد ٣/٤١٥، وتيسير العزيز الحميد ص ٢١٥،

وفتح المجيد ص ٢٠٤، والدين الخالص ٢/١٩٧ .

رواها السخاوي^(١)، ودعاء الداعي عند القبر لا يخلو من حالتين؛ إما أن يدعو الله وحده مستقبلاً القبلة، وهذا لا خلاف في جوازه، وإما أن يدعو الله مستقبلاً القبر، مستدبراً القبلة؛ وهذا هو المنهي عنه؛ لأن في هذا الفعل اشتباه أنه يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم دون الله ﷻ.

ومن صور المخالفات في باب الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ما يأتي:

١. طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم في قبره^(٢)، مثل أن يطلب منه شفاء الأمراض، وذهاب الأحزان والهموم، بل وغفران الذنوب، وغسل الخطايا، وقضاء الديون، وطلب النصرة والمعونة والمدد، وغير ذلك.

٢. المجيء إلى القبر من أجل طلب الاستغفار، ويستدلون على هذا المجيء بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٣)

٣. دعاء الله عند القبر، واستقبال القبر النبوي حال الدعاء.

(١) انظر القول البديع ص ٢٣٩، والرد المحكم المتين ص ٧٧، الابتهاج بأذكار المسافر والحاج ص ٩١.

(٢) انظر نماذج من هذا التوسل في: وفاء الوفاء ٤/ ١٣٨٠، ٤/ ١٣٥، والجواهر الثمينة في محاسن المدينة ص ٤٠، والرد على كتاب حكم الإسلام في التوسل ص ١٤.

(٣) سورة النساء الآية ٦٤.

٤. طلب النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة في قبره.

والشفاعة هي: التوسط للغير بجلب الخير أو دفع الشر^(١)، والمقصود بالشفاعة هنا، الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وطلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم، وأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم واسطة في الطلب والدعاء بين الداعي والمدعو، فيطلب من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أن يدعو الله للداعي بغفران الذنوب وتفريج الهموم ونحوها^(٢).

ثالثاً: التبرك:

التبرك هو: طلب البركة وحصول الخير، يقول ابن القيم رحمه الله:

«التبرك: استدعاء البركة واستجلابها»^(٣).

وينقسم التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى قسمين: تبرك مشروع، وتبرك ممنوع.

أما المشروع فهو ما كان في حياته.

والممنوع ومنه التبرك بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومما ذكره العلماء من هذه المظاهر التبرك الممنوع ما يأتي:

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص ١٥١ .

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢١٤ .

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ٣٩٣ .

١- أخذ الأولاد بعد ولادتهم مع أمهاتهم إلى باب الحجرة من أجل التبرك بالسلامة والحفظ.

قال البرزنجي: «من عادة أهل المدينة^(١) أخذ أولادهم مع الأمهات إلى باب الحجرة بعد تمام الأربعين يوماً، من الولادة غالباً، ويدعون لهم، ويدخلونهم تحت الستارة الشريفة لحظة يسيرة تبركاً أن يمن عليهم بالحفظ والسلامة من العاهات والأمراض وبطول العمر...»^(٢).

٢- لحس مفتاح الحجرة عند ثقل اللسان.

قال البرزنجي: «وما تقدم عن بعض العلماء من سنن أهل المدينة من لحس من ثقل لسانه من صبيانهم مفتاح باب الحجرة الشريفة - وإن لم تر من فعله في زماننا هذا- هو ما يلزم أن يرغب فيه، ويعتنى به؛ لما ذكره؛ تبركاً وتفاؤلاً...»^(٣).

٣- التبرك بأكل التمر وقطع الشعور ورميها قريباً عند القبر.

قال ابن الصلاح رحمه الله: «من جهالات العامة وبدعهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقربهم بأكل التمر في الروضة الشريفة؛ بين المنبر والقبر، وقطعهم من شعورهم، ورميها في القنديل الكبير، القريب من

(١) وهذا ليس من عادة أهل المدينة النبوية المعظمين للسنة، بل هو من عادة أهل البدع المعرضين

عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهدي أصحابه، ولا يكاد يُفعل في عصرنا هذا إلا قليلاً.

(٢) نزهة الناضرين ٣٠٩، وانظر: وفاء الوفاء ١/ ٦١٥

(٣) المرجع السابق.

التربة النبوية»^(١).

٤- التبرك بتراب القبر والحجرة (أو غبار الحجرة).

يقول الحسيني -وقوله كسابقه في النكارة والبدعة-: «ولا بأس بإخراج تراب الحجرة المعطرة، والمسجد الشريف وآثاره للتبريك»^(٢).

٥- التبرك بالمصاحف التي وضعت في الحجرة.

ذكر الحسيني أن هناك مصاحف توضع في الحجرة، وتخرج في أوائل شهر صفر إلى الروضة المطهرة، فيتبرك بها، ويقرأ فيها^(٣).

٦- التبرك بتقبيل القبر والحجرة، ولمسها، والالتصاق بهما.

قال ابن الحاج: «فما يفعله من لا علم عنده من الطواف بالقبر النبوي الشريف، ويتمسح به ويقبله، ويلقون إليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك، كل ذلك من البدع، لأن التبرك إنما هو الإتيان له صلى الله عليه وسلم وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب»^(٤).

٧- التبرك بتقبيل الأرض للقبر والقرب منه.

قال ابن جماعة: «وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، لم يفعله السلف

(١) انظر: الباعث في إنكار البدع والحوادث ص ٢٨٢ .

(٢) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ص ١٠١ .

(٣) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ص ٢٩٩ ، وهذا الفعل قد انتهى في عصرنا والله الحمد والمنة .

(٤) انظر المشاهد المعصومية عند قبر خير البرية ص ٢٩٧ .

الصالح، والخير كله في اتباعه، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وأقوال السلف، وعملهم... وليس عجبي ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه، ومخالفته لعمل السلف، واستشهد لذلك بالشعر^(١).

٨- مرور الجنازة أمام القبر النبوي.

يتمنى بعض الناس أن تمر جنازته أمام الحجرة النبوية، ويدعو الله أن يصنع به ذلك، وينسبون هذا الصنيع لأصحاب رسول الله، حيث زعموا أنهم كانوا حريصين على هذا الأمر من أجل أن يحصل لهم البركة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم^(٢).

٩- وضع الستور، وإيقاد الشموع عند القبر.

يزعم كثيرٌ ممن فتن بالقبور، وتعلق بها أن وضع الستور وإيقاد السرج والشموع على القبور من باب التبرك بها، كما يوهمون العوام أن فيها بركة ما لا يحاط به، وأنها نافعة في الشفاء من الأمراض ونحوها^(٣).

وقد ذكر علي بن موسى في رسالته وصف المدينة النبوية شيئاً كثيراً

(١) انظر وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤/١٤٠٦ .

(٢) انظر نزهة الناظرين ص ١٠٠ ، - أما في عصرنا الحاضر فقد جعل للجنازات باب في قبلة

المسجد وبالتالي فقد لا يكون لهذه المخالفة أثر - .

(٣) المشاهد المعصومية عند قبر خير البرية ص ٢٩٧ .

من هذه الأمور عند القبر النبوي؛ من وضع الستائر، وإيقاد الشموع ونحوها في الحجرة، حتى يخيل لقارئ رسالته أنه في بيت نار من كثرة الشموع، فيقول في رسالته: «وللحجرة المعطرة من الجهة الشامية باب واحد، ويعرف بباب الشامي قبلي دكة الأغوات؛ خدمة حجرة حضرة سيد الكائنات، منه إدخال وإخراج شمع الحجرة، في كل ليلة من رمضان بعد إتمام صلاة التراويح»^(١).

رابعاً: النذور لقبر النبي ﷺ.

النذر هو: «ما أوجبه المرء على نفسه؛ تبرراً في طاعة الله، وتقرباً به إليه؛ من صدقة، أو عمل خير»^(٢)، ومن مظاهر هذه النذور:

١- نذر تعليق القناديل والشموع للحجرة.

قال محمد بن كبريت الحسيني: «وأما تعليق القناديل في الحجرة المعطرة، وجعلها ملكاً، أو وقفاً، أو نذراً، أو هبة، فلا يجوز التهاون به، وإن لم يكن تعليقها في الأول واجباً ولا مندوباً، فقد صار شعاراً يحصل بإزالته النقص، فيجب إدامتها مع إبقائها على الملك»^(٣).

٢- النذر بتطيب القبر.

(١) وصف المدينة المنورة ص ٧ وانظر ص ٦٣ .

(٢) تفسير الطبري ٩١/٣ .

(٣) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ص ١٠٢ وانظر المغانم المطابة ١٣٤٨/٣ ، ومثل هذه

المخالفات قد أشرت في عصرنا هذا والله الحمد والمنة .

ومن ذلك ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا من النذر لتطيب القبر الشريف، فقال: «لو نذر تطيب مسجد المدينة، وكذا الأقصى ففيه تردد لإمام الحرمين؛ لأننا إن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة، أو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا، وكلام الغزالي في آخر باب النذر يقتضي اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه، لا في غيرهما من المساجد، والإمام طرده في الكل، وحيث كان الملاحظ ما ذكر ينبغي أن لا يتوقف فيما لو نذر تطيب القبر الشريف»^(١).

٣- نذر النفائس والمجوهرات للقبر.

ذكر مؤلف عجائب الآثار ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر، والجواهر، والنفائس الكثيرة، التي لا تقدر بقدر، والتي كانت توضع بالحجرة عن طريق النذر والإهداء زمن دخول السعودية الأولى المدينة، وهذه الأشياء - كما يقول - أرسلها ووضعها ضعفاء العقول؛ من الأغنياء، والملوك، والسلاطين الأعاجم، وغيرهم؛ إما حرصاً على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم، أو لنوائب الزمان، فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها، فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء. فلما تقادمت عليها الأزمنة، وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة، وهي في الزيادة، فارتدت معنى لا حقيقة له، وارتسم في الأذهان حرمة تناولها، وأنها صارت مالا

(١) وفاء الوفاء ١/ ٨٧ .

للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلا يجوز لأحد أخذها، ولا إنفاقها..^(١).

المطلب الثاني: المخالفات التعبدية

وهذه العبادات تفعل من أجل القبر لنيل الرضى، وهي كثيرة منها:

١. الجلوس والمجاورة عند القبر بقصد حلول البركة^(٢).

وهي من البدع المنكرة المحدثه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي أو مقام نبي أو غير نبي، فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين، الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(٣) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾^(٤) فهذا عكوف المشركين وذاك عكوف المسلمين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه ويخافونه من دون الله، ومن يتخذونهم شركاء لله وشفعاء عند الله^(٥)».

كما جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن إطالة المكث عند القبور رجاء بركتها من البدع المحدثه، ومن وسائل الشرك الأكبر، فيحرم فعلها، ويجب

(١) انظر عجائب الآثار للجبرتي ٣/ ٢٠٤، والدرر السنينة ١٢/ ٢٨٠.

(٢) انظر محاسن المدينة ص ٤٨.

(٣) سورة الأنبياء الآيات: ٢٥-٥٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٤٤١، ٤٤٢.

نصح من يعملها.^(١)

٢. تلاوة القرآن الكريم وذكر الله^(٢). قال الإمام مالك رحمه الله في القراءة في المقابر: «ما علمت أحداً يفعل ذلك»، وقال بعض أصحابه: «إن القراءة عند المقابر بدعة وليست بسنة» وقال آخر: «وكره شيء من القرآن عند الموت وبعده وعلى القبور، لأنه ليس من عمل السلف، وإنما من شأنهم الدعاء بالمغفرة والرحمة والاعتاظ»^(٣) وتلاوة القرآن عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وعند قبر صاحبيه رضوان الله عليهم، يدخل في هذا النهي إذا قصد القارئ التبرك بهذا العمل، ولم يخلص القراءة لله وحده.

٣. الصلاة عند القبر^(٤) والطواف به: اتفق العلماء على أن الطواف لا يشرع إلا في البيت الحرام، كما لا يجوز الاستلام والتقبيل إلا للحجر الأسود.

يقول النووي رحمه الله: «ولا يجوز أن يطاف بقبره صلى الله عليه وسلم، ويكره إصاق الظهر والبطن بجدار القبر. قاله أبو عبد الله الحلبي وغيره، قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما كان

(١) انظر البدع والمحدثات وما لا أصل له ص ٣٢٢ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٤٨٩/١ .

(٣) انظر وفاء الوفاء ١٤٠٠/٤ .

(٤) انظر حكم القراءة على الأموات ص ٣٥ .

(٥) انظر وفاء الوفاء ١٣٩٤/٤ .

يبعد منه لو حضره في حياته، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، ولا يغتر بكثرة مخالفة كثيرين من العوام، وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم، وجهالاتهم^(١)، والصلاة عند القبر بنية التبرك والتقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل في هذا النهي، وتخصيص مكان أو زمان بصلاة لم يرد تخصيصها في الشرع، مع اعتقاد فضلها، وعظم أجرها، من باب تخصيص العبادة بغير دليل؛ هذا مما نهى عنه الشرع.

٤ . الصدقة للقبر^(٢).

٥ . شد الرحال للقبر^(٣).

٦ . النظر إلى الحجرة على وجه التعبد والتذلل والتخشع^(٤).

٧ . الاغتسال عند زيارة القبر.

٨ . لبس أحسن الثياب لزيارة القبر.

٩ . تجديد التوبة عند زيارة القبر^(٥)، وغيرها من العبادات.

وكل ما مضى فإن له نصيباً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من

(١) المجموع ٢٥٨/٨ .

(٢) انظر: وفاء الوفاء ٤/١٣٩٦ .

(٣) انظر: وفاء الوفاء ٤/١٣٨٩ .

(٤) انظر: وفاء الوفاء ٤/١٤١٠ ومحاسن المدينة ص ٧٧ ونزهة الناظرين ص ٣٠٥ .

(٥) انظر: وفاء الوفاء ٤/١٣٩٩، ١٣٩١ .

عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))^(١) وقوله: ((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))^(٢).

المطلب الثالث: المخالفات السلوكية

ومن أمثلة هذه المنكرات السلوكية:

١- رفع الصوت بالسلام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره.

يُكره رفع الأصوات عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان يكره ذلك في حياته، لأنه صلى الله عليه وسلم محترم؛ حياً، وميتاً، وفي كل وقت، وكل مكان، والسنة للداعين والذاكرين عدم رفع الصوت إلا في مواطن مخصوصة، دلت عليها السنة، كالتلبية والذكر بعد الصلاة.

بل إن رفع الصوت بالدعاء بدعة، كما قال الحسن البصري رحمه الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٤٤٠ رقم ٢٦٩٧، ومسلم في صحيحه كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٧٦٢ رقم ١٧١٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب لزوم السنة ٤/٢٠٠ رقم ٤٦٠٧، وابن ماجه في السنن في المقدمة، كتاب باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/٣٠ رقم ٤٢، والترمذي في السنن، كتاب العلقن، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/٤٣ رقم ٢٦٧٦، وهو حديث مشهور صحيح صححه، جماعة من العلماء، قال الحافظ أبو نعيم: حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، وقال الترمذي حسن صحيح، انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٩٠، وجامع العلوم والحكم ص ٢٥٧، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٣٦٣.

ونص على ذلك الإمام أحمد رحمه الله^(١)، ويقول القرطبي رحمه الله: «وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام»^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «السنة في السلام عليه خفض الصوت، ورفع الصوت في مسجده منهي عنه بالسلام والصلاة وغير ذلك»^(٣).

ومخالفة هذا الأدب في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره يوقع الإنسان في رفع الصوت أيضاً في المسجد، وهذا مما نهى عنه العلماء وشددوا فيه أيضاً، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى رجلين يرفعان صوتهما في مسجد رسول الله فقال: لو أنكما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً، إن الأصوات لا ترفع في مسجده صلى الله عليه وسلم^(٤).

٢- الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله عند القبر.

كان الصحابة رضي الله عنهم يكثرون من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أوقاتهم وأزمانهم، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حياً كان الصحابة يسلمون عليه عند لقائه وعند القيام عنه،

(١) انظر الاستقامة لابن تيمية ص ٣٢٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٣٠٧/١٦ .

(٣) الإخائية ص ٣٣٥. انظر عون المعبود ٢٥/٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد ص ٨١ رقم ٤٧٠ .

ومثل هذا لم يأت عنهم في قبره، بل الثابت عن السلف في سلامهم عليه عند القبر الاقتصار جداً، فيقولون السلام عليك يا رسول الله ثم يسلمون على الصحابين وينصرفون، ولا يمكنون طويلاً، وعليه فإن الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بعد كل صلاة عند قبره من البدع، فلم يكن ذلك من منهج الصحابة، وهم القوم الذين يقتدى بفعالهم.^(١)

٣- الجلوس عند السلام أو الجثي على الركبتين، ووضع اليد اليمنى على اليسرى كهيئة الصلاة.

كان من هدي السلف من الصحابة ومن بعدهم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقوفاً دون انحناء أو جثي^(٢)، وخلاف ذلك إنما هو نتيجة لمخالفة الأدب، فبعضهم استحب كثرة السلام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الكثرة قد تطول، ولا سيما ما يذكرون في هذا الباب من كثرة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به، ولعل المسلم عليه يتعب ويكل من القيام لهذه الكثرة المزعومة، فيستحب له الجلوس حينئذ؛ لأداء ما بقي عليه، ومن الغريب أن الجلوس أيضاً عند القبر له عندهم صفة معينة؛ فأفضله الاقتراش، ثم الجثي على الركبتين!.^(٣) مع أن الثابت عن السلف الوقوف قليلاً ثم الانصراف، قال الإمام مالك رحمه الله: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٧/٣٨٤، ومواهب اللدنية ٣/٤١١ .

(٢) انظر: حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح ص ٤٩٥ .

(٣) حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح ص ٤٩٥. وانظر صيانة الإنسان ص ٣٩ .

الله عليه وسلم يدْعُ، ولكن يسلم، ويمضي^(١).

ومن المخالفات في السلام والصلاة عليه الانحناء، ووضع يده اليمنى على اليسرى، والتذلل، والخضوع، والتخشع^(٢)، والواجب أن يسلم قائماً، وينصرف، فإن هذا كله من البدع المحدثه، التي لم يفعلها سلف هذه الأمة. ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حياً لم يفعل أصحابه معه هذه الصفة المحدثه؛ من الإنحاء، والتذلل، والخضوع له، ووضع اليد اليمنى على اليسرى^(٣)، والخضوع والخشوع لا يكون ولا ينبغي إلا لله العلي العظيم، فما يفعله بعض الجهلة عند قبره ﷺ من هذا القبيل مما ينبغي إنكاره، وبيان حكمه. يقول ابن جماعة رحمه الله في الانحناء عند التسليم: «قال بعض العلماء إنه من البدع، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم»^(٤).

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «وهكذا ما يفعله بعض الزوار عند السلام عليه صلى الله عليه وسلم من وضع يمينه على شماله فوق صدره أو تحت كهيئة المصلي، فهذه الهيئة لا تجوز عند السلام

(١) انظر الصارم المنكي ص ٢٨٢، أوضح الإشارة في الرد على من أجاز المنوع من الزيارة

ص ٣٢٦، ٣٢٧

(٢) انظر المسالك في المناسك ١٠٦٩/٢. وحاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح ص ٤٩٥،

وفاء الوفا ٤/١٣٩٥ وما بعدها.

(٣) انظر وفاء الوفا ٤/١٣٩٦ ومحاسن المدينة ص ٦٣.

(٤) انظر وفاء الوفا ٤/١٤٠٦.

عليه صلى الله عليه وسلم؛ لأنها هيئة ذل وخضوع وعبادة، لا تصلح إلا لله، كما حكى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله عن العلماء، والأمر في ذلك واضح وجلي لمن تأمل المقام، وكان هدفه اتباع هدي السلف الصالح، وأما من غلب عليه التعصب والهوى والتقليد الأعمى وسوء الظن بالدعاة إلى هدي السلف الصالح؛ فأمره إلى الله، ونسأل الله لنا وله الهداية والتوفيق لإيثار الحق على ما سواه، إنه سبحانه خير مسئول^(١).

(١) فصل في أحكام الزيارة وآدابها ص ٢٤-٢٥ .

المبحث الثاني:

كيفية الاحتساب على المخالفات والآثار المترتبة على ذلك.

المطلب الأول: ضوابط الاحتساب.

هناك عدة ضوابط للاحتساب^(١)، ينبغي مراعاتها والتحلي بها في هذا المجال، ومن أبرز هذه الضوابط ما يأتي:

أولاً: الضوابط المتعلقة بالمحتسب:

والمحتسب على المخالفات الشرعية عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ينقسم إلى قسمين:

أ. المحتسب المولى: هو موظف مكلف من قبل الدولة، ليقوم بمراقبة الأفراد وتصرفاتهم لصبغها بالصبغة الإسلامية، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وفقاً لأحكام الشرع وقواعده^(٢).

(١) الحسبة لغة مشتقة من الفعل "حسب" والاسم منه الحسبة والاحتساب، ومن معانيها في اللغة، طلب الأجر، والاختبار، والإنكار، والظن، والاعتداد، والاكتفاء. انظر القاموس المحيط ٥٦/١ ولسان العرب ٦٢٠/١ مادة حسب، وفي الاصطلاح تعريف الماوردي "هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله. أنظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٠

(٢) نظام الحسبة في الإسلام عبد العزيز المرشد ص ١٦، والأصول العلمية للدكتور عبد الرحيم

ب. المحتسب المتطوع: هو من يبادر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من دون وظيفة من ولي الأمر^(١).

وهناك فروق بين المحتسب المولى من الإمام، وغيره من المتطوعين، ذكرها الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية)^(٢):
أحدها: أن حكم الاحتساب فرض عين عليه.

والثاني: لا يجوز له أن يتشاغل عن وظيفته بغيرها من الأمور المباحة كالتجارة مثلاً.

والثالث: أنه منصوب للاستعداد إليه بما يجب إنكاره.

والرابع: أنه يجب عليه إجابة من استعداه.

والخامس: عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة فينكرها، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر فيأمر به.

السادس: أن يتخذ له على الإنكار أعواناً؛ لأنه عمل هو منصوب له، وإليه مندوب، وليكون له أقهر، وعليه أقدر.

السابع: أنه له أن يعزر بالمنكرات الظاهرة، ولا يتجاوزها إلى

(١) انظر الحسبة النظرية والعملية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، د/ ناجي خضيري ص ٨٤ .

(٢) راجع هذه الفروق في: الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٢٩٩-٣٠٠، وأبو يعلى: الأحكام

السلطانية ص ٢٨٤، ٢٨٥، والسنامي: نصاب الاحتساب ٢٤، ٢٥، وص ١٨٩ وما بعدها.

الحدود^(١).

الثامن: أن له أن يرتزق رزقاً من بيت المال.

التاسع: له أن يجتهد رأيه فيما يتعلق بالعرف دون الشرع كمقاعد الأسواق، وإخراج الأجنحة، فينكرها، ما أداه إليه اجتهاده وليس ذلك لغيره.

الضابط الأول: علم المحتسب بما يأمر به وينهى عنه:

العلم أساس كل خير، فما استقام أمر إلا بالعلم، وما اعوجج إلا بالجهل، والمحتسب على المخالفات التي تقع من بعض الزوار عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يكون ملماً بهذه المخالفات العقدية، والتعبدية، والسلوكية، حتى يتسنى له النصح وتبين الحق، والعلم بحال المحتسب عليه، حتى يكون تأثيره أكبر. ويتبين هذا فيما يأتي:

١ - علم المحتسب فيما ينهى عنه، وفيما يأمر به:

وقد اشترط علماء السلف رحمهم الله أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً بما يأمر به وينهى عنه، عالماً بطرائقه ودرجاته وأساليبه ووسائله، وكلّ هذه الشروط لا تتحصّل إلا بالعلم الشرعي المستند إلى الكتاب والسنة.

(١) وهذه من الفروق بين المحتسب المولى والمتطوع، وهذه خاضعة لأنظمة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وحسب الصلاحيات المخول بها للمحتسب.

وقال النووي رحمه الله: «إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه»^(١).

وفي هذا يقول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»^(٢).

وقال الحسن - رحمه الله -: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح»^(٣).

٢- علم المحتسب بشبهه من يعتقد بقبر النبي صلى الله عليه وسلم اعتقاداً مخالفاً للشرع ومعرفة الرد عليها:

إن معرفة شبه المخالفين للزيارة والرد عليها له أثر كبير في قبول قوله أمراً ونهياً ومناقشة؛ لأنه لا شك أن هذه الشبهات يجب أن تعرض على أهل العلم؛ ليكشفوا حقيقتها، ويزنوها بميزان الشرع، حتى يسلم المسلمون من شرها وشر أهلها، ولا تعرض على الجهال وأنصاف المتعلمين، أو تعرض على علماء الضلال، فإن هؤلاء لا يزيدها إلا شراً.

وإذا تبين للمنحرفين سوء فهمهم رجعوا عما هم فيه إلى الحق، وتركوا الباطل وأهله.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٣/٢ .

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٣٦٦ .

(٣) ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١/ ٣٠٤ .

٣- علم المحتسب بطريقة الرد على المخالفين:

إذ لا يتصدى لمقام الرد إلا من اجتمعت فيه الأهلية العلمية، والتي قوامها على أمرين اثنين:

أ. الرسوخ في علوم الشريعة.

ب. الإطلاع التام على شبه القوم، ومواردها، ومعرفة المنهج الأنجع في ردها. وكان السلف -رحمهم الله- يشترطون الأهلية العلمية للمتصدي للرد على المبتدعة عامة، لأن انعدامها يعود بالضرر على الراد أولاً، وعلى الإسلام ثانياً.

نقل الشاطبي في الاعتصام أن رجلاً من أهل السنة كتب للإمام مالك -رحمه الله-: «إن بلدنا كثير البدع، وإنه ألف كلاماً في الرد عليهم. فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يقدر أن يعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ، فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء؛ فيطغوا، ويزدادوا تمادياً على ذلك»^(١).

الضابط الثاني: تحلي المحتسب بالآداب الشرعية.

الآداب والفضائل هي حلية المحتسب، ولها تأثير في المخالفين، إذ أن الأدب الجَمّ يفتح مغاليق القلوب، ويزيل موانع الاستجابة والامثال، ومن أبرز هذه الآداب والخلال ما يأتي:

(١) الاعتصام / ١ / ٣٣ .

١ - الإخلاص وسلامة القصد.

ينبغي للمحتسب على المخالفات الشرعية لزائر قبر النبي ﷺ سواء كان مؤلاً أو متطوعاً؛ أن يتبني باحتسابه وجه الله تعالى، لأن الاحتساب عبادة خالصة لوجه الله تعالى، وإزالة المنكر الذي فيه محادة لأمر الله، ونصح الخلق، وغير ذلك من المقاصد الحميدة، وفي هذا يقول الإمام الشيزري رحمه الله: «ويجب على المحتسب أن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى، وطلب مرضاته، خالص النية، لا يشوبه في طويته رياء ولا مرء، ويجتنب في رياسته منافسة الخلق، ومفاخرة أبناء الجنس، لينشر الله تعالى عليه رداء القبول وعلم التوفيق، ويقذف له في القلوب مهابةً وجلالاً، ومبادرة إلى قبول قوله بالسمع، والطاعة.

فقد قال النبي ﷺ: ((من أَرْضَى الله بسخط الناس كفاه شرهم، ومن أَرْضَى الناس بسخط الله وكله إليهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله فيما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه))^(١).

وذكروا أن أتاك طغتكين، سلطان دمشق، طلب له محتسباً، فذكر له رجلٌ من أهل العلم، فأمر بإحضاره، فلما بصر به قال: «إني وليتك أمر الحسبة على الناس، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

قال: «إن كان الأمر كذلك فقم عن هذه الطراحة وارفع هذا المسند،

(١) رواه الترمذي باب من التمس رضا الله بسخط الناس رقم ٢٥٩٧. وصححه الألباني في

فإنهما حرير، واخلع هذا الخاتم فإنه ذهب. فقد قال النبي ﷺ في الذهب والحرير: ((إن هذين حرام على ذكور أمتي، حلٌ لإناتهما))^(١).

قال: فنهض السلطان عن طراحته، وأمر برفع مسنده، وخلع الخاتم من أصبعه، وقال: «قد ضمنت إليك النظر في أمور الشرطة»، فما رأى الناس محتسباً أهيب منه^(٢).

٢- العدالة^(٣):

عدالة المحتسب من أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها في مقام الاحتساب، لأنَّ أهل الفسق والفجور ليس لهم سلطان أو هيبة، وليسوا محلَّ ائتمان على أعراض الناس.

(١) رواه أبو داود في سننه ١١/ ٨٠، رقم: ٣٥٣٥، والنسائي في سننه ٥/ ٤٣٦، رقم: ٩٤٤٤، وابن

ماجة ١٠/ ٤٥٦، رقم: ٣٥٨٥، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٦٦١.

(٢) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة للشيزري، ص ٤.

(٣) اختلف العلماء في اشتراط العدالة في المحتسب على قولين:

القول الأول: اشترطوا العدالة في المحتسب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكْفُرُ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قالوا: فالفاسق ليس من المفلحين، فيجب أن يكون الأمر والنهي غير فاسق.

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثُلُونُ الْكِتَابِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ والفاسق يأمر بالبر ويقع في خلافه. انظر: جامع بيان العلم ١/ ١٩٢، والأحكام السلطانية للماوردي، ص ٣٠٠.

والقول الثاني: أنَّ العدالة ليست شرطاً في المحتسب، وهو قول جمهور أهل السنة، قال ابن العربي: «وليس من شرطه - أي الاحتساب - أن يكون عدلاً عند أهل السنة، وقال المبتدعة: لا يغير المنكر إلا عدل، وهذا ساقط، فإن العدالة محصورة في قليل من الخلق، والنهي عن المنكر عام في جميع الناس» انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٦٦.

وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى اشتراط العدالة في المحتسب، لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، فالفاسق ليس من المفلحين، فدل هذا على اشتراط العدالة.

ولكن الصحيح أن العدالة ليست شرطاً في المحتسب^(٢) وإن كانت من الأخلاق اللازمة، والضوابط المهمة، قال ابن كثير رحمه الله: «ولكنه - والحالة هذه - مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية؛ لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم»^(٣).

ويمكن أن توصف حال مثل هذا، بما نقل عن أبي عثمان الخيري، أنه قال:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طيب يداوي والطيب مريض^(٤).

٣- الرفق واللين:

الرفق هو لين الجانب في القول والفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر، وحسن الخلق، وكثرة الاحتمال، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف^(٥).

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤

(٢) انظر تفصيل المسألة في: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/١٩٢-١٩٦، والأحكام

السلطانية للماوردي، ص ٣٠٠، ومعالم القرية، ص ١٢.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٢٤٦.

(٤) تفسير القرطبي ١/٣٦٧.

(٥) فتح الباري ١٠/٤٤٩.

قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١). قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر».... فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً، مع البرِّ والفاجر، والسني والمبتدع من غير مدهانة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يُرضي مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾^(٢) فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله باللين معه.

وقال سفيان رحمه الله: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى»^(٣).

فينبغي للمحتسب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يلين جانبه، وأن يأخذهم بالرفق والمداراة، حتى يصل إلى مكامن قلوبهم، فيغير بإذن الله ما علق في أذهانهم، وما ران على قلوبهم من شبه وضلالات.

٤- البداءة بالنفس.

المحتسب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم محطّ

(١) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٢) سورة طه آية ٤٤

(٣) رواه أحمد في الورع بإسناد صحيح، ص ١٥٥.

للأنظار، ترمقه العيون، وتتبعه الأبصار. فإن كان على استقامة، وموافقة بين قوله وفعله؛ كان محلّ التوقير والاقتراء، وإلا اطرحته النفوس، وازدراه الناس، واحتقروا ما يأمر به وإن كان حقاً.

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(١)، قال السفاريني رحمه الله:

ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى مما به يقضى - العجب
فلو بدا بنفسه فزادها عن غيرها لكان قد أفادها

وقال أيضاً: « إنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن، ثابت القلب، قوي الذراعين، فيؤلم ضربه؛ فيردع، فأما من هو سقيم البدن لا قوة له؛ فماذا ينفع تأديبه بالضرب؟ والنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا ينتفع به »^(٢).

٥- العدل والمساواة بين المخالفين:

ينبغي للمحتسب على المخالفين من الزوار لقبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يراعي العدل في أمره ونهيه، فلا يفرق بين قريب أو بعيد، أو عربي وأجنبي، بل يجعل الناس عند أمر الله سواء، لا فرق بين وجيه ووضيع، وذكي وبليد.

(١) سورة البقرة آية ٤٤

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية

للسفاريني ٤٣١/٢.

قال الخلال رحمه الله: (باب ما ينبغي للرجل أن يفعل ويعدل في أمره ونهيه في القريب والبعيد) ثم قال: «أخبرنا أبو بكر المروزي، قال: قلت لأبي عبد الله: فإن كان للرجل قرابة فيرى عندهم المنكر، فيكره أن يغيره أو يقول لهم، فيخرج إلى ما يغتم به من أهل بيته، وهو لا يرى بدا، أو يرى المنكر في غيره فيكره أن يغير للذي في قرابته؟ قال: «إن صحت نيتك لم تبال»^(١).

وقال الإمام النووي رحمه الله: «... ولا يتاركة أيضاً لصداقته، ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومجبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه. وعدوه من يسعى في ذهاب آخرته أو نقصها، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين؛ لسعيهم في مصالح آخرتهم، وهدايتهم إليها»^(٢).

٦- الصبر واحتمال الأذى:

يلاقى المحتسب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم صنوفاً من الأذى اللفظية والحسية، فينبغي له أن يتحلّى بجانب عظيم من الصبر والحلم، وأن لا ينتصر لنفسه.

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر بن الخلال ص ٦٤.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢/٢٤.

وينبغي عليه أن يوطن نفسه على تقبل الأذية، قال تعالى: ﴿يَبْتَغِ أَقْرَبَ الصَّكَاوَةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١)، وكان من وصية عمير بن حبيب رحمه الله لبنيه: «إذا أراد أحدكم أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فليوطن نفسه على الأذى، وليوقن بالثواب من الله، فإنه من يثق في الثواب من الله لا يجد مسَّ الأذى»^(٢).

وسئل الإمام أحمد رحمه الله: «مثل زماننا ترجو أن لا يلزم الرجل القيام بالأمر والنهي؟ قال: إذا خاف أن ينال منه، قلت -السائل-: فالصلاة تراهم لا يحسنون؟ قال: مثل هذا تأمرهم، قلت: يشتك، قال: يتحمل؛ من يريد أن يأمر وينهى لا يريد أن ينتصر بعد ذلك»^(٣).

ثانياً: الضوابط المتعلقة بالمنكرات المحتسب عليها عند قبر النبي ﷺ

تقدمت الإشارة إلى المخالفات والمنكرات الحاصلة عند قبر النبي ﷺ من الزائرين، وهذه المنكرات المحتسب عليها لها ضوابط، يتحتم على المحتسب مراعاتها في مقام الاحتساب، ومنها:

١- التحقق من كونه منكراً:

المنكر كل ما نهى عنه الشارع؛ سواء كان محرماً، أو مكروهاً، وكلمة المنكر في باب الحسبة تطلق على كل فعل فيه مفسدة، أو نهت عنه الشريعة، وإن كان

(١) سورة لقمان آية ١٧

(٢) مسائل أبي داود ص ٢٧٨.

(٣) روضة الطالبين ١٠ / ٢١٩ - ٢٢٠

لا يعتبر معصية في حق فاعله؛ إما لصغر سنه، أو لعدم عقله، ولهذا إذا زنا المجنون، أو هم بفعل الزنا، وإذا شرب الصبي الخمر، كان ما فعله منكراً يستحق الإنكار، وإن لم يعتبر معصية في حقهما؛ لفوات شرطي التكليف؛ وهما البلوغ والعقل^(١).

والمقصود بالمنكرات ومخالفات زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم هي المنكرات المتعلقة بالمخالفات العقدية والتعبدية والسلوكية التي سبق الإشارة إليها.

٢- أن يكون المنكر متفقاً عليه:

لا إنكار في مسائل الاجتهاد والخلاف، وعليه ينبغي للمحتسب على منكرات زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحيط بهذه المخالفات علماً، فلا ينكر إلا ما اتفق أهل العلم على كونه منكراً.

قال الإمام الغزالي - رحمه الله - في شروط الحسبة: «أن يكون منكراً معلوماً بغير اجتهاد، فكل ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه»^(٢).

وروى أبو نعيم بسنده عن الإمام سفيان الثوري - رحمه الله - قوله: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه»^(٣).

(١) انظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ١٧٩.

(٢) إحياء علوم الدين، ٢ / ٢٨٦

(٣) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الحنبلي، ص ٢٩٧

والمقصود بالخلاف هنا المعبر السائغ، بخلاف الاختلاف غير السائغ، الذي لا يقوم على دليل أو حجة، بل هو مجرد هوى محض^(١).

ثالثاً: الضوابط المتعلقة بمنهج الاحتساب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

للاحتساب على منكرات زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم منهج منضبط، ينبغي على المحتسب السير وفقه؛ حتى يأمن على نفسه الزلل، ومن أبرز مفردات هذا المنهج:

١- مراعاة المحتسب للأولويات، والبدء بالأهم وتقديمه على غيره^(٢).

إن مما سنه النبي صلى الله عليه وسلم للداعية أن يبدأ بالأهم فالمهم، وهذا ظاهر في حديثه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله....)^(٣). فأول ما يقدمه المحتسب على المخالفات الشرعية، إذا وقعت مجتمعة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ هي المخالفات العقدية، التي تمس التوحيد

(١) انظر الآداب الشرعية ١ / ١٩٠ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٠ / ٥٨-٦١

(٣) متفق عليه، رواه البخاري ٦ / ٢٦٥٨ ، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم ١٣٦٥، واللفظ له، ومسلم ١ / ٥٠ ، كتاب الإيثار، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم ٢٨.

وجنابه، فيسعى المحتسب على تحقيق التوحيد لله وحده لا شريك لله، وإخلاص العبادة له، ثم بعد ذلك المخالفات الأخرى.

٢- معرفة مراتب إنكار المنكر.

من الضوابط العامة التي يجب على المحتسب معرفتها: معرفة مراتب إنكار المنكر:

وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بقدر الاستطاعة، فإن استطاع المسلم تغيير المنكر باليد كان ذلك هو الواجب في حقه، فإن كان عاجزاً عن التغيير باليد، وكان بمقدوره النهي باللسان، كان ذلك هو الواجب عليه، وإن كان عاجزاً عن التغيير باللسان وجب عليه الإنكار بالقلب، وكراهية المنكر، وهذا في مقدور كل إنسان.

والأصل في ذلك حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعاً: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))^(١)

وفيما يلي مراتب إنكار المنكر:

المرتبة الأولى: الإنكار باليد:

وهي أقوى مراتب الإنكار، وأعلاها، وذلك كإلزام الناس بحكم الله، الواجب إتباعه.

(١) صحيح مسلم ١ / ٦٩، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان .

وذلك لمن كان له ولاية على مرتكب المنكر؛ كالسلطان، أو من ينيبه عنه، كوالي الحسبة، وموظفيه، كل بحسب اختصاصه، وكذا المسلم مع أهله وولده، يُلزمُهُم بأمر الله، ويمنعهم مما حرم الله، باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام، يقوم بهذا حسب الوسع والطاقة^(١).

ولكن التغيير للمنكر باليد لا يصلح لكل أحد وفي كل منكر، لأن ذلك يجر من المفاسد والأضرار الشيء الكثير، وإنما يكون ذلك لولي الأمر أو من ينيبه، مثل رجال الهيئات والحسبة، الذين نصبهم ولي الأمر للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، وكالرجل في بيته؛ يغير على أولاده، وعلى زوجته، وعلى خدمه، فهؤلاء يغيرون بأيديهم، بالطريقة الحكيمة المشروعة.

المرتبة الثانية: الإنكار باللسان:

وذلك حينما لا يستطيع من رأى المنكر تغييره بيده لعدم سلطته على

(١) مجموع الفتاوى ١٥ / ٣٢٩ .

(٢) وإنكار المنكر باليد لمن له سلطة، ويستخدمها النائب عن السلطان في إنكار المنكر، إذا كانت الصلاحيات تميز له ذلك، وإنكار المنكر باليد لرجال الهيئة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم له صور، أذن لهم بها، مثل إتلاف المنكرات الظاهرة، وسحبها من المخالف، كمن يأتي بالتائم، ومن يتمسح بالحجرة، ويأتي بالمنشورات البدعية، وإخراج من يحدث فتنة في وقت الزيارة، وغير ذلك، ولها صور لم يؤذن لهم بها؛ كالضرب والحبس، وما يقوم مقامه من صور الزجر والتعنيف.

مرتكبه، أو لما يترتب عليه من المفسدة المساوية أو الراجحة، فإنه ينتقل إلى التغيير باللسان، وذلك بتعريف الناس بالحكم الشرعي؛ بأن هذا محرم ومنهي عنه، فقد يرتكب المنكر لجهله به، فيمكن تغيير المنكر عن طريق الوعظ، والنصح، والإرشاد، والترغيب، والترهيب، والتقريع، والتعنيف ونحو ذلك من البيان^(١).

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب:

إذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان انتهى إلى الإنكار بالقلب، فيكره المنكر بقلبه، ويبغضه ويبغض أهله - يعلم الله ذلك منه -؛ إذا عجز عن تغييره بيده ولسانه -، وهذا الواجب لا يسقط عن المؤمن بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه، ولا شيء يحول بينه وبينه، وليس هناك شيء من التغيير ما هو أقل منه، كما جاء في حديث أبي سعيد المتقدم: (وذلك أضعف الإيمان) يعني أقل ما يمكن به تغيير المنكر.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٣٩/١٥ ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة ص ٢٨ والكنز الأكبر

فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٠﴾، وبهذا يتبين لنا أن المحتسب لا بد له من معرفة مراتب إنكار المنكر، وضوابطها، وخطواتها، والالتزام بالعمل بها، حتى ينجح في دعوته، وتؤتي ثمارها الطيبة.

٣- موازنة المحتسب بين المصالح والمفاسد:

ينبغي للمحتسب على مخالفات زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم مراعاة المصالح وتحقيقها، ودرء المفاسد وتعطيلها، وأن لا يؤدي الإنكار إلى مفسدة أعظم، إذ الإنكار يشرع إذا أدى إلى إزالة المنكر أو تقليده، أما إذا أدى إلى منكر مساوٍ له أو أعظم منه؛ لم يشرع الإنكار بحال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «.. إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاхمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة، ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر؛ لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً؛ إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقَلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها، وبدالاتها على الأحكام، وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف

ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعاً أو يتركوهما جميعاً؛ لم يجوز أن يؤمروا بمعروف، ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر؛ فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينع عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله، وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب؛ نهى عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر، وسعيّاً في معصية الله ورسوله، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما، ولم ينع عنهما، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهى، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة»^(١).

٤- مراعاة الفروق في الخطاب بين المخالفين:

ينبغي للمحتسب على منكرات زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يراعي الفوارق الموجودة بين المخالفين، إذ فيهم الذكي والبليد، والفقير والأُمِّي، والصغير والكبير؛ وسبيل ذلك أن يكون خطابه وسطاً معتدلاً. وهذه المراعاة تكون في الأسلوب، وبلاغة الخطاب، وفي مضمون الخطاب.

(١) انظر مجموع الفتاوى، ٢٨ / ١٢٩-١٣٠

قال علي رضي الله عنه: «حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة»^(٢).

- وينبغي للمحتسب أن يعتني بمنزلة المخالف ومكانته، والتعامل معه، بالأسلوب المناسب لمقامه؛ لأنّ في إغفال ذلك مدعاة لأن يكون سبباً في ردّ الموعدة، وعدم تقبّلها.

فخطاب المحتسب للحاكم والأمير مثلاً؛ لا ينبغي أن يكون كخطابه للعوام والدهماء.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم»^(٣).

أي: «أمرنا أن نعامل كل أحد بما يلائم منصبه في الدين، والعلم، والشرف»^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه ١/٥٩، كتاب: العلم، باب: من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم: ١٢٤.

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/١٠، وصححه ابن حجر في فتح الباري ١/٢٢٥.

(٣) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/٦، وأبو داود في سننه بلفظ: "أنزلوا الناس منازلهم"، كتاب:

الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم، رقم: ٤٢٠٢، والحديث حسنه السخاوي في المقاصد

الحسنة ص: ١٦٣، رقم: ١٧٩.

(٤) عون المعبود ١٣/١٣٢.

ومن شواهد ذلك أيضاً: الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل؛ وفيه: «من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم....»^(١).

قال ابن حجر عند قوله صلى الله عليه وسلم: «عظيم الروم»؛ ومع ذلك لم يخله النبي صلى الله عليه وسلم من إكرام، لمصلحة التألف^(٢).

رابعاً: الضوابط المتعلقة بوسائل وأساليب الاحتساب على المخالفين من زوار قبر النبي:

وسائل الاحتساب على منكرات زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم متنوعة متباينة، ولها ضوابط تحكمها وتحدها، ومن أبرز هذه الضوابط ما يأتي:

١- أن تكون هذه الوسائل نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه سلف الأمة الصالح رحمهم الله.

فإن كانت الوسيلة مخالفة لنصوص الشرع وقواعده العامة، فلا يشرع التوسل بها إلى المقاصد والغايات.

(١) متفق عليه، البخاري ١/٨-٩، كتاب بدأ الوحي، باب: بدأ الوحي، رقم: ٦، ومسلم

٣/١٣٩٣ كتاب الجهاد والسير، باب: كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى

الإسلام، رقم: ٣٣٢٢.

(٢) فتح الباري ١/٣٨.

قال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله: «لا يتقرب إلى الله إلا بأنواع المصالح والخير، ولا يتقرب إليه بشيء من أنواع المفاسد والشور»^(١). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته يكون مشروعاً ولا مباحاً، وإنما يكون مشروعاً إذا غلبت مصلحته على مفسدته، مما أذن فيه الشرع»^(٢).

٢- أن يكون المقصود من الوسيلة مشروعاً، فإن كان ممنوعاً شرعاً فلا يتوسل إليه بأي وسيلة، لأن النهي عن المقصد نهى عن جميع وسائله المؤدية إليه^(٣).

٣- أن تؤدي الوسيلة إلى المقصد المشروع، إما على سبيل القطع، أو الظن، أو الاحتمال المساوي^(٤).

وأداء الوسيلة إلى مقصودها له حالات:

أ. أن يكون الأداء إلى المقصود ثابتاً قطعاً، فلا إشكال في مشروعية الوسيلة؛ وذلك لتحقيق المقصود منها، وحصوله قطعاً، كالنصرة بالمال والأنفس.

(١) قواعد الأحكام ١/١١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/١٧٧.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١١/٦٢٠.

(٤) الموافقات ١/٢٥٠.

ب. أن يكون الأداء إلى المقصود متتفياً قطعاً، فيسقط اعتبار الوسيلة؛ لأن الوسائل إنما شرعت لتحصيل مقاصدها، فإذا انتفى المقصود كان تحصيل الوسيلة عبثاً.

ج. أن يكون الأداء إلى المقصود مظنوناً حصوله، أو مظنوناً انتفاؤه، فهذه من مواضع الاجتهاد، والخلاف فيها سائغ، وإن كان الأظهر - كما قال الشاطبي - أن أداء الوسيلة إلى المقصود إن كان مظنوناً حصوله فالوسيلة باقية على أصل المشروعية^(١).

٤- أن لا يترتب على الأخذ بتلك الوسيلة مفسدة أكبر من المصلحة المقصودة منها.

فإن كانت تؤدي إلى مفسدة أكبر فلا يشرع التوسل بها، لأنّ درء المفسدة الراجحة أولى من جلب المصلحة المرجوحة.

٥- ألا يعلّق بالوسيلة وصف ممنوع شرعاً.

فالوسيلة قد لا تكون في ذاتها مخالفة للشرع، ولكن يعلّق بها وصف خارجي ممنوع شرعاً، مثل كونها شعاراً للكفار، فتمنع مباشرتها؛ لأجل ذلك الوصف^(٢).

(١) الموافقات ١/ ٢٥٠.

(٢) انظر المدخل للبيانوني ص ٢٩٧.

المطلب الثاني: أساليب وسائل الاحتساب

أولاً: الأساليب^(١).

١- الحكمة:

الحكمة في اللغة تأتي بمعنى: المنع، والعلم، والعدل، والحلم، والطاعة، وموافقة القول بالعمل، وإتقان الشيء^(٢).

وفي الشرع: قال ابن القيم - رحمه الله -: «وأحسن ما قيل في الحكمة: أنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل»^(٣)، وقيل: «وضع الشيء في موضعه»^(٤).

وقيل: «الإصابة في معرفة الحق، والعمل به، والدقة في وضع الأمور موضعها الصحيح»^(٥).

(١) الأسلوب يأتي في اللغة على عدة معاني منها، الطريق، والوجه، والمذهب، والفن، انظر لسان العرب ١/ ٤٧٣، ومختار الصحاح ١/ ١٣٠ مادة سلب، وفي الاصطلاح هو: الطريق القولي والعملي الذي يستخدمه الداعية، للعبور إلى قلب المدعو، وإقناعه بما يدعو إليه. انظر وسائل الدعوة وأساليبها بين التوقف والاجتهاد حسين محمد ص ٢٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٩١. الصحاح ٥/ ١٩٠١ لسان العرب ١/ ٦٨٨.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٩٨.

(٤) الحكمة في الدعوة إلى الله، ص ٣٠.

(٥) وسائل الدعوة. ص ٣١.

وهي مما أمر الله به في كتابه بقوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾^(١)، وقد امتثل النبي ﷺ هذا في دعوته مع المخالفين والمؤلفين، ومن ذلك أن أعربياً بال في المسجد، فثار عليه الناس؛ ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، فإنها بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين))^(٢).

والمحتسب عند قبر النبي ﷺ مطالب بالإقتداء به عليه الصلاة والسلام، لأنَّ للحكمة آثاراً عظيمة في استجابة المخالفين عموماً، والمتلبسين بالبدع والمنكرات عند قبر النبي ﷺ خصوصاً وذلك:

• أنَّ الحكمة خير مفتاح لكلِّ خير، وسبب لنيل كلِّ مطلوب ومرغوب، ومن ذلك إصلاح فساد المخالفين، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٣). ومما نقل عن السلف رحمهم الله في معنى الحكمة هنا: قول مجاهد رحمه في رواية ابن أبي نَجِيح، أنها: الإصابة في القول. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن^(٤)

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا، رقم ٦١٢٨ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٧٠٠ .

• والحكمة هي حسن المقال المفضي إلى تصويب المعوجّ من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى على سبيل الامتنان - عن داود عليه السلام:-
﴿وَأَيُّنَهُ الْحِكْمَةُ وَفَضْلَ الْخَطَابِ﴾^(١)

• والحكمة هي أسمى درجات العلم ومراتبه، ومن ذلك علم المحتسب بسبيل الاحتساب على منكرات زوّار قبر النبي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وفسّرت الحكمة ها هنا بالعلم والفقّه في الدين كما قال الماوردي وغيره^(٢).

وينبغي استخدام أسلوب الحكمة مع عموم المخالفين ويتأكد ذلك في حق من كان جاهلاً بالحكم الشرعي للمخالفة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «فالقلوب التي لها فهم وقصد تُدعى بالحكمة»^(٣)، ففي كلام شيخ الإسلام بيان لمعنى الحكمة، ومن تستخدم في حقه، فمن يحتاج إلى بيان الحق يُدعى بالمقدمات الصادقة لما فيه من إدراك الحق وإتباعه.

وقال ابن القيم - رحمه الله - : «جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريقة الحكمة..»^(٤).

(١) سورة ص الآية ٢٠.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي ١/٢٠٠.

(٣) الفتاوى ١٩ / ١٦٤.

(٤) مفتاح السعادة ١ / ١٥٨.

ضوابط الحكمة وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١. بُعد النظر في عواقب الأمور حين الاحتساب، والمقصود هو التروي، والتأني في الإقدام على أي خطوة؛ بدراسة النتائج المترتبة عليها، والنظر في الفوائد والمفاسد التي ستنتج عنها؛ مراعاة لمصالح المسلمين، وحفاظاً على كيائها وبقائها، فبالحكمة يوازن المحتسب بين المصالح المرجو تحقيقها، والمفاسد الواجب درؤها في حقّ المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه فقد تقتضي الحكمة عدم الإنكار، إذا غلب على ظن المحتسب حدوث البلابل، والقلاقل، والمفاسد العظيمة.

٢. مراعاة الجوانب الشخصية، حيث إن كل إنسان يتميز بميزات وخصائص ومؤهلات تختلف عن غيره، فمن الحكمة أن يسلك الداعية مع كل شخص ما يناسبه، فبالحكمة يتمكن المحتسب من تحيّر الأسلوب الأنجع والوسيلة الأنفع مع كلّ مخالف، بحسب مكانته وعلمه، فينزل الناس منازلهم، ويتخير من أساليب الخطاب ما يلائمهم.

٣. تقديم الأهم فالمهم في الاحتساب على المخالفات، فالمنكرات دركات بعضها أعظم من بعض، فمن حكمة المحتسب على زوّار قبر النبي ﷺ أن يقدم في الإنكار الأغلظ من هذه المنكرات، ثم يتدرّج في إنكاره بحسب عظم المنكر، فيقدم في الإنكار المخالفات العقدية لأنّها الأعظم جرماً، ثم المخالفات التعبدية، فالسلوكية، على حسب درجة المنكر.

٤. تحيّر الأنسب من المحتسبين، فينبغي على ولاة الأمر ومن ناب عنهم أن يتخيروا لهذه الولاية الدينية العظيمة، وهي الاحتساب على منكرات زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، الأجر والأعلم، ومن اجتمعت فيه المكانة العلمية والدربة العملية والحنكة والخبرة، واللين والرفق وغير ذلك من الخلال والخصال، لأن من عين الحكمة أن يوضع الشيء في موضعه المناسب كما تقدّم في تعريف الحكمة.

٥. وإن من الحكمة التي يتطلب تحقيقها في عمل الاحتساب على المخالفات الشرعية لبعض زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ زيادة المحتسبين؛ ليتمكنوا من أداء عملهم المناط بهم على أحسن وجه، وأتمه.

٦. النأي عن الاحتساب في أوقات الانفعال، فمن الحكمة أن ينأى المحتسب بنفسه في حال ثوران غضبه، أو تعب جسده، وتشتت ذهنه، وبخاصة كونه يتعامل مع الوفود والحشود الهائلة من الزوّار، وعليه ينبغي تقليل مدّة عمل المحتسب، وأن يعطى القسط الكافي من الراحة؛ لاسترداد قواه، ويستبعد من كان في حال ثوران أو إعياء؛ حتى يعود لحالته السويّة.

٢- الموعظة الحسنّة:

الموعظة في اللغة تأتي بمعنى: التذكير، والتخويف، والإنذار،

والنصح، والوعظ المقرون بالتحذير، والتذكير بعواقب الأمور^(١).

وفي الشرع: قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : « الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة^(٢)، وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - : « الموعظة الحسنة هي: الدعوة إلى الله عز وجل بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف^(٣) ».

والموعظة الحسنة: هي التي تتسم باللين والشفقة والرحمة، وتخلو من السب والشتم والتعير والفضيحة، وتطابق الكتاب والسنة.

وقيدت الموعظة بالحسنة؛ لأن المقصود منها في الغالب ردع النفس عن الأعمال السيئة، أو القرب منها، فكانت مظنة لصدور غلظة وقسوة من الواعظ للمدعويين، والناس بطبيعة الحال تنفر من الغلظة والقسوة، من أجل ذلك جاء الأمر من الشارع الحكيم بأن تكون الموعظة بالحسنى، ويكون التناصح باستعمال الأسلوب الحسن، الذي لا غلظة فيه، قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^(٤)

وينبغي للمحتسب على المخالفات الشرعية لبعض زوار قبر النبي ﷺ أن يعتني بجانب الوعظ، لأن غالب الناس فيهم غفلة وجهل؛ والموعظة

(١) معجم مقاييس اللغة ٦/١٢٦، لسان العرب ٧/٤٦٦، كتاب العين للفراهيدي ٢/٢٢٨

(٢) مفتاح دار السعادة ١/١٥٨ .

(٣) جامع الأحكام ١٠/٢٠٠ .

(٤) سورة النحل آية ١٢٥ .

الحسنة تستعمل مع من عنده نوع من الجفاء والغلظة والإعراض والغفلة، قال ابن القيم - رحمه الله - : «.. والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة..»^(١).

ضوابط الموعظة، وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفات من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- أمر المخالفين، ونهيبهم، عند مقارفة البدعة، والمخالفة بترغيهم في أجر الاتباع؛ بذكر دليله من الكتاب والسنة، وترهييهم من وزر المخالفة والابتداع؛ بذكر دليله من الكتاب والسنة.

٢- ينبغي أن تكون عظة المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق واللين، وتجنّب التغليظ، وما في معناه؛ لأنّ الرفق لا يأتي إلا بخير، فهو مفتاح لمغاليق القلوب، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أعطي حظّه من الرفق؛ فقد أعطي حظّه من الخير، ومن حرم حظّه من الرفق؛ فقد حرم حظّه من الخير»^(٢).

أي: «أن نصيب الواعظ من الخير على قدر نصيبه من الرفق، وحرمانه منه على قدر حرمانه منه، إذ به تنال المطالب الدنيوية، والأخروية، وبفوته تفوتان»^(٣).

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٨ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤/ ٣٦٧، كتاب: البر والصلة عن رسول الله، باب: ما جاء في الرفق،

رقم: ١٩٣٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٤٨.

(٣) تحفة الأحوذى ٦/ ١٣٠.

قال المناوي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «لأن به - أي الرفق - تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويألف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلفٌ للجتماعات، جامعٌ للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخلُّ بواجب، أو يفعل محرماً أن يترقّق في إرشاده، ويتلطف به»^(١).

٣- التدرّج في أساليب الموعدة، فينبغي للمحتسب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتدرّج في أساليب الموعدة، بدءاً بالتعريف والأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، ثم ارتقاءً إلى التأييب والتحشيم في السرّ، ثم التوبيخ في الإعلان.

قال ابن حزم رحمه الله: «والاتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار^(٢) فقد أخطأ، وتعدى طريقته صلى الله عليه وسلم، وصار في أكثر الأمر مغرياً للموعوظ بالتهادي على أمره لجاجاً^(٣)، وحرّداً^(٤)، ومغايسة للواعظ الجافي، فيكون في وعظه مسيئاً لا محسناً.

(١) فيض القدير ٥/ ٤٦١.

(٢) هو: عبوس الوجه وانقباضه، لسان العرب ٥/ ١٥١، مادة: "كفهر".

(٣) هو: التهادي في الخصومة، مع ثقل اللسان، ونقص الكلام، لسان العرب ٢/ ٣٥٥، مادة:

(لجح).

(٤) وهو: الغضب، مختار الصحاح ١/ ٥٥، مادة: "حرد".

فإن لم يتقبل فلينتقل إلى الموعدة بالتحشيم^(١)، وفي الخلاء، فإن لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ، فهذا أدب الله في أمره بالقول واللين.

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الرفق، وأمر بالتيشير، ونهى عن التنفير، وكان يتخول بالموعدة خوف الملل، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

وأما الغلظة والشدة، فإنما تجب في حدٍّ من حدود الله تعالى، فلا لين في ذلك للقادر على إقامة الحدِّ خاصة^(٣).

٤- ينبغي للمحتسب أن يكون ملماً ببعض المواعظ المشهورة، ذات التأثير الواسع، خصوصاً إذا كان عنده قصور في البيان، وعيّن في التبيان، فلا ضير أن يحفظ بعض المواعظ ليلقيها بين يدي المخالفين.

٥- ينبغي للمحتسب أن يسلك في وعظه للمخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم نوعي الوعظ، وهما وعظ التأديب، ووعظ التعليم.

- أما وعظ التأديب فهو بالتخويف والترغيب والترهيب من البدع عامة، ومن المخالفة المتلبس بها المخالف خاصة.

(١) من الحشمة، وهي: الاستحياء، مختار الصحاح ١/٥٨، مادة: "حشم".

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) الأخلاق والسير، ص ٤٥.

- أما وعظ التعليم: فهو بيان الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

٣- المجادلة بالتي هي أحسن:

المجادلة تأتي في اللغة بمعنى: المناظرة والمخاصمة لإظهار الحق وإلزام الخصم^(١).

وعرفت المجادلة في الشرع: قال الجرجاني: الجدل: دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة^(٢)، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهي الخصومة في الحقيقة، والجدال عبارة عن مرء يتعلق بإظهار المذاهب وتقديرها^(٣). وقال الراغب الأصفهاني: الجدل: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة^(٤).

والمجادلة نوعان: نوع ممدوح، ونوع مذموم.

فالممدوح هو ما كان المراد فيه إحقاق الحق ونصرته، والدعوة إليه بنية خالصة وطريقة صحيحة، وهو جائز شرعاً بل مأمور به، والله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده أن يدعو بأسلوب المجادلة، قال

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ٤٣٣، لسان العرب ١١ / ١٠٣ - ١٠٥ المعجم الوسيط ١ / ١١١ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٦٣ .

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٧٤-٧٥ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٨٩ .

تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «الجدال قد يكون بالتي هي أحسن، وقد يكون بغير ذلك، وهذا يحتمل أن يرجع إلى حال المجادل وغلظته ولينه، وحدته ورفقه؛ فيكون مأموراً بمجادلتهم بالتي هي أحسن، وقد يكون صفة لما يجادل به من الحجج، والبراهين، والكلمات، التي هي أحسن شيء، وأبينه، وأدله على المقصود، وأوصله إلى المطلوب، والتحقيق أن الآية تتناول النوعين»^(٢).

والمبغى على المحتسب حين إنكاره على المخالفات الشرعية، ومجادلة المخالفين؛ أن يتأدب بآداب أهل العلم عموماً، وآداب المتناظرين خصوصاً^(٣).

وتستخدم المجادلة مع كل من له شبهة ويجادل عنها، ليتضح له بطلان ما هو عليه، قال ابن القيم - رحمه الله - : «.. والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن»^(٤)، وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - : «فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) مدارج السالكين ١/ ٤٧٩-٤٨٠ .

(٣) انظر آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٧٦/٢، ومناهج الجدل للألعي ص ٤٤٥ ، وأصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة د. حمد العثمان ص ٥٢٠-٥٩٧ .

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٨ .

أحسن، وهي الطريقة التي تكون أدعى للاستجابة عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي يعتقدها؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود»^(١).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: «إن كان عنده شبهة جادلته بالتي هي أحسن، ولا تغلظ عليه بل تصبر، ولا تعجل ولا تعنف، بل تجتهد في كشف الشبهة وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن»^(٢).

ضوابط المجادلة وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١ - ينبغي للمحتسب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون ملماً بشبهات المخالفين من الزوّار، متمكناً من ردها؛ حتى يتسنى له مقارعة الشبهة بالحجة والبرهان؛ لأنه إذا كان ضعيف الحجّة، ضئيل العلم؛ فلربما كان فتنة لغيره.

نقل الشاطبي في الاعتصام أنّ رجلاً من أهل السنّة كتب إلى الإمام مالك - رحمه الله -: «إن بلدنا كثير البدع، وإنه ألف كتاباً في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً، عارفاً بما يقول لهم، لا يقدرّون أن يعرّجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ،

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤ / ٢٥٥ .

(٢) فضل الدعوة ص ٢٣ .

فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء؛ فيطغوا، ويزدادوا، تمادياً على ذلك»^(١).

٢- ينبغي للمحتسب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون عارفاً بأركان الجدل وشروطه وآدابه، حتى لا يحيف ولا يجور في جداله.

٣- يتحرى المحتسب أن يكون جداله لإقامة الحق، وقمع البدع، لا للانتصار للنفس، والحط من أقدار الناس، وإخلاص القصد هاهنا سبب عظيم للتوفيق والسداد.

٤- يتحرى ولاة الأمر ومن ناب عنهم تخصيص ذوي الكفاءة والقدرة العلمية والخلقية، حتى ينتصبوا لمجادلة أهل الشبه من المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- قد لا يسعف قصر وقت الزيارة إلى جدال أهل الشبه، فينبغي للمحتسب أن ينفرد برؤساء الأفواج من الزائرين من ذوي النباهة منهم، ليجادله في ما علق من ذهنه من شبه خاصة بالمخالفات، الواقع فيها هو، ومن ناب عنهم من الزائرين.

٦- ينبغي للمحتسب أن يبادر إلى طرح السؤال على المخالف ليستخرج منه الشبهة، إذ أن الشبه متجددة في كل عصر، ومختلفة مع كل قوم.

٤ - الترغيب والترهيب:

الترغيب لغة:

قال ابن فارس: طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه^(١).

والترغيب شرعاً:

كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه^(٢).

والترهيب لغة:

قال ابن فارس: الخوف والفرع^(٣).

والترهيب شرعاً:

كل ما يخيف المدعو، ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم

الثبات عليه بعد قبوله^(٤).

وللترغيب والترهيب أهمية بالغة في الدعوة إلى الله، حيث إن الإنسان

محبول على حب ما ينفعه، وينفر من كل ما يخيفه ويفزعه، فأسلوب

الترغيب والترهيب له أهمية بالغة الأثر في الدعوة إلى الله تعالى، فعلى

الداعية أن يوليها عناية تامة، فيذكر ما ورد من الآيات والأحاديث النبوية

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٤١٥ .

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٣٧ .

(٣) مقاييس اللغة ٢/ ٤٤٧ .

(٤) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٣٧ .

الصحيحة في الترغيب بالأعمال الصالحة، وزيادة الباقيات الصالحات، ليزيد محب الخير في نشاطه، ويشوق المتواني والعاجز والخامل في عمل الخير، وتحصيل الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى. كما يرهّب من المعاصي والمنكرات، ويذكر أصحابه بعقاب الله تعالى، وأليم نقمته، وما حل بالأمم السابقة من العذاب والهلاك والدمار، ويبين لهم سبب ذلك بأنه المعاصي، وارتكاب ما نهى الله عنه، وترك ما أوجبه عليهم، وينبغي للداعية كذلك أن يرغبهم في محاسن الأخلاق، ويرهبهم من سيئها، كالكذب، ونقض العهد، والغيبة، والنميمة، والرياء ونحو ذلك.

كما أنّ الترغيب والترهيب من أكثر أساليب الدعوة والاحتساب؛ شمولية وتنوعاً؛ وذلك لأنّ النفس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، بل إنّ حال الفرد الواحد تتقلب بين دواعي الترغيب، ودواعي الترهيب.

وأسلوب الترغيب والترهيب أسلوب متعدّد الأشكال، وهذا ما يعطي المحتسب مجالات رحبة في استخدام الأمثل منها في نصح المخالفين، وفق ظروفهم، ومراعاة لاختلاف أحوالهم.

ومن ضوابط الترغيب والترهيب وأوجه الإفادة منه في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- الترغيب والترهيب يكون في حقّ العالم بالمنكر - من المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم - الجاهل بحقيقة وزره، وعظيم

جرمه، فمثل هذا يسلك معه مسلك الترغيب والترهيب.

قال الغزالي رحمه الله - عند حديثه عن درجات إنكار المنكر - :
«الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً، أو فيمن أصرّ عليه بعد أن عرف كونه منكراً، كالذي يواظب على الشرب، أو على الظلم، أو على اغتياب المسلمين، أو ما يجري مجراه، فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى، وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك، وتحكى له سيرة السلف، وعبادة المتقين»^(١).

٢- ينبغي للمحتسب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتحرى صحيح الترغيب والترهيب، ويتعد عن الضعيف الوارد فيها؛ لكثرة الوضع والاختلاق في هذا الباب، فعليه الرجوع إلى صحاح كتب السنة، وما افرد من صحيح الترغيب والترهيب.

٣- ينبغي للمحتسب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يوازن بين الترغيب والترهيب، وبين الخوف والرجاء، فلا يغلب أحدهما، ولا يفرط في ذكر أحدهما دون الآخر، إلا إذا رأى المصلحة ظاهرة جليلة في تغليب أحدهما على الآخر، قال الغزالي رحمه الله: «الخوف والرجاء دواء ان يداوى بهما القلوب، ففضلها بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى، والاغترار به؛ فالخوف

أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس، والقنوط من رحمة الله؛ فالرجاء أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية؛ فالخوف أفضل»^(١).

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: يستحب للواعظ أن يجمع في موعظته بين الخوف والرجاء، لئلاً يقنط أحد ولا يتكل»^(٢).

٤- ينبغي للمحتسب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم الاعتدال في الترغيب والترهيب، فلا يخرج عما حدّه الشرع فيهما، فلا إفراط ولا تفريط، ولا قنوط ولا ترجية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله، ولا أن يقنط الناس من رحمته، ولذا قال بعض السلف: إن الفقيه كلّ الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجروهم على معاصي الله»^(٣).

والقدر الواجب من الخوف والترهيب، «ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك؛ بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات؛ كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورت مرضاً، أو موتاً، أو هما لازماً، بحيث يقطع عن السعي في اكتساب

(١) "إحياء علوم الدين" ٤/ ١٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧/ ٧٢.

(٣) الاستقامة لابن تيمية ٢/ ١٩٠.

الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل؛ لم يكن محموداً^(١).

٥- يتحرى المحتسب على المخالفين من زوار قبر النبي ﷺ أن يذكر أجر الاتباع، ويرغب فيه عموماً، وأن يبين وزر الابتداع والمخالفة عموماً، ثم يعرّج إلى بيان وزر كل مخالفة على حدة، كل ذلك مقرون بدليله من الكتاب والسنة.

٥- القصص:

«القصّ» في اللغة: القطع والتتبع وإيراد الخبر المقصوص.

يقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهُ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢)، أي تتبّعي أثره^(٣). والقصة: الأمر والحديث.

وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه، والقصص-بالفتح- الخبر المقصوص^(٤).

القصص اصطلاحاً:

عرّف القصص بأنه: «فن مخاطبة العامة، ووعظهم بالاعتماد على القصة»^(٥).

(١) التخويف من النار، ص ١٩.

(٢) سورة القصص، الآية ١١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ٩/ ١١٩.

(٤) الصحاح، مادة "قصص"، ولسان، مادة "قصص".

(٥) ذكر هذا التعريف محقق كتاب القصاص والمذكرين، د. محمد بن لطفي الصباغ في مقدمته ص ٤٩.

والقصّة هي: «كلام حسن في لفظه ومعناه، مشتمل على أحداث حقيقية سابقة، ومتضمّن على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الأخلاق»^(١). وللقصص أهمية بالغة في استجابة المخالفين لأمر المحتسب؛ وذلك لأن:

١- القصص من أعظم أساليب الدعوة والاحتساب، ولذلك أمر الله نبيه الكريم والدعاة والمحتسبين من بعده بالدعوة من خلال القصص، فقال: ﴿فَأَقْصِبْ أَلْقَصَبَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، أي: يتعظون بالفهم والتدبر، فيهدوا إلى الحق والصواب^(٣).

ولذلك أولى القرآن الكريم والسنة النبوية هذا الأسلوب عناية عظيمة، لم يحظ بها أي أسلوب دعوي آخر، فثلث القرآن قصص.

٢- النفس البشرية مجبولة على محبة القصص والميل إليها، وربطها بالواقع المعاش، وهي أكثر تأثيراً من غيرها من الأساليب في الغالب، ولذلك تجد بمجرد سردها تقبل الأسماع إليها، وتنشط النفوس معها، وتتأثر بمضامينها تأثراً عظيماً، فالنفوس مولعة بمتابعة القصة، لاسيما جنس العامة.

(١) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٢٨٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي ٤٨/١٥، وفتح القدير ٢/٢٦٦.

ثم إن غريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع، وأذنه، وانتباهه، بشفتي القصصي البارع؛ استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

ومن ضوابط القصص، وأوجه الإفادة منه في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- يتعين على المحتسب الالتزام بالصدق والواقعية عند إيراد القصص، والابتعاد عن خيال الأدباء، وكذب الشعراء، وقد نبّه الله تعالى عباده إلى ذلك في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

٢- لا بد أن تساق القصة مساقاً حسناً، يجمع بين براعة أسلوبها، وحسن إيرادها، وأن تقصد منها العبرة والعظة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

فيتعد المحتسب عما لا خير فيه ولا فائدة من التفاصيل المملّة، وإن أبهم ذكر أسماء الأشخاص ومساكنهم؛ كان ذلك أنفع، وأشد وقعاً.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٢) سورة يوسف، الآية ١١١.

هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْعَاقِلِينَ ﴿١١﴾، والقَصَص بالفتح: هو طريقة إيراد القصة، فالحسن منصرف في المقام الأول إلى أسلوب إيراد القصة^(١).

٣- لا بد أن تُعرَض القصة وتُستخدَم في الاحتساب بالقدر المعقول؛ فلا تكون هي اللغة الوحيدة في الخطاب، أو تكون على حساب غيرها من أساليب الاحتساب، كما هو شأن القُصَّاص؛ قديماً وحديثاً^(٢).

٤- الحذر من القصص الواهية، والأخبار التي لا زمام لها، ولا خطام؛ إذ أن النفوس كثيراً ما تتعلق بالغرائب وتجنح إليها، والقليل منها هو الذي يثبت عند التحقيق والنقد العلمي^(٣).

٥- ينبغي للمحتسب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستحضر قصص السلف رحمهم الله، وأدبهم في الزيارة، ويتحرّى أن يذكر لكل مخالف سيرة من يتأثر به، كسيرة الإمام مالك؛ إن كان المخالف مالكياً، أو سيرة الإمام الشافعي وأدبه في الزيارة؛ إن كان المخالف شافعيّاً، وهكذا بالنسبة للعلماء المعاصرين، المشهود لهم بالعلم والتقوى، ممن لهم تأثير على المخالفين.

(١) سورة يوسف، الآية ٣.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٧/١٨.

(٣) انظر: القصاص والمذكرين، لابن الجوزي ص ٢٠١.

(٤) انظر: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، للسيوطي ص ١٩٥.

٦- ينبغي للمحتسب أن يذكر من قصص القرآن، الدالة على حسن عاقبة الموحدين، والمتبعين لسنة سيد المرسلين، وبالمقابل قصص المعرضين، والمبتدعين، المخالفين لهدي سيد المرسلين، الواقعين في أدران الشرك، وأوحال الجاهلية.

٦- الأمثال:

الأمثال لغة: جمع «مَثَل» ويطلق في اللغة على الشبيه والنظير، قال الراغب: «والمَثَل يقال على وجهين: أحدهما بمعنى المَثَل، نحو شَبَّه وشَبَّه... والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني»^(١).

وفي الاصطلاح: عرفها الراغب الأصفهاني فقال: «المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، لبيان أحدهما الآخر ويصوره، نحو قولهم (الصيف ضَيَّعتِ اللبن)»^(٢) (٣).

وقيل: «المثل جملة من القول مقتضية من أصلها، أو مرسلها بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها»^(٤).

(١) المفردات في غريب القرآن، ص ٤٦٢.

(٢) يضرب لمن يضع المعروف في غيره أهله، ولمن يُكافأُ بالسوء على إحسانه. انظر مجمع الأمثال للميداني ١٤٤/٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٤٦٢.

(٤) زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي ٢٠/١.

ولضرب الأمثال أهمية بالغة في الدعوة والاحتساب، وذلك لأن:

١- الأمثال من أقوى الأساليب البلاغية؛ إقناعاً وحجة، ودقة، ووضوحاً، فالمثل قد استحوذ على جملة من الخصائص، قل أن تجتمع في غيره من الأساليب البيانية.

قال إبراهيم النظام: «يجتمع في الأمثال أربعة لا تجتمع في غيرها من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية»^(١).

وهكذا يُستفاد من ضرب الأمثال في تجلية الحقائق، وتصويرها بشكل محسوس، حتى تبدو ماثلة للعيان، وبخاصة إذا كان المثل مأخوذاً من بيئة المخاطبين، ومنتزعاً من واقعهم، فإن ذلك المعنى المراد يعود إلى الذهن من جديد كلما مرّ بالمخاطب المشاهد الذي صيغ منه المثل، فتصير هذه المشاهد تنبيهات متكررة، تؤثر في النفوس في كل حين^(٢).

٢- وتعدّ الأمثال من أعظم سبل التعليم والتفهم، لأنّ بالمثال يتّضح المقال، فهي من أعظم وسائل الإيضاح والبيان، لأنها تجسد المعاني، وتضرب لها أسبابها؛ ليسهل إدراكها، وليبرز كنهها.

قال ابن القيم رحمه الله: «فهذه وأمثالها من الأمثال التي ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقريب المراد، وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن

(١) الأمثال في الحديث النبوي، للحافظ أبي الشيخ الأصبهاني ص ١٨

(٢) انظر منهج الإسلام في تزكية النفس ص ٣٧٧-٣٧٨.

السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه، واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشبهاء الأتس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظر، ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها، وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق؛ أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل، ولبه، وثمرته^(١).

ومن ضوابط الأمثال وأوجه الإفادة منه في الاحتساب على المخالفين من زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- ينبغي أن يكون المثل واضح المعنى، غير ملتبس؛ حتى يفهمه المخالف، ويعي المراد منه.

٢- على المحتسب أن يتخير من أمثال القرآن المضروبة؛ سواء كانت أمثالاً قصصية، أو أمثالاً سائرة، مما يناسب نوع المخالفة التي وقع فيها الزائر، وتلبس بجرمها.

٣- لا ضير أن يستخدم المحتسب الأمثال السائرة في بيئة المخالف، وهنا يحسن به أن يكون ملماً ببعض الأمثال، حسب كل قوم، وبيئة، ومصر.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ١/٢٣٩.

ثانياً: الوسائل^(١):

١ - الخطابة:

الخطابة في اللغة هي: «الكلام المنشور المسجوع»^(٢).

الخطابة شرعاً:

قال ابن رشد: «هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة»^(٣)، وعرفها بعضهم بأنها: «فن مشافهة الجمهور للتأثير فيهم واستمالتهم»^(٤)، ويقول الشيخ علي بن محفوظ: «وقد يطلق الوعظ والإرشاد في عرف الخطباء والأدباء على الخطابة الدينية؛ سواء أكانت تعليمية لبيان المسائل الشرعية، أو العلمية، أو الخلقية، أم تأديبية لإيقاظ الناس من غفلتهم بالتذكير والإنذار»^(٥).

وتُعَدُّ الخطبة إحدى وسائل الأداء البياني في الإسلام للدعوة إلى الله

(١) في اللغة تطلق ويراد بها الرغبة والطلب، وهي ما يتوسل بها إلى الغير، انظر: معجم مقاييس اللغة ١٠٥٢ مادة (وسل)، وفي الاصطلاح هي: الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته، انظر: رسالة في الدعوة للعلامة ابن عثيمين. وعرفها الدكتور عبد الرحيم بأنها ما يتوصل به إلى دعوة الناس، وفق المنهج القويم، انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة ص ٤٨٢.

(٢) انظر: لسان العرب ١ / ٣٦١ . المعجم الوسيط ١ / ٢٤٢، مختار الصحاح ص ٧٦ . المفردات

للراغب ص ١٥٠

(٣) تلخيص الخطابة لابن رشد ص ٢٤ .

(٤) قواعد الخطابة للدكتور أحمد غلوش ص ٨ .

(٥) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ ص ٩٩ .

تعالى، وتبليغ دينه، والتذكير بأصوله وفروعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح والإرشاد إلى الخيرات، والفضائل الفكرية والسلوكية، الباطنة والظاهرة.

ومما يوضح أهمية الخطابة في مجال الدعوة والاحتساب:

١- أن الأنبياء عليهم السلام باشروا دعوتهم لأقوامهم، عن طريق وسيلة الخطابة، وكانت الخطبة هي الوسيلة الأولى في الدعوة والاحتساب. قال تعالى -ممتناً على نبيه داود عليه السلام-: ﴿وَأَيِّنُّهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ لِنَطَابٍ﴾^(١).

وفصل الخطاب هو: البلاغة والبيان والإيجاز، حيث يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «والأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة»^(٣).

٢- الخطابة هي صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل، كما أنها لازمة لطرد الأهواء، وعلاج الأمراض الدخيلة والمتوتنة.

(١) سورة ص الآية ٢٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٥/١٤٣.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/١٤٥.

ولهذا تجد المحتسب يستخدم هذه الوسيلة لعلاج الآفات التي يراها في أمته، وهكذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يخاطب في الناس؛ كلما رأى فيهم منكرًا، أو اعوجاجًا.

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته»^(١).

وقال أيضاً: «وكان يخاطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصالحهم»^(٢).

ومن ضوابط الخطب، وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- ينبغي للمحتسب أن يلقي بين يدي الزوّار بين كلّ فينة وأخرى خطبة مقتضبة، يبيّن فيها محاسن التوحيد، والاتباع، وفضائله، وأوزار الشرك والابتداع، وذلك بين يدي قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويحسن أن تكون الخطبة بلغات شتى، حتى يستفيد منها الكم الهائل، ويراعى فيها قصر الزمن، وجزالة الأسلوب الذي يجمع المعاني الكثيرة، مع إيجاز اللفظ.

٢- للمحتسب على زوّار قبر النبي ﷺ أن ينتقل إلى بعثات هؤلاء الزوّار ومكان إقامتهم، ليلقي بين يديهم بعض الخطب المقتضبة في آداب الزيارة المشروعة، والتنبيه عن المخالفات الرائجة، المشهورة بين الناس.

(١) زاد المعاد ١/٤١١.

(٢) المصدر السابق ١/١٧٩.

٣- قد يستفيد المحتسب من الخطب العامة، التي تلقى في المسجد النبوي، والتي توضح آثار الابتداع والشرك، فيجعلها مدخلاً للاحتساب على المخالفين من الزوّار.

٢- تأليف الكتب:

التأليف والتصنيف والتدوين، ألفاظ مترادفة تدلّ على معانٍ متقاربة، ومعناها العام هو: «تقييد المتفرق، وجمع المشتت من الأخبار والعلوم في ديوان أو كتاب، ومنه جمع الصحف في كتاب»^(١).

والتأليف هو رأس الوسائل الدعوية والاحتسابية، وأكثرها نفعاً، واستمراراً في النفع، فهو الوسيلة التي لا ينقطع عن المحتسب فضلها وأجرها، حتى بعد موته، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))^(٢).

فالكتاب هو أصلح الوسائل للدعاة والمحتسبين، فهو خطيب لهم في كلّ زمان، وهو طبيب القلوب، وسلاح بيد الواعظ، يستطيع به كسر الجنود العظيمة، ويكسر به بأس كلّ شديد^(٣).

(١) لسان العرب ١٨٩/٩ .

(٢) رواه مسلم ١٣/١٢٥٥، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم: ٣٠٨٤.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ص ٥٧.

ولا شك أن تأليف الكتب في الزيارة الشرعية، وتوضيح المخالفات الشرعية لبعض زوار قبر النبي ﷺ؛ له أهمية كبرى في تحسين سلوك الزوار المخالفة، وهذه الوسيلة تعد من أهم الوسائل الدعوية الناجحة؛ حيث إنها تصل إلى المدعو، ومن يراد الاحتساب عليه بكل سهولة ويسر.

ومن ضوابط تأليف الكتب وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- تأليف الكتب العلمية التي تبين الزيارة الشرعية لقبر النبي صلى الله عليه وسلم، و ترد على مخالفات زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، مقرونة بالأدلة، والرد على الشبه التي يتمسك بها المخالفون.

٢- تأليف الكتب في بيان الآداب الشرعية التي ينبغي أن يتحلى بها الزائر لقبر النبي، مع ذكر الأدلة على ذلك من نصوص الوحي، ومن سيرة السلف الصالح رحمهم الله.

٣- ينبغي لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تحفّز همم المختصين لمزيد التأليف في باب الزيارة المشروعة، ولا ضير أن تخاطب في ذلك المعاهد والجامعات المختصة.

٤- ينبغي للمحتسب أن يتزوّد ببعض الكتب في باب الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ حتى يوزعها على المخالفين منهم.

٥- ينبغي لهيئة الأمر بالمعروف ووزارة الشؤون الإسلامية أن تتولى طباعة هذه الرسائل والكتب، ومن ثم توزيعها بالمجان على الزائرين في مقر سكناهم وبعثاتهم، ويوزع أيضاً منها على الملحقات الثقافية في البلاد الإسلامية.

٣- ترجمة بعض الكتب المبينة لأداب الزيارة المشروعة ولحكم المخالفات الشرعية.

الترجمة تأتي على عدة معانٍ منها: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول أبي حمزة: «كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس» ومنه قول الشاعر:

إن الثمانين وقد بلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان^(١)

ومن معاني الترجمة أيضاً تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، وتوضيحه وتبيينه، ومنه لقب ابن عباس أنه ترجمان القرآن، قال عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس^(٢). ومن المعاني أيضاً تفسير الكلام بلغة غير لغته، يقول الجوهري: «ويقال: ترجم كلامه، إذا فسر له بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع تراجم»^(٣). والتعريف الاصطلاحي يأتي بالمعنى الأخير، وهو ترجمة الكلام إلى لغة أخرى.

(١) ترجمة القرآن الكريم حقيقتها وحكمها للدكتور علي بن سليمان العبيد ص ٤.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٦/٢.

(٣) الصحاح ١٩٢٨-١٩٢٩، لسان العرب ١٢/٢٢٩، القاموس المحيط ١/٣٦٤.

وللترجمة أهمية بالغة في مجال الدعوة والاحتساب، ذلك لأن مضمون الدعوة ما كان ليصل مشارق الأرض ومغاربها؛ لولا ترجمة مضمون هذا الدين ومعانيه للغات الأرض.

ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يرسل الله لكل قوم من يخاطبهم بلسانهم؛ ليفقهوا عنه دعوته، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١).

ومن ضوابط الترجمة وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- ينبغي الاستعانة بذوي الكفاءة من المحتسبين ممن يجيدون عدة لغات، للاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإن تعذر وجودهم فلا أقل من وجود بعض المترجمين من طلاب الجامعة الإسلامية وغيرهم؛ للاستعانة بهم في الترجمة الفورية.

٢- ينبغي لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تعنى بإقامة دورات للمحتسبين، وتأهيلهم تأهيلاً علمياً ولغوياً؛ للتصدر للاحتساب على المخالفين من الزوّار، من الجنسيات المختلفة.

٣- يتعين ترجمة الكتيبات والمطويات وغيرها باللغات المشهورة

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

المنتشرة في العالم، ويستعان في ذلك بذوي الكفاءة اللغوية والشرعية؛ من أبناء المسلمين.

٤- تسجيل الأشرطة السمعية التي توضح الآداب الشرعية للزيارة، وتبين المخالفات بلغات عديدة، ومن ثم توزيعها على الزوّار؛ المخالفين منهم، وغيرهم.

٤- التدريس

يعد التدريس وتعليم الناس من أقوى وسائل الدعوة، حيث يتيح للداعية والمحتسب التمكّن من المدعوين، فيبث روح الإسلام، ومعلمه، وأدابه، وحدوده، وأخلاقه فيهم. فالتعليم من أهم الوسائل التي يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يحتذيها، والنبى صلى الله عليه وسلم قد اهتم بها اهتماماً بالغاً، فكان يعلم الصحابة في المسجد، «ووسيلة التعليم وسيلة أصيلة، ومعاصرة؛ من حيث النشأة والتاريخ، فهي من لدن آدم عليه السلام؛ حينما علمه ربه الأسماء، ومروراً باستعمال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها... وهي معاصرة؛ نظراً لأهميتها، وتفعيلها عبر المناهج الحديثة في التعليم... في عصرنا الراهن..»^(١).

ومن ضوابط التدريس، وأوجه الإفادة منه في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) انظر: دراسات إسلامية دوريه، علمية، محكمة العدد ٧ ص ٤٦ .

١- لا بد أن تكون الدروس غباً^(١)، فينبغي للمحتسب أن يقيم بعض الدروس في مقرات الجاليات، والبعثات، وفي بعض المساجد القريبة من سكن الحجاج والمعتمرين، ولكن ينبغي أن لا تكون سرداً إنما غباً، لتحصل الفائدة المرجوة، ويتجنب السامة والملل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدعاء عمل صالح، وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات... لكن ينبغي أن يكون هذا أحياناً في بعض الأوقات والأمكنة، فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها إلا ما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم المداومة عليه في الجماعات؛ من الصلوات الخمس في الجماعات، ومن الجُمُعات، والأعياد، ونحو ذلك»^(٢).

٢- يحرص المحتسب على تسجيل المحاضرات التي يشافه بها بعض الزوّار لقبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم توزيعها -بعد نسخها- على أكبر عدد من الحجاج، والمعتمرين.

٣- يستعين المحتسب ببعض المدرسين المرموقين ممن لهم شهرة وأثر في الناس، لإقامة دروس التوعية المبينة لآداب الزيارة الشرعية، ومحاذيرها، ومخالفاتها.

(١) أي: أحياناً غير مستمرة بصفة دائمة، مختار الصحاح، مادة: «غب» ١/١٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٥٢١.

٤- ينبغي أن تكون هذه الدروس بلغات مختلفة؛ حتى يتمكن الزوّار من فهم الخطاب.

٥- التأكيد على أصحاب الفضيلة المدرسين في المسجد النبوي الشريف للحديث عن آداب الزيارة، ونشر ذلك للناس، مع توضيح المخالفات للزيارة المشروعة والتحذير منها، بأسلوب مناسب، غير ممل؛ فالزوار متجددون دائماً.

٥- المطويات:

وهي عبارة عن ورقة تعرض موضوعاً محدداً بحجم (٣٠×٢٠سم تقريباً) ثم تطوى بعد ذلك لتتنقسم إلى أربع صفحات، أو ست، على حسب الاحتياج، وقد تزيد مساحتها، وقد تقصر، وفقاً لرغبة كاتبها، ولها عدة أنواع.

وتأتي أهميتها في مجال الدعوة، والاحتساب؛ لقلّة كلفتها، وسرعة انتشارها، ورواجها، وقبولها بين الناس.

ومن ضوابط المطويات، وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- ينبغي أن تتضمن هذه المطويات الآداب الشرعية لزوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تُبيّن فيها المخالفات بشكل مختصر، مقتضب.

٢- ضرورة وجود هذه المطويات بلغات مختلفة، حتى يستفيد منها

الزوّار والحجاج والمعتمرين كافة.

٣- ينبغي التّكفل بطباعة أعداد كبيرة من هذه المطويات، ثم توزع في أماكن عديدة، منها: عند القبر، ومقرّ البعثات، ومداخل المطارات، والملحقيات الثقافية في البلاد الإسلامية.

٦- الأشرطة السمعية والبصرية:

وتأتي أهميتها في مجال الدعوة والاحتساب، كونها تماثل الكلمة كفحاً، فلها من التأثير ما للدروس، والخطب، والمحاضرات المباشرة، زيادة على سعة انتشارها، وكثرة المستفيدين منها في كل الأقطار والأزمان.

ومن ضوابط الأشرطة السمعية، والبصرية، وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

١- ينبغي للقائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توفير من المواد السمعية والبصرية؛ التي تتحدث عن الآداب الشرعية لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً بيان المخالفات، والشبه، ودحضها.

٢- يتعيّن على هيئة الأمر بالمعروف أن تعنى بتسجيل المواد الصوتية والبصرية، المتعلقة بآداب الزيارة، ومنكراتها، ومن ثم نسخها بأعداد كبيرة.

٣- ينبغي الإفادة من التقنيات الحديثة في تسجيل هذه المواد الصوتية والبصرية، كالأقراص المضغوطة وغيرها.

٧- الخطوط الهاتفية المجانية المباشرة:

الهاتف أداة اتصال فعالة بين المدعويين والدعاة المحتسبين، تمكّنهم من الاستفسار، ومعرفة الحق، وتمييز الباطل، في أي وقت أرادوا، دون الحاجة إلى وجود الحاج في موقع العمل.

ومن ضوابط الخطوط الهاتفية، وأوجه الإفادة منها في الاحتساب على المخالفين، من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم ما يأتي:

أ - ينبغي تواجد أماكن للاتصالات الهاتفية (كبائن) بالمسجد النبوي، وغيره من المساجد، والمشاعر، التي يتواجد فيها الزوّار؛ من الحجاج والمعتمرين، بأعداد كافية، وأن تكون بارزة في أماكن ظاهرة، وأن يكون الرقم مدوناً عليها، ومنتشراً بين الحجاج في مقر بعثاتهم، أو في البطاقات التي تسلّم لهم عند المنافذ الحدودية.

ب - أن يتواجد المحتسبون في هذه الأرقام على مدار الساعة؛ للإجابة على ما يُشكّل على الزوّار من آداب الزيارة، وسننها.

٨- اللوحات الإعلانية؛ الورقية، والالكترونية:

وتأتي أهمية هذه اللوحات في مجال الدعوة والاحتساب في يسر الوصول والإطلاع عليها، من قبل الحشود الغفيرة في وقت واحد، مع يسرها، وقلة تكلفتها.

ومن ضوابط اللوحات الإعلانية، وأوجه الإفادة منها في الاحتساب

على المخالفين، من زوّار قبر النبي صلى الله عليه وسلم ما يأتي:

١- ينبغي أن تكتب هذه اللوحات بلغة مفهومة، وأن تجمع بين الحروف، والرسومات، والإشارات؛ حتى يسهل فهمها من قبل العامي والمثقف، ويحرص فيها على بيان الآداب الشرعية لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، والمخالفات الحاصلة فيها.

٢- ينبغي أن تكتب هذه اللوحات بلغات عديدة، حتى يسهل فهمها من قبل الزوار والحجاج والمعتمرين كلهم.

٣- ينبغي أن توجد هذه اللوحات في مكان بارز وواضح، ويتجنب وضعها في القبلة؛ لأنها تشغل المصلين، ولا ضير أن تخصص بعض اللوحات الالكترونية في أعلى جدار الحجرة النبوية، تُبين فيها آداب الزيارة الشرعية، وتُنبه عن المخالفات فيها.

المطلب الثالث: آثار الاحتساب

هناك آثار حسنة للاحتساب على المخالفات الشرعية، تعود على المحتسب، وعلى المحتسب عليه، وعلى المجتمع.

أولاً: آثار الاحتساب على المحتسب:

١- خروجه من عهدة التكليف: ولذا قال الذين حذروا المعتدين في السبت من بني إسرائيل لما قيل لهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ

مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاكَ رَبُّكَمْ وَعَلَيْهِمْ يَنْقُوتُونَ ﴿١٠١﴾ فالساكت عن الحق والمنكر مؤاخذ ومتوعّد بالعقوبة، كما أنه شيطان أحرص. قال علي بن الحسين: «التارك للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ كالنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي منهم تقاه، قالوا: وما تقاة؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه، أو أن يطغى»^(١).

٢- إقامة حجة الله على خلقه: قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢).

٣- الشهادة على الخلق: قال الإمام مالك رحمه الله: «وينبغي للناس أن يأمروا بطاعة الله، فإن عصوا كانوا شهوداً على من عصاه»^(٣).

٤- أداء بعض حق الله تعالى على المحتسب؛ من شكر النعم التي أسداها له؛ من صحة البدن، وسلامة الأعضاء، كما جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة...))^(٤).

(١) سورة الأعراف آية ١٦٥

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١٥/٩.

(٣) سورة النساء آية ١٦٥.

(٤) الجامع لابن أبي زيد القيرواني، ص ١٥٦.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم: ١٢١٦

٥- تحصيل الثواب: ويدلّ على ذلك الحديث السابق، وقال حذيفة لما سأله عمر رضي الله عنه عن الفتنة: «فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

٦- النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي الذي توعدّ الله به من قعد عن هذا الواجب وأهمله: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٢).

٧- التشبّه بالرسول، والقيام بدعوتهم، والسير في طريقهم: قال الغزالي رحمه الله: «فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمل الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه، وأهمل علمه، وعمله؛ لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة»^(٣).

ثانياً: آثار الاحتساب على المحتسب عليه:

١- تطهير القلوب، وإصلاح المعتقد بالله عز وجل:

وهذا من أعظم الآثار التي تعود على المحتسب عليه، وإصلاح المعتقد بالله عز وجل هو من أعظم الآثار الإيمانية، وأجلها، وهو الغاية التي خلق الله عز وجل من أجلها الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

(١) متفق عليه، البخاري: كتب الزكاة، باب: الصدقة تكفر الخطيئة، حديث: ١٤٣٥، ومسلم:

كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في الفتنة تروج كموج البحر، رقم: ١٤٤.

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٥

(٣) إحياء علوم الدين ٢/٣٠٦.

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾.

قال عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: « هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. فما يريد منهم من رزق، وما يريد أن يطمعوه، تعالى الله الغني، المغني عن الحاجة إلى أحد، بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق فقراء إليه، في جميع حوائجهم، ومطالبهم؛ الضرورية وغيرها »^(١).

٢- قبول العمل الصالح:

فإن الأعمال لن تكون مقبولة عند الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على المتابعة والإخلاص، قال تعالى: (الذي خلق الموت والحياة...)، قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: (أخلصه وأصوبه)، قيل يا أبا علي: «ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل. وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعاً فيه الشرع

(١) سورة الذاريات آية ٥٦

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨١٣.

والسنة»^(١).

٣- إصلاح الانحراف في العبادة:

وهذا من أعظم آثار الاحتساب، وهو صلاح عبادتهم من بعد ما انحرفت عن الصواب، وعن متابعة النبي ﷺ وسلف هذه الأمة.

٤- إصلاح الانحراف السلوكي:

وهذا من الآثار الحميدة على الاحتساب للمخالفات السلوكية، عند الحجرة النبوية.

٥- رجاء الانتفاع والاستقامة: كما قال الناصحون من بني إسرائيل

لمن قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِمْ قُوَّةٌ أَلَيْسَ اللَّهُ بِمُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۗ قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾^(٢).

٦- تهيئة الأسباب لتحقيق النجاة الدنيوية والأخروية: قال أبو هريرة

رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۝﴾^(٣) ((خير الناس للناس، يجاء بهم

(١) دقائق التفسير ١٧٠/٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٥

(٣) سورة آل عمران آية ١١٠.

وفي أعناقهم السلاسل حتى يدخلهم في الإسلام^(١).

ثالثاً: آثار الاحتساب على المجتمع:

١- إقامة الملة، وحفظ العقيدة من الانحراف؛ لأن المحتسب يقضي بإذن الله- على المخالفات التي تنافي الشرع المطهر، ويبين خطرها، وآثارها البعيدة للناس، فالمحتسب يقوم بتبيين أعظم المعروف؛ وهو توحيد الله عز وجل، وإفراده بالعبادة، ويبين أعظم المنكر؛ وهو الشرك بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرِكُنَا اللَّهُ لَمَا نَبَتِ الْبَشَاةُ حَشْرًا وَإِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرِكُنَا اللَّهُ لَمَا نَبَتِ الْبَشَاةُ حَشْرًا وَإِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرِكُنَا اللَّهُ لَمَا نَبَتِ الْبَشَاةُ حَشْرًا﴾^(٢).

فالمحتسب باحتسابه يحجز الناس عن الانسياق أفواجاً للمنكر، إذ أن الناس مجبولة على التشبه، مثل أسراب القطا، فإقامة هذه الشعيرة؛ منع من انجراف الأمة نحو البدع والمنكرات.

٢- رفع العقوبات العامة: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٣)، فالأمة إذ سكت عامتها، وخاصتها، وعالمها، وتقيها عن المنكرات، وتفشت وانتشرت؛ فقد عرضت نفسها للعقوبة الإلهية العامة، وإذا أقيمت هذه الشعيرة كان في ذلك نجاة للأمة جمعاء.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ١٣٠.

(٢) سورة هود آية ١١٧

(٣) سورة الحج آية ٤٠

٣- النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض: فنصر الأمة منوط ومشروط بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكف الظلم، وردع المخالف الجاني، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

٤- إصلاح المجتمعات الإسلامية؛ لأن المحتسب عليه إذا عرف الحق، وقبله، واعتقده، فإنه ينقله إلى أهله إذا رجع إليهم، فيصلح الله عز وجل قومه على يديه؛ وهم في بلدانهم، والأجر مشترك بينه وبين من قام بدعوته.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بفضل الصالحات، وتبلغ أسمى الأمنيات، فبعد هذا التطواف مع بحثنا حول الاحتساب على المخالفات الشرعية لبعض زوّار الحجرة النبوية، نخلص إلى أهم النتائج، وهي كالآتي:

١- من مظاهر محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره زيارة مسجده، والسلام عليه، وعلى صاحبيه، بشرط أن يتحلّى الزائر بالآداب الشرعية، وينأى بنفسه عن المخالفات العقديّة، والتعبديّة، والسلوكية.

٢- المقصود بالحجرة هي: حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي الحجرة التي يوجد فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر صاحبيه.

٣- زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم على قسمين:

أ- زيارة مشروعة: وهي زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من غير شد رحل.

ب- وزيارة غير مشروعة: وهي التي تتضمن شد الرحل للقبر، والقصد له، أو تخصيص الزيارة بصفة معينة، ووقت معين، لم يدلّ عليه الدليل.

٤- المخالفات الحاصلة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة

أقسام:

أ- مخالفات عقدية: ويدخل فيها التوسل بقبره، وذاته، والتبرك بهما، والنذر لهما، وطلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك.

ب- مخالفات تعبدية: ومنها دعاء الله عند القبر مستقبلاً له، وتخصيص تلاوة القرآن والذكر والصلاة عند القبر، أو الطواف به، وإهداء العمل لصاحبه، أو الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، والصدقة عنده، والاعتسال لزيارته، وغير ذلك على وجه التعبد.

ج- مخالفات سلوكية: كرفع الصوت بالسلام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره، أو الجلوس بصفة مخصوصة عنده، وغير ذلك.

٥- للاحتساب على زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم ضوابط تصونهم عن الزلل، وهي على أنواع:

أ- ضوابط متعلقة بالمحتسب: كإخلاص النية وسلامة القصد، وعلم المحتسب بما يأمر به وينهى عنه، وتحلي المحتسب بالآداب الشرعية كالرفق واللين والصبر.

ب- ضوابط متعلقة بالمنكرات المحتسب عليها: كالتحقق من كون المخالفة منكراً متفقاً عليه.

ج- ضوابط متعلقة بمنهج الاحتساب: كمرعاة الأولويات، والبدء بالأهم، ومعرفة مراتب الإنكار، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وغيرها.

د- ضوابط متعلقة بوسائل الاحتساب وأساليبه: كالأثرية، ومشروعية القصد، وعدم ترتب مفسد على ذات الوسيلة، وغير ذلك.

٦- للاحتساب على زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسائل وأساليب، توصل المضمون، وتحقق الغاية، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فمن أبرز أساليبها: الحكمة، والموعظة، والقصص، والأمثال، والجدال بالحسنى وغيرها.

ومن وسائلها: الخطابة، والتأليف، والترجمة، والمحاضرات، ووسائل الاتصال الحديثة.

٧- للاحتساب على زوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم آثار عظيمة، تعود بالخير والنفع على المحتسب والمحتسب عليه بخاصة، وعلى الأمة جمعاء بصفة عامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. الابتهاج بأذكار المسافر والحاج، للحافظ السخاوي، تحقيق علي رضا، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ط: الأولى: ١٤١٣هـ. ٤١٥.
٢. أحكام الجنائز وبدعها، تأليف محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف الرياض، عام ١٤١٢هـ.
٣. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٤٠٥هـ.
٤. إحياء علوم الدين، تأليف أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة بيروت.
٥. أخبار مدينة الرسول، للإمام الحافظ محمد بن محمود بن النجار، تحقيق صالح محمد جمال، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة.
٦. الإخنائية، أو الرد على الإخنائي، لابن تيمية، تحقيق أحمد مونس العنزلي، دار الخرار، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٧. آداب البحث والمناظرة، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.

٨. الآداب الشرعية: للإمام الفقيه محمد بن مفلح الدمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٩. الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، بتخریجات وتعليقات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٠. أدب الموعظة، تأليف محمد بن إبراهيم الحمد، مطابع الحميضي-الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١١. الأذكار: لمحيي الدين النووي، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، دار الهدى، الرياض، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ.

١٢. الاستقامة: لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

١٣. أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، د. حمد بن إبراهيم العثان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مكتبة ابن القيم.

١٤. أصول الحسبة، دراسة ميدانية مقارنة، تأليف محمد كمال الدين إمام، دار الهداية القاهرة الرياض ١٤١٥هـ.

١٥. أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، الطبعة التاسعة ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

١٦. أصول الدعوة وطرقها، الدراسة النظرية للخطابة، للدكتور عبد الرب نواب الدين، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، دار العاصمة.
١٧. أصول السنة: للإمام محمد بن عبدالله ابن أبي زمنين الأندلسي، تحقيق عبدالله بن محمد عبدالرحيم البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٨. الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، للدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ١٤٢١هـ.
١٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ.
٢٠. الاعتصام: إبراهيم بن موسى بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي.
٢١. إعلام الموقعين: لشيخ الإسلام ابن القيم، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٢٢. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
٢٣. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ناصر العقل، مكتبة الرشد وشركة الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ..

٢٤. الأمثال في الحديث النبوي، تأليف: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبي الشيخ الأصبهاني، الدار السلفية - الهند - ١٤٠٨هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد.
٢٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف أبو بكر أحمد بن محمد هارون خلال، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٤١٦هـ.
٢٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، تأليف خالد بن عثمان السبت الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ.
٢٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، للدكتور سليمان الحقييل، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٨. البدعة أسبابها ومضارها، للشيخ محمود شلتوت، تحقيق علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي.
٢٩. البيان والتبيين، تأليف: الجاحظ. دار صعب - بيروت، تحقيق: فوزي عطوي. ١٧٦.
٣٠. تاريخ المسجد النبوي الشريف، لمحمد بن إلياس عبد الغني، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.
٣١. تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، لأحمد ياسين الخياري، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، دار العلم للطباعة والنشر.

٣٢. تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٤ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد الصباغ.

٣٣. التعريفات: للشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٤. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): للعلامة عبدالرحمن بن ناصر

٣٥. تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء ابن كثير، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٠١ هـ.

٣٦. تفسير القرآن: للإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ..

٣٨. تلخيص الخطابة لابن رشد. دار المعارف - بيروت - د.ت

٣٩. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٤٠. التمهيد لما في المؤطا من المعاني والأسانيد: للعلامة الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى، دار الحديث الحسنية، ١٣٨٧هـ.

٤١. تنييه زائر المدينة على الممنوع والمشر-وع في الزيارة، للشيخ صالح السدلان، ط: الثانية ١٤١٨هـ، دار بلنسية.

٤٢. جامع العلوم والحكم، للإمام الحافظ ابن رجب، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ، مؤسسة الرسالة.

٤٣. الحسبة بين الماضي والحاضر، بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب، تأليف: علي القرني، مكتبة الرشد الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

٤٤. حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أركانه ومجالاته، تأليف: حمد العمار، دار اشبيليا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٥. الحكمة في الدعوة إلى الله، تأليف: د. سعيد بن علي القحطاني، نشر- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عام ١٤٢٣هـ.

٤٦. الخطابة، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٤٧. الخطابة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، د. عمارة محمد عمارة ياسين، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

٤٨. الدر المنثور في التفسير المأثور، للحافظ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤٩. الدر الثمينة في ما يشرع ويمنع في حق قاصد المدينة، لسليمان الحمدان، اعتنى به: سعيد بن عبد الله السعدان، مكتبة الرشد ط: الأولى ١٤٢٤هـ.
٥٠. الدر فيما يجب اعتقاده لابن حزم، تحقيق ودراسة: أحمد بن ناصر الحمد، وسعيد بن عبد الرحمن القرقي، توزيع مكتبة التراث مكة المكرمة.
٥١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م..
٥٢. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبي العباس. مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ١٤٠٤ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد السيد الجليلند.
٥٣. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي. دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدار البيضاء - تحقيق: محمد حجي، وآخرون.

٥٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ. وكذلك طبعة مكتبة المعارف، الرياض.
٥٥. سنن ابن ماجه بشرح السندي، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٥٦. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٥٧. الشرح الممتع على زاد المستنقع، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، ترتيب سليمان بن عبد الله حمود أبا الخيل، وخالد بن علي بن محمد المشيقح، مؤسسة آسام.
٥٨. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٥٩. صحيح البخاري، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
٦٠. صحيح الجامع الصغير، للشيخ: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٦١. صحيح سنن ابن ماجه: للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى.

٦٢. صحيح سنن أبي داود، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٦٣. صحيح سنن الترمذي: للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٤. صحيح سنن النسائي: للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، نشر- مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ..

٦٥. صحيح مسلم، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٦٦. الطبقات الكبرى: لأحمد بن سعد بن منيع الهاشمي، المعروف بابن سعد، دار صادر، بيروت، لبنان.

٦٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

٦٨. القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٦٩. قواعد الخطابة، للدكتور أحمد علوش، دار البيان مصر طبعة عام ١٣٩٩هـ.
٧٠. كشاف القناع: للعلامة منصور بن يونس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٧١. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
٧٢. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للمحدث إسماعيل بن محمد العجلوني، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٧٣. لسان العرب، للإمام العلامة: ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
٧٤. المباحث العقديّة المتعلقة بقبر النبي صلى الله عليه وسلم، رسالة درجة الماجستير، إعداد الباحث: بدر بن مقبل بن مزعل السعيد الظفيري، لم تطبع.
٧٥. مجمع الأمثال، تأليف: أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٧٦. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٧٧. مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، إعداد وتقديم: عبدالله بن محمد الطيار، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧٨. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

٧٩. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

٨٠. المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الطبعة الميمنية، وبهامشه منتخب كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٨١. المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد. دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني. ٣٦٥. ١٢٤.

٨٢. منهج الإسلام في تزكية النفس، وأثره في الدعوة إلى الله، لأنس زكرون، دار بن حزم ط ٣ عام ١٤٣١هـ.

٨٣. الموافقات، للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي،
تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان للنشر- والتوزيع،
الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨٤. الموطأ: لمالك بن أنس الأصبحي، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد
الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ.

٨٥. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، تأليف: علي محفوظ. دار
مصر للطباعة: ١٣٩٥ هـ، الطبعة السابعة.

٨٦. وفا الوفاء بأخبار دار المصطفى، لنور الدين السمهودي، تحقيق محي
الدين عبد الحميد، دار النفائس الرياض.

٨٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان أبي العباس شمس
الدِّين أحمد بن محمد البرمكي الأربلي الشافعي، تحقيق إحسان
عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٢٩
التمهيد	١٣٣
أولا تعريف الحجر النبوية ووصفها	١٣٣
ثانياً وصف الحجر النبوية	١٣٥
المبحث الأول: المخالفات الشرعية عند الحجر النبوية قديماً وحديثاً	١٤٣
المطلب الأول: المخالفات العقدية	١٤٣
المطلب الثاني: المخالفات التعبدية	١٥٢
المطلب الثالث: المخالفات السلوكية	١٥٥
المبحث الثاني: كيفية الاحتساب على المخالفات والآثار المترتبة على ذلك	١٦٠
المطلب الأول: ضوابط الاحتساب	١٦٠
المطلب الثاني: أساليب وسائل الاحتساب	١٨٣
المطلب الثالث: آثار الاحتساب	٢١٩
الخاتمة	٢٢٦
المصادر والمراجع	٢٢٩
فهرس الموضوعات	٢٤١

مَسَائِلُ الاسْتِشْفَاءِ الْمُتَعَلِّقَةُ

بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

(بَيْنَ الْمَشْرُوعِ وَالْمَمْنُوعِ)

إعداد الدكتور:

سليمان بن صافية

باحث جزائري، حاصل على درجة الدكتوراه في قسم الدعوة

والثقافة الإسلامية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ وبعد:
تفاوتت البلدان والأوطان شرفاً ومكانة وعلواً وحرمة ومجداً
وتأريخاً، وتأتي المدينة النبوية، بلد المصطفى، أرض الهجرة، ودار الإيمان،
وموطد السنة؛ في المكان الأعلى، والموطن الأسمى، هي بعد مكة سيده
البلدان، وثانيتها في الحرمة والإكرام، والتعظيم والاحترام، داره المحاسن
ودائرة الميامن، طيبة الغراء، وطابة الفيحاء، توسع العين قره، والنفس
مسرة، الفضائل فيها مجموعة، من مناقبها الماثورة وفضائلها المشهورة أنها
محفوطة، مصونة، محروسة، محفوفة؛ ففضائلها لا تحصى، وبركاتها لا
تستقصى^(١).

ومن هذه البركة أن خصّها الله بالاستشفاء، والتحرّز من الأوبئة
والأدواء؛ حيث طهرها الله من الحمى والوباء، وحماها من الطاعون؛
وأخرج من ثراها ما فيه دواء وشفاء.

ولكن غلا أقوام في اعتقاد بركة المدينة، فطلبوا الاستشفاء بكل ما
فيها؛ من حجر، وشجر، ومدر، وقبور وآثار، فجانبوا بذلك الحقّ
والصواب.

ولما كان التداوي من الأسقام والعلل، الحسية والمعنوية، مما استحبه
الشرع ورغب فيه؛ حصل التعدي على حدوده الشرعية، فوجب ضبطه
وبيان حدوده؛ ومن ذلك الاستشفاء بالمدينة النبوية.

(١) من مقدمة خطبة الشيخ صلاح البدير؛ بعنوان: (فضل المدينة وحرمتها) بتاريخ: ١٧/٦/١٤٢٤هـ.

أهمية البحث:

١- في سكنى المدينة النبوية من الفوائد الشرعية، والعوائد الأخروية، والمصالح الدينية، والسعادة النفسية؛ ما يستحقر دونها كل عيش واسع، ورغد ورفاه في غيرها من البلدان والأوطان؛ ومن ذلك الاستشفاء ببعض ما ثبت من بركتها، وفي هذا تنويه بفضلها، وإشادة بعظم مكانتها.

٢- إن التداوي والاستشفاء من الوسائل المشروعة لدفع الأدواء، وردّ البلاء، ولكن ينبغي أن يضبط هذا الاستشفاء بالضوابط الشرعية؛ وأن لا يغالى فيه، ويتجاوز ما أذن به الشرع، ومن ذلك الغلو في بركة المدينة، واعتقاد جواز الاستشفاء بكل ما حلّ فيها مطلقاً.

٣- في هذا البحث تحرير للمسائل المتعلقة بالاستشفاء بالمدينة، لا سيما ما وقع فيه الخلاف، بين أهل العلم، حتى يستبين الدليل، ويتّضح السبيل.

حدود البحث:

الدراسة اقتصرت على المدينة النبوية دون غيرها من الأماكن والبلدان والأوطان.

كما أنّ هذه الدراسة تتناول مسألة محدّدة، وهي: الاستشفاء بالمدينة النبوية؛ بيان ما يشرع منها، وما لا يشرع.

منهج البحث:

استخدم الباحث منهجين اثنين في دراسته، وهما:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء النصوص، وكلام أئمة أهل العلم في مسألة الاستشفاء بالمدينة، وكذا استقراء ما وقع فيه بعض الجهلة من اعتقاد جواز الاستشفاء بالمدينة مطلقاً؛ بما لم يدلّ عليه الدليل الخاص.

٢- المنهج النقدي: وذلك بنقد الاعتقادات الباطلة في الاستشفاء بالمدينة النبوية، وبيان خطئها، وضعفها، بالأدلة الشرعية، والحجج، والبراهين.

خطة البحث:

قسّم الباحث هذه الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد: وفيه: ١- تعريف الاستشفاء لغة واصطلاحاً.

٢- مشروعية الاستشفاء.

٣- الاستشفاء لا ينافي التوكّل والرضا بقضاء الله.

المبحث الأول: الاستشفاء المشروع بالمدينة النبوية.

المطلب الأول: ما اشتركت فيه المدينة النبوية مع غيرها.

المطلب الثاني: ما اختلفت به المدينة النبوية دون غيرها.

المطلب الثالث: الضوابط الشرعية للاستشفاء بالمدينة النبوية.

المبحث الثاني: الاستشفاء المحرّم بالمدينة النبوية.

المطلب الأول: الاستشفاء بالمحرمات والنجاسات.

المطلب الثاني: الاستشفاء بالآثار والألقاب.

المبحث الثالث: الاستشفاء المختلف فيه بالمدينة النبوية

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أولاً: تعريف الاستشفاء لغة واصطلاحاً

١- الاستشفاء لغة:

الاستشفاء هو طلب الشفاء، يقال: استشفى فلان طلب الشفاء؛ وهو مصدر من (شفي). والشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء؛ يقال أشفى على الشيء إذا أشرف عليه. وسمي الشفاء شفاءً لغلَبته للمرض، وإشفائه عليه^(١).

ويقال: أشفيتُ فلاناً إذا وهبت له شفاءً من الدواء.

والشفاء هو البرء من المرض، يقال شفاه الله يشفيه، وفي حديث المَلْدُوعِ: ((فَشَفَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ))^(٢) أي عاجزوه بكل ما يُشْتَفَى به؛ فَوَضَعَ الشِّفَاءَ مَوْضِعَ الْعِلَاجِ وَالْمُدَاوَاةِ^(٣).

٢- الاستشفاء اصطلاحاً:

الاستشفاء في عُرف الفقهاء لا يخرج عن المعنى اللغوي، فهو:

«استعمال ما يكون به شفاء المريض بإذن الله، أو وقاية له من مرض،

من عقار طبي، أو رقية شرعية، أو علاج طبيعي»^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: (شفي).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، أبواب الإجارة - باب في كسب الأطباء، رقم: ٢٩٨٢، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ٤١٨/٧.

(٣) لسان العرب، مادة: (شفي).

(٤) انظر الفتاوى الهندية (٣٥٤/٥) وكتاب الجامع من المقدمات لابن رشد (٣١٣) والقوانين الفقهية لابن جزي (٤٨٥٩) والمجموع للنووي (٩٥/٥) والانصاف للمرداوي (٤٦٣/٢).

ثانياً: مشروعية الاستشفاء

ذهب جمهور العلماء رحمهم الله إلى مشروعية الاستشفاء والتداوي من العلل والأسقام الحسية والمعنوية، وهو قول الحنفية^(١)، والمالكية^(٢) والشافعية^(٣)، والحنابلة^(٤).

واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]، فدلت الآية على جواز الاستشفاء بشرب الدواء^(٥).

٢- وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم))^(٦)؛ ففي الحديث إثبات الطبّ والعلاج، وأن التداوي والاستشفاء مباح غير مكروه^(٧).

٣- وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل))^(٨).

(١) انظر: الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني ٤/٤٣٣، وحاشية ابن عابدين ٦/٣٨٩.

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٥/٢٧٣، ومواهب الجليل للحطاب ٣/٣٤٦.

(٣) انظر: العزيز شرح الوجيز للرافعي ٢/٣٩٢، والمجموع شرح المهذب للنووي ٥/٩٨.

(٤) انظر: المبدع في شرح المقنع لابن مفلح ٢/٢١٣، والإنصاف للمرداوي ٢/٤٦٣.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١٠/١٣٨.

(٦) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى - حديث: ٣٣٧٥، والترمذي، كتاب الذبائح، أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الدواء والحث عليه، حديث: ٢٠١٢، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء - حديث:

٣٤٣٣، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود ٨/٣٥٥.

(٧) انظر: تحفة الأحوذى ٦/١٥٦.

(٨) رواه مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي - حديث: ٤١٧٨.

قال النووي رحمه الله: "في هذا الحديث إشارة إلى استحباب الدواء وهو مذهب جمهور السلف وعامة الخلف"^(١).

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: ((الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي))^(٢).
ففي الحديث إثبات لمشروعية تعاطي الأسباب والأدوية لدفع الأمراض والأدواء^(٣).

٥- وعن جابر رضي الله عنه، قال: ((بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع منه عرقاً، ثم كواه عليه))^(٤)، فالنبي ﷺ أقرّ الطبيب على قطع العرق وكيه، وهذا ضرب من الاستشفاء والتداوي^(٥).

قال ابن القيم رحمه الله: "فكان من هديه ﷺ فعلُ التداوي في نفسه، والأمرُ به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه"^(٦).

ثالثاً: الاستشفاء لا ينافي التوكّل والرضا بقضاء الله تعالى
ذهبت طوائف من المتصوفة وبعض أهل العلم إلى ترك الاستشفاء، والقول بحرمة، أو كراهته^(٧)، لشبهه ذكروها، مدارها على اعتقاد منافاة

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤ / ١٩١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب: الشفاء في ثلاث - حديث: ٥٦٨١.

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني ٣١ / ٢٨٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي - حديث: ٤١٨٢.

(٥) انظر: أحكام الجراحة الطبية، ص ٨٨.

(٦) زاد المعاد ٤ / ١٠.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ١٨ / ١٢.

الاستشفاء لحقيقة التوكل والرضا بقضاء الله، وهذا طرف من أدلتهم، ثم الرد عليها:

١- قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢].

قال القرطبي رحمه الله: «ولقد ترك هذه الآية جماعة من الفضلاء الدواء في أمراضهم، فلم يستعملوه؛ ثقة برهم، وتوكلاً عليه، وقالوا: قد علم الله أيام المرض، وأيام الصحة، فلو حرص الخلق على تقليل ذلك ما قدروا»^(١).

٢- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا: من هم؟ يا رسول الله! قال: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون"^(٢).

٣- وعن عقار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل))^(٣).

(١) تفسير القرطبي ١٧/٢٥٨.

(٢) متفق عليه: البخاري: كتاب الرقاق، باب: ومن يتوكل على الله فهو حسبه - حديث: ٦١١٦، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا - حديث: ٣٤٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، الذبائح، أبواب الطب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في كراهية الرقية، حديث: ٢٠٣١، والنسائي في سننه، كتاب الطب، باب الكي - حديث: ٧٣٥٣، وابن ماجه، كتاب الطب، باب الكي - حديث: ٣٤٨٦، وأحمد في مسنده ١٦/٣٠، رقم: ١٨١٨٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/٢٦١.

وجه الاستدلال: أن الكيِّ والاسترقاء من أنواع التداوي، وقد دلَّ الحديث على ذمِّها وتنافيها مع التوكل، وهذا يدلُّ على أن التداوي ينافي التوكل على الله^(١).

الردّ على هذه الشبهة:

١- التداوي لا يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر، فالأدوية من قدر الله، وما خرج شيء عن قدر الله، بل يردّ قدره بقدره، فالمراد بهذه الأدلة الاعتماد على الله في دفع الداء، والرضا بقدره، ولا نسلم لهم أن التداوي ينافي التوكل؛ لأنه من باب الأخذ بالأسباب.

وقد قرر الإمام ابن القيم رحمه الله أنه لا تنافي بين التداوي، والتوكل، والإيمان بقضاء الله وقدره، وردّ على من أنكر التداوي، ورأى أن التداوي يتنافى مع الإيمان بالقدر.

فقال: "وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش، والحرّ، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل، كما يقدر في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظنّ معطلها إنَّ تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بدّ مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً، ولا توكله عجزاً.

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ١٠٧/٦، وتحفة الأحوذى ١٨٩/٦.

وفيهما ردّ على من أنكر التداوي، وقال: إن كان الشفاء قد قدر، فالتداوي لا يفيد، وإن لم يكن قد قدر فكذلك أيضاً، فإن المرض حصل بقدر الله، وقدر الله لا يدفع ولا يردّ، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله ﷺ، وأما أفاضل الصحابة، فهم أعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يردّوا مثل هذا، وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى، فقال: ((هذه الأدوية والرقى هي من قدر الله^(١))).^(٢)

٢- إن هذه الشبهة مردودة بنصوص كثيرة، تدلّ على مشروعية التداوي، كما سبق بيانه.

وأما الأحاديث التي استدلوها بها على أن التداوي ينافي التوكل فهي معارضة بأحاديث أخرى، تدلّ على جواز الرقية، ويمكن الجمع بينها بأن النهي لقوم كانوا يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها، كما كانت الجاهلية تزعمه في أشياء كثيرة، أو النهي عن الرقى كان في بداية الإسلام، ثم نسخ بأحاديث الجواز، أو النهي خاص بالرقى المجهولة المكتوبة بغير العربية، ولا يعرف معناها.

وقد ذكر هذا الجمع بين هذه الأحاديث النووي رحمه الله بقوله: "فقد يظن مخالفاً لهذه الأحاديث، ولا مخالفة، بل المدح في ترك الرقى، المراد بها: الرقى التي هي من كلام الكفار، والرقى المجهولة، والتي بغير العربية، وما لا

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٤/٢١٧، رقم: ١٥٤٧٢، والترمذي في سننه، باب: ما جاء في الرقى والأدوية، رقم: ١٩٩١، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) زاد المعاد ٤/١٥.

يعرف معناها؛ فهذه مذمومة؛ لاحتمال أن معناها كفر، أو قريب منه، أو مكروه. وأما الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيه، بل هو سنة. ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين: أن المدح في ترك الرقى للأفضلية، وبيان التوكل، والذي فعل الرقى، وأذن فيها؛ لبيان الجواز، مع أن تركها أفضل^(١).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٦٨.

المبحث الأول:

الاستشفاء المشروع بالمدينة النبوية

المطلب الأول: ما اشتركت فيه المدينة النبوية مع غيرها

أباح الله عزّ وجل لعباده الاستشفاء بأنواع الأدوية، والطيبات مما أخرج من الأرض، أو نزل من السماء، أو استخرج من البحار والأنهار. وما أبيع الاستشفاء به في الأوطان والبلدان أبيع الاستشفاء به في المدينة النبوية، دون اعتقاد لخصوصيتها في هذا الشأن.

وترجع أنواع الأدوية، وأنهاط الاستشفاء، مما تشترك فيه المدينة مع غيرها من البلدان؛ إلى الأدوية الطبيعية؛ من مأكول، ومشروب، وفصد، واستفراغ، وغيرها، وأدوية إلهية؛ كالرقى، وأعمال البر، وصنائع المعروف. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وكان علاجه ﷺ للمرض ثلاثة أنواع؛ أحدها: بالأدوية الطبيعية، والثاني: بالأدوية الإلهية، والثالث: بالمركب من الأمرين»^(١).

أولاً: الاستشفاء بالمطعومات والمشروبات:

يجوز التداوي بكل دواء يرى أهل الطب نفعه وموافقته للعلة، ومن القواعد الجوهرية في التداوي؛ أنه إن أمكن العدول عن الدواء إلى الغذاء أو الحمية فهو أفضل، قال ابن القيم رحمه الله: «وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يُعدّل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يُعدّل عنه إلى المركّب.

قالوا: وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحِمية، لم يُحاوَل دفعه بالأدوية^(١).
 فالغذاء والمشروب الحلال - بسائر أنواعه - يجوز الاستشفاء به ما دام
 حلالاً غير نجس، ولم يؤد إلى ضرر.
 ومن أفراد المطعومات والمشروبات، التي ورد الحث عليها، والتنويه بها
 في مقام الاستشفاء، مما تشترك فيه المدينة النبوية مع غيرها من البلدان ما يأتي:
 ١- العسل:

جاء الحث على الاستشفاء بالعسل؛ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.
 قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾
 النحل: ٦٩، والضمير في (فيه) راجع إلى الشراب، كما قال جمهور السلف^(٢).
 وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي
 يشتكي بطنه، فقال: (("اسقه عسلاً" ، ثم أتى الثانية، فقال: "اسقه عسلاً" ،
 ثم أتاه الثالثة فقال: "اسقه عسلاً" ، ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: "صدق
 الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبراً))^(٣).
 وقد ذكر الأطباء جملة من فوائد العسل؛ من أهمها:
 - تعويض السكريات المستهلكة بالجسم بسبب المجهود.
 - مادة علاجية، ووقائية، وغذائية؛ عالية القيمة.
 - علاج اضطرابات الجهاز الهضمي، والإسهال المعدي السام.

(١) المصدر السابق ٤/ ١١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢٥٠. والنكت والعيون للهاوردي ٢/ ٣٨١.

(٣) البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل - حديث: ٥٣٦٧، ومسلم: كتاب السلام، باب

التداوي بسقي العسل - حديث: ٤٢٠٢.

- علاج التهاب الكبد المزمن، والتهاب الحويصلة المرارية.
 - علاج أمراض القلب، وتقوي عضلة القلب.
 - علاج الصداع العصبي، والالتهاب العصبي.
 - علاج الروماتيزم، والتهاب المفاصل.
 - يمنع الإصابة بالسرطان، ويستخدم في علاج سرطان الثدي.
 - علاج الالتهابات والأمراض الجلدية ويمنع حدوثها^(١).
- وفضل العسل شاملٌ لكافة الأوطان والبلدان، وليس ثمة مزية لعسل المدينة على غيرها، كما يعتقد بعض العوام.

٢- الماء:

الماء هو حياة الأبدان، وأفضل ما يُستشفى به من الحمى، كما جاء في الصحيحين من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((الحمى من فور جهنم فأبردوها بالماء))^(٢).

والماء الوارد في الحديث عام، لكل ماء طاهر، لا يختص بماء دون غيره. وليس ثمة ماء مبارك إلا ماء زمزم بمكة، حيث ورد فيه قوله ﷺ: ((إنها مباركة، إنها طعام طعم))^(٣)؛ وفي رواية: ((وشفاء سقم))^(٤).

(١) انظر: العسل فيه شفاء للناس، لمحمد نزار الدقر. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٧٧.
 (٢) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار - حديث: ٣١٠٥، ومسلم: كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي - حديث: ٤١٨٧.
 (٣) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه - حديث: ٤٦٢٤.

(٤) رواه الطيالسي في مسنده ١/٦١، رقم: ٤٥٧، والبزار في مسنده ٢/٨٤، رقم: ٣٩٣٠، والطبراني في المعجم الصغير ١/١٨٦، رقم: ٢٩٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٦٢١:

• تنبيه:

اشتهر في المدينة النبوية سبع آبار، كانت فيها في عهد النبي ﷺ^(١)، وقد استحَب بعض المصنفين أن يأتي الزائر إلى تلك الآبار التي يقال بأن النبي ﷺ شرب منها، أو توضع أو اغتسل؛ فيشرب، ويتوضأ، ويغتسل من تلك الآبار؛ تبركاً بهائها، وطلباً للشفاء به.

قال جمال الدين المطري: «لم يزل أهل المدينة قديماً وحديثاً يتبركون بها، ويشربون من مائها، وينقل إلى الآفاق منها، كما ينقل ماء زمزم، ويسمونها زمزم أيضاً لبركتها، ولم أعلم أحداً ذكر فيها أثراً يعتمد عليه، والله أعلم»^(٢).

وقال الفيروزبادي: «وأما مياه آبارها، لا سيما الآبار السبعة المعروفة، فالاستشفاء بها معروف من قديم الزمان، وإلى يومنا هذا، من استشفى

"رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٩/٢.

(١) انظر تفاصيل هذه الآبار ومواقعها في: آثار المدينة المنورة (ص: ٢٣٧-٢٤٩). وهذه الآبار هي:

- ١- بئر أريس: غربي مسجد قباء، وقد جفت هذه البئر الآن.
 - ٢- بئر رومة: شمالي غرب المدينة، عند مجمع الأسياح، وهي بمزرعة تابعة لأوقاف المسجد النبوي.
 - ٣- بئر غرس: وهي بطريق قربان، وقد جفت هذه البئر.
 - ٤- بئر حاء: وكانت خارج سور المدينة قبل إزالته، ولم تعد موجودة الآن.
 - ٥- بئر بضاعة: وموقعها قريب من مكتبة الملك عبد العزيز بجوار المسجد النبوي، وقد أزيلت الآن.
 - ٦- بئر سقيا: تقع جنوبي محطة السكة الحديدية، ولم تعد موجودة الآن.
 - ٧- بئر أبي أيوب: وتقع شمال البقيع، وقد ردمت الآن.
- (٢) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري (ص: ٥٩).

بتربته أو بشربته فهو من المرض وكربته في أمان...»^(١).

وقال القشاشي: «وأبارها النبوية كلها شفاء من سائر الأسقام؛
الظاهرة والباطنة..»^(٢).

والصواب أن هذه الآبار لا يشرع قصدتها للتبرك بها، والاستشفاء بيائها؛
لاعتقاد مزية فيه على غيره، إذ ليس في ذلك أصل شرعي ثابت، يمكن الاعتماد عليه^(٣).

٣- ألبان الإبل وأبوالها:

جاءت السنة ببيان مشروعية التداوي والاستشفاء بألبان الإبل وأبوالها؛
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قدم أناس من عكل أو عرينة، فاجتوا المدينة
(فأمرهم النبي ﷺ، بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها)^(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي القصة: دليل على التداوي والتطبُّب،
وعلى طهارة بول مأكول اللحم، فإن التداوي بالمحرّمات غير جائز»^(٥).

والحديث عام في كل أبوال الإبل وألبانها؛ لا تختصّ به إبل المدينة
النبويّة دون غيرها^(٦).

٤- التلبينة:

عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع

(١) المغنم المطابة في معالم طابة (١/٣٠٣-٣٠٤).

(٢) الدرّة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة (ص: ١٣٢).

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه (ص: ٤٤٦).

(٤) متفق عليه، البخاري: كتاب الوضوء، باب أبوال الإبل - حديث: ٢٣٠، ومسلم: كتاب
القسماء والمحاربين والقصاص والديات، باب حكم المحاربين والمرتدين - حديث: ٣٢٤٩.

(٥) زاد المعاد ٤/٤٨.

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم ٢/١٣٠، وفتح الباري ١/٣٣٧.

لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تليينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصبت التليينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((التليينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن))^(١).

والتليينة: حساء يعمل من دقيق أو نخالة، وربما يجعل فيها عسل، سميت به تشبيهاً باللبن؛ لبياضها ورقتها^(٢).

وهذه الوصفة النبوية عامة للبلدان والأوطان، لا تختص بالمدينة النبوية، ولا بشعيرها ونخالته دون غيرها^(٣).

٥- الحبة السوداء:

جاء التنويه بالحبة السوداء في مقام الاستشفاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال النبي ﷺ: ((إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السام" قلت: وما السام؟ قال: "الموت"))^(٤).

وهي كثيرة المنافع جداً، وقوله: "شفاء من كل داء"، عامة في كل الأدوية، وقد أطنب الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان فوائدها في التداوي والاستشفاء^(٥).

(١) متفق عليه، البخاري: كتاب الأطعمة، باب التليينة - حديث: ٥١٠٦، ومسلم: كتاب السلام، باب التليينة مجمة لفؤاد المريض - حديث: ٤٢٠١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٤٢٨.

(٣) انظر: زاد المعاد ٤/١٢٠.

(٤) متفق عليه، البخاري: كتاب الطب، باب الحبة السوداء - حديث: ٥٣٧٠، ومسلم: كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء - حديث: ٤١٩٩.

(٥) انظر: زاد المعاد ٤/٢٩٧.

وكما هو الشأن في النصوص السابقة؛ ففضل الحبة السوداء في مقام الاستشفاء عامٌّ؛ لكل البلدان والأوطان، وليس لحبة المدينة فضلٌ على غيرها، إذ لا نخصصها هنا^(١).

ثانياً: الاستشفاء بالحجامة:

جاء الحثُّ على الحجامة في أحاديث كثيرة، وقد احتجم النبي ﷺ وكذا صحابته من بعده، فدلَّ ذلك على فضلها وعظيم أثرها في دفع الأدواء. فعن أنس رضي الله عنه: "أنه سئل عن أجر الحجام، فقال: احتجم رسول الله ﷺ، وقال: ((إن أمثل ما تداويتم به الحجامة))^(٢).

وقوله رضي الله عنه "ما تداويتم به"، ليس الخطاب لأهل المدينة دون غيرهم، وإنما هو لعامة الأمصار والأقطار، بدليل حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: ((الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي))^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله - بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في الحجامة -: «وفي ضمن هذه الأحاديث المتقدمة استحبابُ التداوي، واستحبابُ الحجامة، وأنها تكون في الموضع الذي يقتضيه الحال»^(٤).

(١) عمد بعض التجار من العطارين إلى الترويج لحبة المدينة، بدعوى أنها أكثر بركة ونفعاً؛ وهذا من التلبس والتدليس على العامة، كما لا يخفى.

(٢) متفق عليه، البخاري: كتاب الطب، باب الحجامة من الداء - حديث: ٥٣٧٨، ومسلم: كتاب المساقاة، باب حل أجرة الحجامة - حديث: ٣٠٣٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب: الشفاء في ثلاث - حديث: ٥٣٦٤.

(٤) زاد المعاد ٤/ ٦١.

ولا يعتقد أنّ الحجامة بالمدينة النبوية لها مزية فضل على غيرها، إذ لم يرد في فضل هذا التخصيص حديث ولا أثر^(١).

ثالثاً: الاستشفاء بالرقى الشرعية:

للرقية الشرعية أثر عظيم في علاج الأسقام؛ الحسية والمعنوية، فالله جل وعلا أنزل القرآن شفاء للأدواء، قال تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] و(من) هنا لبيان الجنس؛ وليست تبعيضية، بمعنى أنّ القرآن كله يستشفى به^(٢).

والذي درج عليه أغلب الرقاة أنّ الرقية لا تنفع إلا من مس، أو سحر، أو عين؛ هو فهم سقيم، ومسلك غير رشيد.

والدليل على مداواة الأسقام الحسية بالرقية والقرآن:

- ١- ما ورد في قصة اللديغ (وهو الذي لدغته العقرب وأصابه سمّها) فشفاه الله تعالى بقراءة الفاتحة عليه، وأقر النبي ﷺ الراقي على ذلك^(٣).
- ٢- وما صحّ من أنّ النبي ﷺ رقاها جبريل عليه السلام فقال: «باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك...»^(٤)، وقوله: «ومن كل داء يشفيك»، دليل على شمول الرقية لجميع أنواع الأمراض النفسية والعضوية.

(١) رأيت بعض الحجّامين -فيما خلا من السنين- ينصب عدّته قبالة المسجد النبويّ، فلما سألته قال: الحجامة عند المسجد النبوي فيها بركة وفضل، وهذا معتقد باطل، لا مستند له ولا دليل.

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي ٦٢/١١، وتفسير أبي السعود ٢٢١/٤.

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب النفث في الرقية - حديث: ٥٤٢٤، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار - حديث: ٤١٧٤.

(٤) رواه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى - حديث: ٤١٤٩.

٣- وباستقراء السنّة نجد الأمراض التي عولجت بالرقية في عهد الرسول ﷺ كانت من الأمراض العضوية في الغالب.
بل إنّ نفع القرآن وأثره في مداواة الأسقام أعظم بكثير من الأدوية الحسية^(١).
والرقية الشرعية ليس لها موطن خاصّ فيه زيادة فضل أو بركة؛ ومن ذلك ما يعتقد بعض الجهلة من كون الرقية بالمدينة النبوية، أو بالمسجد النبوي، أو بالروضة الشريفة؛ أكثر نفعاً، وأعظم أثراً؛ فهذا اعتقاد لا دليل عليه، ولا مستند له.

رابعاً: الاستشفاء بالدعاء وأعمال البرّ:

إنّ أفضل ما يتقى به الداء والبلاء قبل وقوعه، وما يرفعه بعد نزوله، هو الذكر والدعاء، بنوعيه: دعاء المسألة، ودعاء العبادة.
قال ابن القيم رحمه الله في أثر الدعاء وأعمال البرّ في دفع البلاء ومعالجة الأدواء: «... الدُّكْر، والدعاء، والابتهاال والتضرع، والصّدقة، وقراءة القرآن... من أنفع الدواء»^(٢).
وقال أيضاً: «واعلم أنّ الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً، وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع، بعد حصول الداء، فالتعوّذات والأذكار، إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحوّل بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرُقَى والعُوذُ تُسْتَعْمَل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»^(٣).

(١) انظر: زاد المعاد ٤/ ١٧٧.

(٢) المرجع السابق ٤/ ٣٩.

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٨٢.

ومن أفراد أعمال البر التي يستشفى بها من الأسقام: الصدقة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((داووا مرضاكم بالصدقة))^(١).

يقول ابن شقيق: «سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فأحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ»^(٢).

وفضل الدعاء، والصدقة، وأعمال البر، في رفع البلاء، وطلب الشفاء؛ عام في كل زمان ومكان، وليس للمدينة النبوية ولا للمسجد النبويّ مزية فضل في ذلك، وهذا لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]^(٣).

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/١٢٨، رقم: ١٠٢١٧، والمعجم الأوسط ٢/٢٧٤، رقم: ١٩٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٨٢، رقم: ٦٣٨٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٣٣٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٧.

(٣) اعتقد بعض العامة أن الدعاء بالمدينة النبوية أو جوار الروضة المشرفة فيه مزية فضل، وكذا الشأن في الصدقة وسائر أعمال البر، ولهذا تراهم يأتون من الآفاق بصدقاتهم اعتقاداً منهم بمزيتها على غيرها، وكذا في تأخيرهم للدعاء إلى حين قدومهم المدينة النبوية.

المطلب الثاني: ما اختصت به المدينة النبوية دون غيرها

خصّ الله عز وجل المدينة النبوية بفضائل جمّة، ومن ذلك أن أخرج من أرضها ما يستشفى به من الأدوية، وأخرج منها الخبث والحمى، ووقاها من شرّ الطاعون والأوبئة العامة، وغير ذلك من الفضائل، وفيما يأتي بيانها:

أولاً: الاستشفاء بتمر المدينة النبوية:

جعل الله عز وجل في تمر المدينة النبوية عموماً، وتمر العجوة خصوصاً بركة، ففيها شفاء من السم والسحر وغيرها من الأمراض والأسقام.

وقد ورد في فضلها وبركتها وفضل الاستشفاء بها أحاديث كثيرة منها:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن في عجوة العالية شفاء أو إنها ترياق»^(١) أوّل البكرة»^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل سبع

تمرات، مما بين لابتيها، حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي»^(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من

تصبح كل يوم سبع تمراتٍ عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»^(٤).

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أنها كانت تأمر من الدوام»^(٥)

(١) الترياق: ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين. انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٨٨.

(٢) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، حديث: ٢٠٤٨.

(٣) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، حديث: ٢٠٤٧.

(٤) متفق عليه، البخاري: كتاب الأطعمة، باب العجوة، حديث: ٥٤٤٥، ومسلم: كتاب الأشربة، باب

فضل تمر المدينة، حديث: ٢٠٤٧.

(٥) الدوام والدوار بمعنى واحد: وهو ما يعرض في الرأس؛ فيوهم صاحبه بأن ما حوله يتحرك

ويدور. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٤٢.

أو الدُّوار بسبع تمراتٍ عجوةٍ في سبع غدواتٍ على الريق»^(١).
والأحاديث النبوية المذكورة تدل على أن التصبح بسبع تمرات على
الريق، من تمرات المدينة، ولا سيما من العجوة؛ نافع ومفيد من السم
والسحر، ومن الألم والدوار، فتمر المدينة يستشفى به في الوقاية من الداء قبل
وقوعه، ويستشفى به من الداء بعد وقوعه.

قال القرطبي رحمه الله: «ظاهر هذه الأحاديث خصوصية عجوة المدينة
بدفع السم، وإبطال السحر، وهذا كما توجد بعض الأدوية مخصوصة ببعض
المواضع وببعض الأزمان... والذي ينبغي أن يقال: إن ذلك خاصة عجوة
المدينة، كما أخبر الصادق عليه السلام»^(٢).

وتخصيص الاستشفاء بسبع تمرات من تمر المدينة مما استأثر الله بمعرفة
حكيمته دون خلقه؛ وواجب المسلم في هذا المقام هو الإيمان والتسليم.
قال النووي رحمه الله: «والعجوة نوع جيد من التمر، وفي هذه
الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه.
وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها، وعدد السبع من الأمور التي عَلِمَهَا
الشارع، ولا نعلم نحن حكمتها؛ فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضلها،
والحكمة فيها. وهذا كأعداد الصلوات، ونُصِبَ الزكاة وغيرها، فهذا هو
الصواب في هذا الحديث»^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطب، باب ما ذكروا في تمر عجوة للسم ونحوه،

حديث: ٢٣٤٧٩، وإسناده صحيح، انظر: الأحاديث الواردة في فضل المدينة، ص: ٦٤٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٥/٣٢٢).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٣/١٤).

مسألة: شروط الاستشفاء بتمر المدينة

ورد في الأحاديث المتقدمة جملة من الشروط لمن أراد التداوي والاستشفاء بتمر المدينة، وهي ترجع في مجملها إلى:

- ١- "من تصبح" فهذا هو الإطلاق الأول بالأكل، وقِيْدَ بأمرين:
 - الأكل صباحاً لقوله ﷺ في هذا الحديث: "من تصبح".
 - الأكل على الريق، لقوله ﷺ: "في عجوة العالية أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم"^(١).

٢- "سبع تمرات" فهذا هو الإطلاق الثاني بالتمر، وقِيْدَ بالعدد لقوله ﷺ في هذا الحديث "سبع تمرات".

٣- "لم يضره سمٌ ولا سحر" فهذا الإطلاق الثالث بعدم الضرر من أثر السم و السحر، وقِيْدَت مدة عدم الضرر بقوله ﷺ فيما رواه البخاري "لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل"^(٢).

مسألة: بطلان دعوى أنّ أصل عجوة المدينة من غرسٍ غرسه النبي ﷺ بيده:

عرّف بعضهم العجوة بأنها: «تمر بالمدينة من غرس النبي ﷺ»^(٣). ولذلك فشا بين الناس - قديماً وحديثاً - اعتقاد أن نخلة العجوة في المدينة إنما حصلت بغرس النبي ﷺ بيده الشريفة، وأنها لم تكن موجودة قبل ذلك، وأنها باقية بعينها إلى الآن في المدينة^(٤).

(١) رواه أحمد في مسنده ٤١/٢٥٥، رقم: ٢٤٧٣٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٦٥٥.

(٢) البخاري: كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة للسحر - حديث: ٥٤٤٢.

(٣) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/٣٩٥، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٣/١٨٨.

(٤) انظر ما ذكره أيوب صبري باشا في: موسوعة امرأة الحرمين الشريفين ٤/٩٧٤.

وأصل هذه الشبهة وهذا المعتقد:

ما جاء في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم غرس النخل بيده الشريفة، وذلك حين كاتب سلمان الفارسي رضي الله عنه سيده على ثلاث مائة نخلة يغرّسها له ويخدمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة: «أعينوا أحاكم» فساعده الصحابة حتى اجتمعت لديه ثلاث مائة ودية، ثم حفر سلمان رضي الله عنه حُفراً لُغْرَسَها، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وغرّسها بيده الشريفة (١).

الردّ على هذه الشبهة:

١ - وردت أحاديث دالة على وجود عجوة المدينة قبل إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وقدمه على النبي صلى الله عليه وسلم:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أصيب عبد الله، وترك عيالاً وديناً، فَطَلَبْتُ إلى أصحاب الدّين أن يضعوا بعضاً من دينه، فأبوا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاستشفعت به عليهم فأبوا، فقال: «صَنَّفُ تمرَكَ كُلَّ شيءٍ منه على حِدَةٍ، عِدْقُ ابنِ زيدٍ على حِدَةٍ، وَاللَّيْنُ على حِدَةٍ، وَالعَجْوَةَ على حِدَةٍ، ثم أحضرهم حتى آتيك». ففعلت، ثم جاء صلى الله عليه وسلم. فقعد عليه، وكال لكل رجل حتى استوفى، وبقي التمر كما هو كأنه لم يُمَسَّ (٢).

فهذا الحديث دالٌّ على وجود العجوة قبل مقدم سلمان من وجوه:

١ - استشهاد والد جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري كان في

(١) رواه أحمد في مسنده ١٤٦/٣٩، رقم: ٢٣٧٣٧، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/٦، رقم:

٦٠٧٨، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٣٢٠، رقم: ٢١٤٠٩، وحسنه الألباني في السلسلة

الصحيحة ٥٥٥/٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب الشفاعة في وضع الدين، حديث: ٢٤٠٥.

غزوة أحد، في السنة الثالثة من الهجرة النبوية^(١).

وسلمان الفارسي رضي الله عنه عتق من سيده قبيل غزوة الخندق؛ إذ هي أول غزوة شهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال سلمان رضي الله عنه: «فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهد»^(٢).

٢- ويمكن الجمع بين القصتين بأن يقال: إنَّ بعض الأدواء التي غرسها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لسلمان الفارسي كانت من نوع العجوة، وليس كل عجوة المدينة النبوية من غرس النبي صلى الله عليه وسلم.

قال السمهودي: «لعل الأدواء التي كاتب سلمان الفارسي رضي الله عنه أهلها عليها، وغرسها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة؛ كانت عجوة، والعجوة توجد إلى يومنا هذا، ويبعد أن يكون المراد أن هذا النوع إنما حدث بغرسه صلى الله عليه وسلم، وأن جميع ما يوجد منه من غرسه كما لا يخفى»^(٣).

٣- إنَّ الأدواء التي كان غرسها النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لا وجود لشيء منها بعينها في أيامنا هذه، لأنها بقيت ما كتب الله لها البقاء والحياة، ثم جفت، وماتت، واندثرت، وزالت، ولم يستمر منها شيء إلى عصرنا هذا^(٤).

(١) انظر: قصة استشهاد عبد الله بن حرام، في صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه - حديث: ١١٩٩، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر - حديث: ٤٦٢٢.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٠، والروض الأنف ١/ ٣٧١، وصحح القصة الألباني في صحيح السيرة النبوية، ص ٧٠.

(٣) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ٧١-٧٢.

(٤) انظر: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين (٤/ ٩٧٤).

مسألة: الاستشفاء بعجوة المدينة هل هو خاصٌ بأهل المدينة أم**عام لغيرهم؟**

الأحاديث المتقدّمة الذكر في فضل الاستشفاء بالعجوة عامّة، لم تقيّد الانتفاع بها بأهل المدينة دون غيرهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «تمرُّ العالية من أجود أصناف تمر أهل المدينة، فإنه متينٌ الجسم، لذيذُ الطعم، صادق الحلاوة، والتَّمر يدخل في الأغذية، والأدوية، والفاكهة، وهو يُوافق أكثر الأبدان، مقوٌّ للحار الغريزي، ولا يتولّد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولّد عن غيره من الأغذية والفاكهة، بل يمنع لمن اعتاده من تعفن الأخلاط وفسادها»^(١).

وقال العلامة ابن باز رحمه الله - عن تمر المدينة -: «الصواب أنه علاج مستمر إلى يوم القيامة؛ لإطلاق الحديث الشريف - حديث سعد رضي الله عنه -، والصواب أيضاً أن ذلك ليس خاصاً بالعجوة، بل يعم جميع تمر المدينة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم: "مما بين لابتيتها"^(٢).

مسألة: هل تبقى بركة تمر المدينة إذا غرست في غيرها من**الأوطان؟**

إن فضل تمر المدينة وبركته، ليس لأمر خاص في التمر، وإنما ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، قال الخطابي رحمه الله: «كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لتمر المدينة لا لخاصية في التمر»^(٣).

(١) زاد المعاد ٤/ ٩٨.

(٢) انظر: فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين، ص ١٧٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢٣٩.

وقال ابن القيم رحمه الله: «هذا الحديث - الوارد في فضل تمر المدينة - من الخطاب الذي أُريد به الخاص، كأهل المدينة ومن جاورهم، ولا ريب أنَّ للأمكنة اختصاصاً ينفع كثير من الأدوية في ذلك المكان دون غيره، فيكون الدواء الذي قد ينبت في هذا المكان نافعاً من الداء، ولا يوجد فيه ذلك النفع إذا نبت في مكان غيره؛ لتأثير نفس التربة أو الهواء، أو هما جميعاً، فإنَّ للأرض خواص وطبائع يُقارب اختلافها اختلاف طبائع الإنسان، وكثير من النبات يكون في بعض البلاد غذاءً مأكولاً، وفي بعضها سماً قاتلاً، ورُبَّ أدوية لقوم أغذية لآخرين، وأدوية لقوم من أمراض هي أدوية لآخرين في أمراض سواها؛ وأدوية لأهل بلد لا تُناسب غيرهم، ولا تنفعهم»^(١).

ثانياً: صحة المدينة النبوية، وحمايتها من الأوبئة:

١ - صحة المدينة النبوية:

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصِّحِّحها، وبارك لنا في مداها وصاعها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة))^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ، قال: ((رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة، حتى قامت بمهبة - وهي الجحفة - فأولت أن وباء المدينة نقل إليها))^(٣).

وذلك لأنَّ المدينة كانت وبئة عند مقدم النبي ﷺ إليها، فكان من

(١) زاد المعاد ٤/ ٩٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى، باب عيادة النساء الرجال - حديث: ٥٣٣٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التعبير، باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كورة - حديث: ٦٦٤٩.

دعائه وبركته أن طهرها الله من الحمى والوباء، وصححها.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فعدت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك»^(١).

قال الشريف السمهودي: «والموجود الآن من الحمى بالمدينة ليس حمى الوباء، بل رحمة ربنا، ودعوة نبيناز للتكفير.
والذي نقل عنها أصلاً ورأساً سلطانها، وشدتها، ووباؤها، وكثرتها، بحيث لا يعد الباقي بالنسبة إليه شيئاً، ويحتمل أنها رفعت بالكلية، ثم أعيدت خفيفة؛ لئلا يفوت ثوابها، كما أشار إليه الحافظ ابن حجر»^(٢).

٢ - حماية المدينة من الأوبئة:

فضلت المدينة النبوية على غيرها من البلدان والأوطان بحماية الله تعالى لها من الطاعون؛ وقد ورد في هذه الفضيلة والبركة أحاديث كثيرة منها:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((المدينة يأتيها الدجال، فيجد الملائكة يجرسونها فلا يقربها الدجال)) قال: "ولا الطاعون إن شاء الله" ^(٤).

(١) فتح الباري ١٠/١٩١.

(٢) المرجع السابق ١١/١٨٠.

(٣) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤/٢٨٧.

(٤) متفق عليه، البخاري: كتاب الحج فضائل المدينة - باب: لا يدخل الدجال المدينة، حديث: ١٧٩٠، ومسلم: كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون - حديث: ٢٥٢٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة - حديث: ٦٧٣٤،

والمراد بالطاعون:

الطاعون من حيث اللُّغة: نوعٌ من الوباء^(١).

وقد جاء تعريفه في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

((الطاعون غدة كغدة البعير))^(٢).

وهو عند أهل الطب: "ورمٌ رديءٌ قتال، يخرج معه تلهُبٌ شديد، مؤلم جداً، يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر، أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً. وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفي اللحوم الرخوة.

ولما كان الطاعون يكثر في الوباء، وفي البلاد الوبيئة؛ عبّر عنه بالوباء، كما

قال الخليل: الوباء: الطاعون. وقيل: هو كل مرض يعم.

والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عموماً وخصوصاً، فكلُّ طاعونٍ وباءٌ، وليس كلُّ وباءٍ طاعوناً، وكذلك الأمراضُ العامة أعمُّ من الطاعون^(٣).

وجاء في أحاديث أخرى أن الطاعون وخز أعداء الجنّ لبني آدم، فعن ابن

عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الطاعون وخز أعدائكم من الجن))^(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فيه إشارة إلى أن كفار الجن

(١) انظر: الصحاح للجوهري، مادة: طعن.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٥٣/٤٢، رقم: ٢٥١١٨، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٠٤/٣.

(٣) انظر: زاد المعاد ٣٨/٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٢٩٣/٣٢، رقم: ١٩٥٢٨، والطبراني في المعجم الأوسط ٣/٣٦٧، رقم: ٣٤٢٢، وأبو يعلى في مسنده ١٥٧/١٣، رقم: ٧٢٢٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب

والترهيب ٧٣/٢.

وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله إليها لا يتمكن من طعن أحد منهم»^(١).

فمنع دخول الطاعون المدينة من خصائص المدينة، ولوازم دعاء النبي ﷺ لها بالصحة، وهو أيضاً من المعجزات المحمدية؛ لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد، بل عن قرية، وقد أمتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة، بل لم يدخلها أصلاً، كما ذكر الجمع الغفير من العلماء^(٢).

فالمدينة النبوية محمية من شر الطاعون، وأهلها في حرز منه، وهذه مزية لم تجعل لأي بقعة في الأرض إلا المدينة النبوية.

(١) فتح الباري ١٠/١٩٠.

(٢) المرجع السابق ١٠/١٩١.

المطلب الثالث: الضوابط الشرعية للاستشفاء بالمدينة النبوية

تقدّم فيما مضى من المطالب أنّ الاستشفاء المشروع بالمدينة على نوعين:
استشفاء عامّ: يشترك مع سائر الأوطان والبلدان.
واستشفاء خاصّ: تستأثر به المدينة النبوية.

ولكلا النوعين ضوابط تصونها عن الاضطراب، من أبرزها:

١- العبرة في الأدوية المباحة ثبوت المنفعة؛ ثبوتاً يقينياً أو ظنياً في إزالة الضرر بعينه، أو تخفيفه، وطريق معرفة ذلك؛ إما: عن طريق التجربة المخبرية، والدراسات المعملية، أو عن طريق التجربة الواقعية من خلال تجارب الناس مع الأدوية.

وقولنا: "إزالة الضرر بعينه"؛ لأنّ بعض الأدوية نافعة في إزالة ضرر معين، ولكنها تعتبر سماً زعافاً قاتلاً إذا استعمل في داء آخر.

٢- العبرة في باب الأدوية الموازنة بين المصالح والمفاسد؛ فكثير من الأدوية - لا تخلو من أضرار جانبية - فالعبرة إذابها غلب نفعه وقلّ ضرره.

٣- الأدوية الحسية ينبغي أن تكون معقولة المعنى، ومما يجري على سمت الأدوية، من حيث مباشرتها للمرض مباشرة عينية.

وقولنا: "معقولة المعنى"؛ لأنّ الدواء الحسيّ ينبغي أن يكون مما يعقل وجه نفعه، وفي هذا احتراز عن التداوي بأشياء لا يعقل معناها^(١).

(١) انظر: أحكام التداوي في الإسلام، لأحمد محمد كنعان، ضمن بحوث مؤتمر: قضايا طبية معاصرة ١٢٥١-١٢٧٤، وصناعة الدواء والأحكام المتعلقة بها، لعبد الرحمن بن رباح الراددي،

٤- ينبغي أن يعتقد المريض أن هذه الأدوية أسباب جعلها الله -بارادته وقدرته- طريقاً لشفاء الأسقام، والشفاء يحدث بها لا عندها، وهي مؤثرة فيه وعلّة ناقصة لوجوده، مع ارتباطها بمشيئة الله تعالى وإذنه^(١). وعليه ينبغي للمسلم مباشرة هذه الأسباب المشروعة للاستشفاء ودفع البلاء والضراء، مع تعلق القلب بالله تعالى، وتوكله عليه في حصول الشفاء، فإن الأمر كله بيده سبحانه؛ فهو يشفي بها من يشاء من خلقه، كما ينفع غيرها من الأدوية لمن شاء من العباد، ويبرئهم إذا شاء مما عندهم من الأمراض والأسقام؛ فهو الذي بيده الفضل والخير والبركة والصحة والعافية، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٥- ينبغي التسليم لما شرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ من أدوية للأدواء الحسية والمعنوية، لأنها وحي من الله تعالى، والقدح فيها والتشكيك في نفعها هو قدح في صدق النبي ﷺ.

يشهد لذلك حديث أبي سعيد رضي الله عنه: "أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: "اسقه عسلاً" ثم أتى الثانية، فقال: "اسقه عسلاً" ثم أتاه الثالثة فقال: "اسقه عسلاً" ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: "صدق الله،

(١) مذهب أهل السنة والجماعة إن المسببات تحدث بالأسباب، فلأسباب تأثير حقيقي في المسببات وفي وجودها، مع القول بأن الأسباب والمسببات مخلوقة لله تعالى وربطها بمشيئة الله وقدرته.

فأهل السنة يثبتون علّة ناقصة (وليست تامة) لتأثير الأسباب في مسبباتها (وهم بذلك وسط بين القائلين بالعلّة التامة المؤثرة وهم الفلاسفة، ومن نفوا تأثير العلل وهم الأشاعرة)، انظر:

مجموع الفتاوى ٨/ ١٣٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ٢٥٥.

وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً" فسقاه فبراً^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: وليس طِبُّهُ ﷺ كَطِبِّ الأَطْبَاءِ، فإن طَبَّ النبي ﷺ متيقنٌ، قطعيٌّ، إلهيٌّ، صادرٌ عن الوحي، ومَشْكَاةُ النبوة، وكمالِ العقل. وطَبُّ غيره أكثره حَدْسٌ وظنون، وتجارب، ولا يُنكَرُ عدمُ انتفاع كثير من المرضى بطبِّ النبوة، فإنه إنما يتنفعُ به مَنْ تلقَّاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمالِ التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآنُ الذي هو شفاء لما في الصدور إن لم يُتلقَ هذا التلقي لم يحصل به شفاءُ الصُّدورِ من أدوائها، بل لا يزيدُ المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يَقَعُ طَبُّ الأبدانِ منه، فطِبُّ النبوة لا يُناسب إلا الأبدانَ الطيبة، كما أن شِفاء القرآن لا يُناسب إلا الأرواحَ الطيبة والقلوبَ الحية، فأعراضُ الناس عن طِبِّ النبوة كأعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن حُبِّثِ الطبيعة، وفسادِ المحل، وعدمِ قبوله^(٢).

وقال رحمه الله عن تمر العجوة: «ونفع هذا العدد، من هذا التَّمَر، من هذا البلد، من هذه البقعة بعينها، من السُّمِّ والسَّحَر، بحيث تمنع إصابته؛ من الخواصِّ، التي لو قالها "بقراط" و"جالينوس" وغيرهما من الأَطْبَاءِ؛ لتلقَّاه عنهم الأَطْبَاءُ بالقبول، والإذعان، والانقياد، مع أنَّ القائل إنما معه الحَدْسُ والتخمين والظنُّ، فَمَنْ كَلَّمَهُ كُلَّهُ يَقِينٌ، وقطعٌ، وبرهانٌ، ووحْيٌ، أولى أن تُتلقى أقواله بالقبول والتسليم، وترك الاعتراض»^(٣).

(١) تقدّم تخريجه قريباً.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٣٥.

(٣) المرجع السابق ٤/ ١٠٠.

المبحث الثاني: الاستشفاء المحرّم بالمدينة النبوية

المطلب الأول: الاستشفاء بالمحرمات والنجاسات

أحلّ الله عزّ وجلّ لعباده التداوي بالطيبات، وحرمّ عليهم الخبائث، ولم يجعل شفاء هذه الأمة فيها حرّمه عليها.

أولاً: أدلة تحريم الاستشفاء بالمحرمات والنجاسات

ذهب جماهير العلماء من المالكية والحنابلة، وظاهر المذهب عند الحنفية وقول للشافعية، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية^(١). إلى حرمة التداوي بالمحرمات والنجاسات، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١ - عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَجَلٌ لَكُمْ أَطْيَبْتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فهذه الآيات عامة في جميع وجوه الاستعمال، ومنه التداوي^(٢).

٢ - حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله أنزل الداء

وأنزل الدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام))^(٣).

٣ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الدواء الخبيث^(٤).

(١) انظر: الكافي للقرطبي ١/ ٤٤٠، وبداية المجتهد ١/ ٤٧٦، والإقناع ١/ ٣٢٧، والإنصاف ١/ ١١، ومتنهي الإرادات ١/ ٣٨٥، والمبسوط ٢٤/ ١٢، والمهذب ١/ ٣٣٤، ومجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٧٠.

(٢) انظر: فتاوى الشيخ ابن إبراهيم ٣/ ١٦٨.

(٣) رواه أبو داود في سننه: كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة - حديث: ٣٣٩٤، وأحمد في مسنده ٢٠/ ٥٠، رقم: ١٢٥٩٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ١٧٤.

(٤) رواه أبو داود في سننه: كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة - حديث: ٣٣٩٠، والترمذي في سننه: الذبائح، أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره حديث: ٢٠١٩، وابن ماجه: كتاب الطب، باب النهي عن الدواء الخبيث - حديث: ٣٤٥٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٥٥.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذا نص جامع مانع، وهو صورة الفتوى في المسألة»^(١).

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»^(٢).

فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث أن الدواء في المباح، أما المحرم فلا دواء فيه، فإن الله عز وجل هو الذي قدر الأمراض، وقدر لها الأدوية، وهو المحيط بكل شيء، فما أثبتته فهو المستحق أن يثبت وما نفاه فهو المستحق أن ينفي؛ قولاً وعملاً واعتقاداً^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «وها هنا سر لطيف في كون المحرمات لا يستشفى بها؛ فإن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول، واعتقاد منفعتة، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء، ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد منفعتها وبركتها، وبين حسن ظنه بها، وتلقيه لها بالقبول، بل كلما كان أكره لها، وأسوأ اعتقاداً فيها، وطبعه أكره شيء لها، فإذا تناولها في هذه الحال كانت داء له لا دواء، إلا أن يزول اعتقاد الخبث فيها، وسوء الظن والكراهة لها بالمحبة، وهذا ينافي الإيمان، فلا يتناولها المؤمن قط إلا على وجه الداء»^(٤).

(١) مجموع الفتاوى ٥٧١/٢١.

(٢) رواه البخاري معلقاً: باب شراب الحلواء والعسل، والطبراني في المعجم الكبير ٩/٣٤٥، رقم: ٩٧٣٧، والبيهقي في الكبرى ١٠/٥، رقم: ١٩٤٦٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/١٧٤.

(٣) انظر: فتاوى ابن إبراهيم ٣/١٧٠.

(٤) زاد المعاد ٤/١٥٧.

٥- أن النبي ﷺ ذكر له الخمر يصنع للدواء، فقال: ((إنه ليس بدواء، ولكنه داء))^(١).

وهذا نص في الخمر، ويعم غيرها من المحرمات قياساً عليها^(٢).
٦- أن الله تعالى إنما حرمه لخبثه؛ فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيباً عقوبة لها، كما حرمه على بني إسرائيل، وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه، وتحريمه له حماية لها، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في إزالتها لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب؛ بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوي به سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب^(٣).

وتشترك المدينة النبوية في تحريم التداوي بالمحرمات والنجاسات فيها مع سائر البلدان والأوطان، وليس ثمة مزية للمدينة النبوية تبيح التداوي بأنواع المحرمات والنجاسات.

ثانياً: ما اختصت به المدينة النبوية مما يحرم الاستشفاء به من المباحات:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل المدينة النبوية حرماً ما بين لابتئها، فلا يصاد صيدها، ولا تقطع أشجارها؛ فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور»^(٤).

(١) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر - حديث: ١٩٨٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٥٦٨/٢١.

(٣) انظر: زاد المعاد ١٥٦/٤.

(٤) أي جبلين بالمدينة، انظر: "النهاية في غريب الأثر" ٦١٨/٣.

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة))^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «فلو وجدت الطباء ما بين لابتيها ما ذعرتها»^(٢).

وذهب جماهير أهل العلم من المالكية والشافعية والحنابلة إلى تحريم شجر المدينة، وخبطه، وعضده، وتحريم صيدها، وتنفيره؛ مطلقاً^(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «المحرم ما كان من شجر الحرم، لا من شجر الآدمي، وعلى هذا فما غرسه الآدمي أو بذره من الحبوب فإنه ليس بحرام، لأنه مُلكه ولا يضاف إلى الحرم، بل يضاف إلى مالكة»^(٤).

وعليه يحرم صيد طرائد المدينة بغرض التداوي بها، وإن ثبت نفعها، وكذا الشأن في غراسها وشجرها مما سقته السماء؛ فيحرم قطعها بغرض الاستشفاء والتداوي بها، وإن ثبت نفعها، لعموم النهي الوارد في الأحاديث السابقة.

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه - حديث: ٦٣٨٥، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: ٢٥١١.

(٢) رواه مسلم: كتاب الحج، باب فضل المدينة - حديث: ٢٥٠٠.

(٣) متفق عليه، البخاري: كتاب الحج فضائل المدينة - باب لابتي المدينة حديث: ١٧٨٣، ومسلم: كتاب الحج باب فضل المدينة - حديث: ٢٥١٣.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم ١٤٣/٩، وتحفة الأحمدي ٢٧٠/٦.

(٥) الشرح الممتع ٢١٨/٧.

المطلب الثاني: الاستشفاء بالآثار والأسماء

من مظاهر الغلو في الآثار والمشاهد الاستشفاء بها، ومن ذلك الاستشفاء بآثار المدينة وقبر النبي ﷺ، وفيما يأتي ذكر لأفراد هذا الاستشفاء:

أولاً: الاستشفاء بقبر النبي ﷺ وحجرته:

غلت طوائف من المسلمين في قبر النبي ﷺ وحجرته غلواً عظيماً، وخصّتها بأنواع التوسّل، والتبرك، والدعاء؛ للاستشفاء، ورفع البلاء والضراء، ومن مظاهر هذا الغلو ما يأتي:

١- طلب الشفاء من النبي ﷺ في قبره:

من أعظم مظاهر التوسل المحرم طلب الدعاء من النبي ﷺ؛ مثل أن يطلب منه شفاء الأمراض، وذهاب الأحزان والهموم، بل وغفران الذنوب وغسل الخطايا، وقضاء الديون، وطلب النصرة والمعونة والمدد وغير ذلك^(١).

وهذا هو عين توسل المشركين لأوثانهم ومعبوداتهم، وهو ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]^(٢)

٢- دعاء الله تعالى الشفاء عند قبر النبي ﷺ، واستقبال القبر النبوي

حال الدعاء:

من جملة مظاهر التوسل الممنوع ما ذكره السمهودي في الفصل الذي عقده في التوسل في كتابه (وفاء الوفا) التوسل باستقبال القبر حال الدعاء.

(١) انظر ناذج من هذا التوسل في: وفاء الوفاء ٤/ ١٣٨٠، والجواهر الثمينة في محاسن المدينة، ص ٤٠.

(٢) انظر: قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، ص/ ٢١ وعيون الرسائل والمسائل ١/ ٢٨٩.

فقد أورد قصة الإمام مالك رحمه الله الموضوعة^(١) مع الخليفة المنصور، وفيها «يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: لم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله تعالى».

قال السمهودي: "فانظر هذا الكلام من مالك، وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبي ﷺ واستقباله عند الدعاء، وحسن الأدب التام معه"^(٢).

وهذا المظهر - لا شك ولا ريب - أنه من وسائل الشرك، ومن البدع الخطيرة، وهو مخالف لما عليه السلف، ولا يصح عن مالك.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا، لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور؛ فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة. وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذبه أبو زرعة وابن وارة، وقال صالح بن محمد الأسدي: ما رأيت أحدا أجراً على الله منه، وأحذق بالكذب منه. وقال يعقوب بن شيبان: كثير المناكير. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات. وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين. وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد بن إسحاق السهمي توفي سنة تسع وخمسين ومائتين وفي الإسناد أيضاً من لا تعرف حاله. وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته، هذا إن ثبت عنه، وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون؛ كالوليد بن مسلم، ومروان بن محمد الطاطري؛ ضعفوا رواية هؤلاء، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه، وهو ضعيف عند أهل الحديث" مجموع الفتاوى ١/٢٢٨-٢٢٩.

(٢) انظر: وفاء الوفاء ٤/١٣٧٦.

٣- التبرك بتراب قبر النبي ﷺ وحجرته:

يقول الحسيني: «ولا بأس بإخراج تراب الحجر المعطرة، والمسجد الشريف، وآثاره؛ للتبريك»^(١).

وكان في السابق كما يذكر المجوزون له^(٢) يتم أخذ التراب من الحجر مباشرة من تراب القبر، وبعد إغلاق الحجر تبرك الناس في بعض الأزمان بما يسمى بالجواهر الشريف، وهو عبارة عن تراب ناعم تجمع من الغبار والأهوية على طول السنين، يستخرج من الحجر؛ من أجل التبرك^(٣).

قال محمد كبريت الحسيني المدني المتوفى سنة ١٠٧٠هـ في كتابه: محاسن المدينة: «ومن محاسنها: أن من أصابه عرض، أو مرض، وأقبل على الشباك الشريف، متضرعاً، مستغيثاً؛ لم يبرح حتى يفرج الله تعالى كربته، والناس في ذلك متفاوت بحسب الاعتقاد والاستعداد»^(٤).

ولا شك أن هذا النوع من التبرك لم يأذن به الشرع، وهو من الغلو.

٤- أخذ الأولاد بعد ولادتهم مع أمهاتهم إلى باب الحجر من أجل التبرك بالسلامة والحفظ:

يذكر أن من عادة أهل المدينة أنهم كانوا يذهبون بأولادهم - بعد إكمالهم أربعين يوماً من الولادة - إلى باب الحجر، وكانوا يجعلونهم تحت

(١) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، ص ١٠١.

(٢) والقبر الشريف أحيط بالجدران التي تمنع الوصول إليه في زمن الوليد بن عبد الملك، حين أدخل الحجرات عمر بن عبد العزيز في المسجد. انظر: تاريخ ابن جرير ٥/ ٢٢٢-٢٢٣.

(٣) انظر: رسائل في تأريخ المدينة، ص ٦٩.

(٤) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، ص ٤٠.

الستارة، وكانوا يفعلون ذلك تيمناً وتبركاً؛ لأجل حفظ أولادهم، وطول أعمارهم، وسلامتهم من العاهات، والآفات، والأمراض.

قال البرزنجي: «والذي رأيناه من عادة أهل المدينة أيضاً: تأتي الأمهات بأطفالهن بعد صلاة المغرب إلى باب الحجرة الشريفة، من جهة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ليلة الجمعة، أو ليلة الاثنين، بعد تمام الأربعين يوماً من الولادة غالباً، فيأخذهم خدمة الحجرة الشريفة، ويذهبون بهم إلى جهة الوجه الشريف، ويقفون بهم، ويدعون لهم، ويدخلونهم تحت الستارة الشريفة، لحظة يسيرة تبركاً، ورجاء أن يمن عليهم بالحفظ والسلامة من العاهات، والأمراض وبطول، العمر وغير ذلك»^(١).

وكانوا يفعلون ذلك في الغالب ليلة الجمعة، بعد صلاة المغرب، والبعض كان يفعل ذلك ليلة الاثنين، وكانت تكثر هذه المظاهر في أيام الموسم.

وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ، وما عليه السلف الصالح، وهو من البدع المحدثه، التي وجدت في الزمن المتأخر.

وهذا العمل لم يعد له وجود الآن؛ في ظل الدولة السعودية المباركة، التي أزالته معالم البدع، وسدت ذرائعها، والله الحمد.

٥- لحس مفتاح الحجرة عند ثقل اللسان:

يُذكَرُ أن أهل المدينة كانوا يأتون بالأولاد الذين ثقل لسانهم ليلحسوا مفتاح باب الحجرة، وكانوا يفعلون ذلك من باب التيمن والتبرك لينطلق لسانهم.

قال البرزنجي: «رأيت بهامش فتاوى لبعض أهل المدينة بخط بعض العلماء ما نصه: ومن سنن المدنيين إذا ثقل لسان صبيهم، وأبطأ كلامه جاءوا

(١) نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، ص: ٣٠٩.

به إلى باب الحجرة الشريفة، فيأخذون مفتاحه، ويلحسه مراراً، فإنه ينطق - بإذن الله تعالى - هكذا تلقيناه من أكابر المدينة المنورة... وما تقدم عن بعض العلماء من سنن أهل المدينة من لحس من ثقل لسانه من صبيانهم مفتاح باب الحجرة الشريفة - وإن لم نر من فعله في زماننا هذا - هو مما يلزم أن يرغب فيه، ويعتنى به لما ذكره؛ تبركاً، وتفاناً، ورجاء من الله أن يمن عليهم بالحفظ، والفهم، وطلاقة اللسان، وأن لا يخص بذلك من ثقل اللسان منهم فقط، بل الأولى أن يفعلوا ذلك بعموم أطفالهم لذلك»^(١).

وهذا العمل أيضاً لم يعد له وجود الآن؛ والله الحمد.

ثانياً: الاستشفاء بأحجار المدينة النبوية:

إن من مظاهر الغلو في محبة المدينة التي وقع فيها بعض المسلمين تعظيم بعض آثارها المكانية غير المشروعة، واعتقاد بركتها، والاستشفاء بالتمسح بها، أو بالجلوس عليها.

ومن ذلك التبرك بأحجار كانت موجودة شرقي مقبرة البقيع، عند مسجد بني ظفر^(٢)، يقال أن النبي ﷺ جلس عليها، فكانت تجلس عليها المرأة العقيم، تبركاً، وطلباً للحمل. وكان الناس يذهبون بنسائهم، حتى ربما ذهبوا بهن في الليل فيجلسن عليها، وكان الناس يصفون الجلوس

(١) نزهة الناظرين، ص: ٣٠٨-٣١٠.

(٢) مسجد بني ظفر ينسب إلى أبي جعفر المستنصر بالله، بني سنة: ٦٣٠ هـ، وأطلاله باقية إلى اليوم، انظر: آثار المدينة المنورة، ص ١٣٤.

عليها علاجاً للمرأة التي لا تلد، وكانوا يعتقدون أن المرأة العقيمة إذا جلست فوقها تيسر حملها؛ ولذلك كان يسميه الزائرون «حجر الذرية»^(١).
ولا شك أن هذا تبرك غير مشروع؛ لم يرد فيه دليل ولا أثر.
ولم يعد لهذه الأحجار وجود الآن، والله الحمد والمنة^(٢).

ثالثاً: الاستشفاء بأسماء المدينة وأسماء علمائها:

١ - الاستشفاء بتعليق أسماء المدينة على المحموم وبيان بطلانه:

قال الحافظ ابن مسدي: «سمعت أن أسماء المدينة إذا كتبت في ورقة، أو قطعة أديم، ثم علقت في عنق المحموم؛ أقلعت عنه الحمى» ذكر ذلك عنه عبد الله المرجاني^(٣) على سبيل الإقرار.
ولا شك أن هذا المعتقد ليس له أي مستند من الكتاب أو السنة النبوية، ولم يقل به أحد من سلف الأمة وأئمتها.

وهو من باب تعليق التهائم المنهي عنه، فعن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: دخلت على عبد الله بن عكيم أبي معبد الجهني، أعوده، وبه حمرة، فقلت: ألا تعلق شيئاً؟ قال: الموت أقرب من ذلك. قال النبي ﷺ: ((من تعلق شيئاً وكل إليه))^(٤).

(١) انظر: وفاء الوفاء ٣/ ٨٢٧-٨٢٨، وموسوعة امرأة الحرمين الشريفتين ٤/ ٦٩٠-٦٩٢.

(٢) انظر: آثار المدينة المنورة، ص ١٣٤.

(٣) بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار، ص: ٢٤-٢٥.

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق، حديث: (٢٠٧٢)، وأحمد

في مسنده ٣١/ ٧٧، رقم: ١٨٧٨١، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٤١٠.

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من تعلق تيممة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة ^(١) فلا ودع الله له)) ^(٢).

٢- الاستشفاء بكتابة أسماء فقهاء المدينة السبعة:

من الغلو الذي وقع فيه بعض المسلمين تجاه سكان المدينة أنهم يعتقدون أن من كتب أسماء فقهاء المدينة السبعة، وشرب غسالتها؛ نفعته بإذن الله تعالى في دفع الحمى عنه.

قال عبد الله المرجاني: «رأيت كثيراً من مشايخنا، العارفين بالله تعالى، يذكرون أن من كتب أسماء فقهاء المدينة السبعة، واستعملها شرباً مَنْ به الحُمَّى؛ نفعته بإذن الله تعالى»، ثم زاد المرجاني الطين بلة إذ حَوَّلَ أسماء كل واحد من هؤلاء الفقهاء إلى الأرقام والأعداد حسب الحروف الأبجدية، وجعل لها جدولاً مربعاً، سبعة في سبعة، ثم قال: "وهذا مثاله، فاستعمله؛ فإنه أنجح في المقصود" ^(٣)، هكذا زعم!

ولا شك أن هذا قول باطل، ورأي فاسد، ليس له مستند صحيح من الكتاب أو السنة النبوية، ولم يعمل به أحد من سلف الأمة وأئمتها، وإنما هو من اختراع بعض المتأخرين وابتداعهم.

(١) الودَعُ: جمع ودعة، وهو شيء أبيض يجلب من البحر، ويعلق على الصبيان؛ مخافة العين، انظر: النهاية في غريب الحديث ١٦٨/٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/٦٢٣ رقم: ١٧٤٠٤)، والحاكم في المستدرک ٤/٢٤٠، رقم: ٧٥٠١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣) بهجة النفوس والأسرار في تاريخ مدينة المختار، ص: ١٠٩-١١٠.

المبحث الثالث: الاستشفاء المختلف فيه بالمدينة النبوية

اختلف أهل العلم في بركة تراب المدينة وغبارها، وجواز الاستشفاء به من العلل والأسقام، على قولين، وفيما يأتي بيانها:

القول الأول: أن تراب المدينة وغبارها مبارك ويشرع الاستشفاء به

فقد ذكر كثير من الكتاب الذين عنوا بالكتابة عن المدينة وفضائلها، وذكر محاسنها وخصائصها؛ أن في تراب المدينة شفاء للصداع، والبرص، والجذام، والجروح، والقروح، والحمى، وغيرها من الأمراض، حتى ذكر بعضهم اتفاق السلف والخلف على التداوي من الصداع بالتراب المأخوذ من المسيل، عند قبر حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، ونقلها إلى الأقطار.

فقال إسماعيل بن عبد الله الإسكداري في ذلك: «نقل تراب الحرم وأحجاره وما اتخذ منه مكروه... وينبغي أن يستثنى من منع نقل التراب تربة سيدنا حمزة عليه السلام؛ أي: المأخوذ من المسيل الذي به مصرعه؛ لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوي من الصداع»^(١).

ووصف بعضهم لعلاج الحمى تراب موضع بالمدينة، يُقال له: "صُعَيْب"، وهو موضع على شفير وادي بطحان، على يمين طريق قربان النازل، في منطقة "الماجشونية"، ويسميه بعض الكتاب وكثير من العامة (تراب الشفاء)^(٢). فيأخذ كثير من الناس التراب من هذا المكان؛ من باب التبرك، والاستشفاء به من الحمى، وغيرها من الأمراض.

(١) ترغيب أهل المودة والوفاء في سكنى دار الحبيب المصطفى للإسكداري، ص: ١٢٨.

(٢) ترغيب أهل المودة والوفاء، ص: ١٢٩.

بل ذكر البعض أن في تراب المدينة وغبارها شفاء من كل داء، وأن الأدوية التي عجز عنها كبار الأطباء سُفِي أصحابها ببركة تراب المدينة وغبارها، فقال عبد الله بن عبد الملك المرجاني في ذلك:

غبار ثراها للسقيم مداوية :: لداء تقف عنه الأطباء ويربها^(١).

وقال محمد كبريت الحسيني: "ومن محاسنها أن ترابها شفاء من الجذام، كما هو الوارد، وشفاء من كل داء؛ بالتجربة الصادقة، المعروفة عند الخلف والسلف"^(٢). قال غالي محمد الأمين الشنقيطي: "إن في ترابها شفاء من كل داء حتى الجذام والبرص، وهو شيء تواترت به الأخبار ومجرب بالمشاهدة، وإن تُكَلِّمَ في الحديث الوارد في ذلك"^(٣).

وقد استدلوا بجملته من الأدلة منها:

- ١ - عن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غبار المدينة شفاء من الجذام»^(٤).
- ٢ - وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «غبار المدينة يبرئ من الجذام»^(٥).
- ٣ - وروى ابن زبالة عن إبراهيم قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «غبار المدينة يطفى الجذام»^(٦).

(١) بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار، ص: ٦.

(٢) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة ١/ ١٥٤.

(٣) الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، ص: ١٢.

(٤) أخرجه ابن النجار في الدر الثمينة، ص: ٨١، حديث: ٢، وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في الطب النبوي ١/ ٢٥٨، رقم: ٢٩٥. وهو حديث ضعيف.

(٦) ذكره السيوطي في الحجج المبينة، ص: ٥٨، وهو ضعيف.

٤- وعن محمد بن موسى بن صالح - من ولد صيفي بن أبي عامر - عن جده قال: أقبل رسول الله ﷺ من غزاة غزاهما، فلما دخل المدينة أمسك بعض الصحابة على أنفه من تراها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! إن تربتها لمؤمنة، وإنما لشفاء من الجذام»^(١).

٥- وعن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه دخل على ثابت بن قيس وهو مريض فقال: «اكشف البأس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس» ثم أخذ ترابا من بطحان، فجعله في قده، ثم نفث عليه بهاء وصبه عليه^(٢).

٦- وعن إبراهيم بن الجهم أن رسول الله ﷺ أتى بني الحارث فرآهم رَوْبَى، فقال: «ما لكم يا بني الحارث رَوْبَى؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، أصابتنا هذه الحمى، قال: «فأين أنتم عن صعيب؟». قالوا: يا رسول الله! ما نضع به؟ قال: «تأخذون من ترابه، فتجعلونه في ماء، ثم يتفل عليه أحدكم، ويقول: بسم الله، تراب أرضنا، بريق بعضنا، شفاء لمريضنا، بإذن ربنا» ففعلوا فتركهم الحمى^(٣).

٧- وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا يشفى سقيمنا»، وفي رواية بلفظ: «بسم الله، تربة أرضنا، وريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا»^(٤).

(١) رواه الزبير بن بكار كما ذكره السيوطي في الحجج المبينة، ص: ٥٨، وهو ضعيف.

(٢) رواه أبو داود في سننه: كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، حديث: ٣٨٨٥، وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن النجار في الدررة الثمينة، ص: ٨٢، رقم: ٣، وهو ضعيف.

(٤) متفق عليه: البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ حديث: ٥٧٤٥. ومسلم:

كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين، والنملة، والحمة، والنظرة، حديث: ٢١٩٤.

فقالوا: إن هذا الحديث يدل على أن في تراب المدينة شفاء لجميع الأمراض، إذ لم يذُكر مرضاً دون مرض، بل قال: «إذ اشتكى الإنسان الشيء منه» وقال: «سقيمنا» والسقيم هو المريض، وهذا أيضاً يدل على العموم، إذ لم يخص مرضاً دون مرض، فالمدينة في ترابها دواء لجميع الأدوية، وشفاء من جميع الأسقام والأمراض، هكذا قالوا استدلالاً بالحديث المذكور^(١).

القول الثاني: لم يثبت لتراب المدينة بركة خاصة، ولا دليل على

جواز الاستشفاء به.

وقد أجيب عن أدلة أصحاب القول الأول بما يأتي:

١ - حديث ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه (الأول):

فإنه لا يصح عن رسول الله ﷺ؛ لأن فيه علتين:

• أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري: وهو ضعيف الحديث، ومتهم بالوضع، وكان ممن يسرق الحديث، ويروي عن الثقات الموضوعات^(٢).

• وعبد العزيز بن عمران أيضاً ضعيف متروك^(٣).

٢ - حديث سالم بن عبد الله بن عمر:

لا يثبت أيضاً؛ لأنَّ في إسناده:

(١) انظر: فضائل المدينة المنورة ٣/٢٢٦، وتاريخ المدينة المنورة المصور للدكتور محمد إلياس، ص: ١٨.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال ٤/٤٩.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب ٣/٤٦٩.

• القاسم بن عبد الله العمري؛ وهو كذاب، كان يضع الحديث، وقد ترك الناس حديثه^(١).

• وهو من مراسيل سالم بن عبد الله بن عمر^(٢).

٣- حديث ابن زبالة:

وهو حديث معلول لا يصح، ففيه من العلل:

• محمد بن الحسن بن زبالة؛ وهو متروك كذاب^(٣).

• شيخه إبراهيم؛ لا يدري من هو؛ فإنه يروي عن عدد من الرواة،

ممن يسمون بإبراهيم. فلا شك أن الحديث بهذا الإسناد منقطع، وضعيف

جدا^(٤).

٤- حديث محمد بن موسى بن صالح:

وهو حديث ضعيف جداً^(٥)، ففيه:

• محمد بن الحسن بن زبالة؛ وهو متروك، كذاب.

• وشيخه محمد بن فضالة؛ مجهول؛ كما قال أبو زرعة الرازي^(٦).

٥- حديث ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه (الثاني):

وهو حديث معلول لا يصح:

(١) انظر: الجرح والتعديل ١١١/٧.

(٢) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة للرفاعي، ص: ٦٣٦.

(٣) انظر: تقريب التهذيب ٦٦/٢.

(٤) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص: ٦٣٧.

(٥) انظر: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص: ٦٣٤.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل ٥٦/٨.

- ففي إسناده يوسف بن محمد بن ثابت؛ وهو مجهول العين؛ إذ لم يرو عنه غير عمرو بن يحيى المازني، ولا يعرف له توثيق^(١).
- وقد اختلف فيه على عمرو بن يحيى المازني، فروي عنه موصولاً ومرسلاً، والإرسال هو الراجح؛ لأن من رواه مرسلاً أكثر وأثبت ممن رواه موصولاً، ولذلك قال الدكتور صالح الرفاعي: (فالحديث ضعيف بهذا الإسناد؛ لجهالة يوسف بن محمد؛ ولأنه مرسل على الراجح)^(٢).

٦- حديث إبراهيم بن الجهم:

فهو حديث إسناده واه؛ بسبب ابن زباله، وجهالة محمد بن فضالة، وإبراهيم بن الجهم، وهو مع ذلك مرسل، أو معضل^(٣).

فهذه الأحاديث لم يخل سند من أسانيدھا من مجهول، أو متروك الحديث، ومنتهم بالكذب؛ فهذه الأحاديث كلها واهية الأسانيد جداً لا يمكن أن يتقوى بعضها ببعض، فلا يصلح عليها الاعتماد، ولا يصح بها الاحتجاج، ولقد أحسن الدكتور صالح الرفاعي، حيث قال: "بعد دراسة الأحاديث السابقة يتبين أنه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء ينص على فضيلة خاصة لتربة المدينة، وما ورد من أحاديث في ذلك فهي ضعيفة، لا تقوم بها حجة، ولا يعضد بعضها بعضاً؛ لشدة ضعفها، والله أعلم"^(٤).

(١) انظر: ميزان الاعتدال ٤/٤٧٢.

(٢) الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، ص: ٦٤١.

(٣) المرجع السابق، ص: ٦٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص: ٦٤٢.

٧- حديث عائشة رضي الله عنها:

فهو محلّ نزاع وخلاف؛ فهل المقصود بالحديث هو أرض المدينة خاصة، أم جملة الأرض عموماً؟ وهل هذا خاص بريق رسول الله ﷺ أم هو محمول على العموم؟ أي: أن هذا الحديث فيه بيان لرقية شرعية لعامة الأمة، أم هذا شيء خاص بأرض المدينة وتراها وبريق النبي ﷺ؟ ففي ذلك قولان لأهل العلم.

أ- فحمله بعض أهل العلم على الخصوص دون العموم، فالمقصود بـ«أرضنا» أرض المدينة، والمقصود بـ«ريقة بعضنا» ريق النبي ﷺ، وفيه نظر ظاهر، لأن على هذا التوجيه لا يمكن العمل بالرقية المذكورة في الحديث لأحد من الأمة بعد وفاة النبي ﷺ؛ لأن ريق النبي ﷺ لا سبيل للحصول عليه بعد وفاته ﷺ.

ب- ذهب جمهور أهل العلم إلى أن المقصود بالأرض هنا جملة الأرض، وأن الحديث فيه بيان لرقية شرعية لعامة الأمة، فلا يصح تخصيصها بأرض المدينة، أو قصرها عليها إذ لا دليل على ذلك. قال النووي: «قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، وقيل أرض المدينة خاصة لبركتها»^(١).

ولا شك أن العموم هو الذي يؤيده ظاهر الحديث وسياقه، وذلك أن قوله ﷺ: «ليشفى به سقيمنا» ليس المقصود به مرضاً معيناً من الحمى، أو البرص، أو الجروح، أو غيرها. وكذلك ليس المقصود به مريضاً معيناً من آل بيت النبي ﷺ، أو من أصحابه، أو أقربائه، أو من قبيلة معينة، أو من

(١) شرح النووي على مسلم ١٤/١٨٤، وانظر: زار المعاد ٤/١٨٧.

عصر معين؛ بل هذه رقية شرعية، عامة، صالحة لكل مرض، ولكل مريض، وكذلك قوله: «بريقة بعضنا» عام أيضاً؛ إذ ليس المقصود به شخص معين، وكلمة: «بعضنا» واضحة في الدلالة على العموم، وكذلك قوله: «بإذن ربنا» أيضاً، يوحي ويشعر بالعموم، حيث أضيفت كلمة الرب إلى ضمير الجمع، دون الأفراد؛ أي: بإذن ربنا معشر المسلمين جميعاً.

فكذلك قوله: «تربة أرضنا» الظاهر منه العموم، ثم إن قوله ﷺ: «... تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى به سقيمنا، بإذن ربنا» ورد في سياق واحد بأسلوب واحد، فينبغي أن يحمل الحديث كله على محمل واحد من غير تفريق، فلا يصح أن يحمل بعضه على العموم، وبعضه على الخصوص، فيقال بأن قوله: «سقيمنا» محمول على العموم، وشامل لكل مرض ومريض، وقوله: «تربة أرضنا» محمول على الخصوص، وخاص بأرض المدينة وتراها، مع أن السياق واحد، فهذا تفريق بين متماثلين، وهو أمر لا يقره أهل العلم والعقل.

وقد شهدت المباحث الطبية أن التراب النظيف قد ينفع في بعض الأمراض، ولا سيما القروح والجروح؛ لما فيه من قوة الامتصاص، والتجفيف والتبريد والتسكين^(١)، بل ذكروا أن المكان الذي ينشأ فيه الشخص يتكيف مع بيئته ومناخه، ويتعود على جوّه ومائه وهوائه وترابه وحرّه وقرّه، فيرتاح المرء إلى ذلك المكان أكثر، ويكون تراب الوطن وماؤه ومناخه له أفيد وأنسب^(٢).

والراجع -والله تعالى أعلم-

(١) انظر: الطب من الكتاب والسنة للبغدادي، ص: ٧٦.

(٢) انظر: فتح الباري ٣/ ٢٥٥١.

أنه لا مزية لتراب المدينة، ولا لغبارها، في مقام الاستشفاء، ولا في غيره، وما صحَّ عن النبي من استشفائه بالتربة إنما كان على سبيل الرقية الشرعية، وهو عام لكل الأتربة؛ لثبوت نفعها في علاج القروح والجروح.

الخاتمة

من خلال ما تقدّم من المباحث، والتحرير، نبيّن جملة من النتائج:

١- الاستشفاء هو التداوي وطلب الشفاء، وهو إما وقاية من داء قبل حصوله، أو إزالة له بعد وقوعه.

٢- يشرع الاستشفاء ومباشرة الدواء، ولا تنافي بينه وبين الرضا بقضاء الله والتوكّل عليه.

٣- تشترك المدينة النبوية مع سائر البلدان في علاج الأدوية بالطبيعية؛ كالمطعومات، والمشروبات، والحمية، والحجامة، وبالأدوية الإلهية؛ كالدعاء، والرقية الشرعية، وأعمال البرّ. وليس للمدينة مزية فضل فيها على غيرها.

٤- اختصت المدينة النبوية ببركة تمرها - وبخاصة العجوة - لدعاء النبي لها، وهو دواء من السمّ والسحر.

٥- المدينة النبوية محمية من الطاعون والأوبئة العامة، وهي أصح بلاد الله، وهذه مزية لم تجعل لغيرها من البلدان.

٦- يحرم الاستشفاء بالمحرمات، وسائر النجاسات، في المدينة وسائر البلدان.

٧- يحرم صيد طرائد المدينة، بغرض التداوي بها، وإن ثبت نفعها، وكذا الشان في غراسها وشجرها؛ مما سقته السماء.

٨- يحرم الاستشفاء بقبر النبي ﷺ وحجرته؛ سواء بدعائه، أو دعاء الله تعالى عند قبره، كما يحرم التبرّك بقبره، وحجرته؛ بغرض الاستشفاء أو غيره.

٩- يحرم الاستشفاء بآثار المدينة، وأحجارها، وأسمائها، وصالحيتها.

١٠- ليس لتراب المدينة وغبارها مزية فضل، وما ورد في فضله فهي

أحاديث واهية، وما صحّ منها فهو عام في كلّ تراب الأرض.

فهرس المراجع

١. آثار المدينة المنورة: عبد القدوس الأنصاري، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٣٩٣هـ.
٢. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، دار الخضير، ط ٣، ١٤١٨هـ.
٣. أحكام التداوي في الإسلام، لأحمد محمد كنعان، ضمن بحوث مؤتمر: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.
٤. أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها: محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، جدة - الشرقية.
٥. الإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع: لمحمد الشربيني الخطيب، تحقيق مكتب البحوث والدراسات لدار الفكر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٦. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل أحمد بن حنبل: لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادوي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.
٧. بداية المجتهد و نهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٥هـ، ط ٤.
٨. بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار: أبو محمد عبد الله بن عبد الملك المرجاني، تحقيق: محمد شوقي بن إبراهيم مكّي، الرياض.

٩. تاريخ المدينة المنورة المصور: محمد إلياس عبد الغني.
١٠. التبرك أنواعه وأحكامه، لناصر بن عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد، شركة الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ.
١١. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ..
١٢. التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري، مكتبة المدني.
١٣. تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٤. تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
١٥. تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ هـ.
١٦. تقريب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.
١٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة.

١٨. تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٤هـ.
١٩. الجامع من المقدمات: محمد بن أحمد بن رشد (الجد)، تحقيق: المختار بن الطاهر التليبي، دار الفرقان - الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.
٢٠. الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢١. الجواهر الثمينة في محاسن المدينة: محمد كبريت الحسيني المدني، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية.
٢٢. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة: ابن عابدين. الناشر دار الفكر للطباعة والنشر. ١٤٢١هـ.
٢٣. الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين: غالي محمد الأمين الشنقيطي، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ١٤٠٨هـ.
٢٤. درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ.
٢٥. الدر الثمينة فيما لزائر النبي إلى المدينة المنورة: أحمد بن عبد رب النبي القشقايشي، تحقيق: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٢٦. رسائل في تاريخ المدينة، تحقيق وتعليق: حمد الجاسر، دار اليمامة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ.
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ.

٢٩. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ.

٣٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.

٣١. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني. - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

٣٢. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٣٣. سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤. السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٣٤٤هـ.

٣٥. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١١، ١٤١٩هـ.

٣٦. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب، دار الجيل - بيروت - ط ١١١١هـ.

٣٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.
٣٨. الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٣٩. الصحاح في اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
٤٠. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
٤١. صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٥.
٤٢. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨ هـ.
٤٣. صحيح السيرة النبوية: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، ط ١.
٤٤. صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٨ هـ.
٤٥. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية

٤٧. صحيح وضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٤٨. صناعة الدواء والأحكام المتعلقة بها، لعبد الرحمن بن رباح الراددي، ، ضمن بحوث مؤتمر: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١ هـ.

٤٩. الطب النبوي: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٧ هـ.

٥٠. الطب من الكتاب والسنة: موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.

٥١. العزيز شرح الوجيز: عبد الكريم بن محمد الرافي، تحقيق: علي معوض - عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ.

٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٣. الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، لبنان، ط٢.

٥٤. الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان: نظام الدين البلخي الهندي، وآخرون، دار الفكر، ط ٢، ١٣١٠هـ.
٥٥. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ: جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.
٥٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٥٧. فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين: عبد الله الطيار وسامي المبارك، ط ٢، دار الوطن.
٥٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ.
٥٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان - عجمان، الطبعة الأولى (لمكتبة الفرقان) ١٤٢٢هـ.
٦٠. الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
٦١. المبسوط: شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

٦٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
٦٣. مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦ هـ.
٦٤. المجموع شرح المهذب: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧ م.
٦٥. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المشنى الموصلي أبي يعلى. إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - ١٤٠٧ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري
٦٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢٠ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.
٦٧. مسند البزار المنشور (البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٨٨ م - ٢٠٠٩ م.
٦٨. مصنف ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
٦٩. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وآخرون، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

٧٠. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
٧١. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
٧٢. المغنم المطابة في معالم طابة، للمجد الفيروزآبائي، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. ط: الأولى: ١٤٢٣هـ
٧٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على صحيح مسلم): أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ
٧٤. مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالخطاب الرعيني، تحقيق: زكريا عميرات: دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ
٧٥. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.
٧٦. موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب: أيوب صبر باشا. دار الآفاق العربية. الطبعة: الأولى.
٧٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

٧٨. نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين: جعفر بن إسماعيل البرزنجي، تحقيق: أحمد سعيد بن سلم، مكتبة الرفاعي - القاهرة - ط ١
١٤١٦ هـ

٧٩. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ.

٨١. الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني

٨٢. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ: نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسن السموهودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٦ م

فهرس الموضوعات

٢٤٥	مقدمة
٢٤٦	حدود البحث:
٢٤٦	منهج البحث:
٢٤٧	خطة البحث:
٢٤٨	التمهيد
٢٤٨	أولاً: تعريف الاستشفاء لغة واصطلاحاً
٢٤٩	ثانياً: مشروعية الاستشفاء
٢٥٠	ثالثاً: الاستشفاء لا ينافي التوكّل والرضا بقضاء الله تعالى
٢٥٥	المبحث الأول: الاستشفاء المشروع بالمدينة النبوية
٢٥٥	المطلب الأول: ما اشتركت فيه المدينة النبوية مع غيرها
٢٦٥	المطلب الثاني: ما اختلفت به المدينة النبوية دون غيرها
٢٧٦	المطلب الثالث: الضوابط الشرعية للاستشفاء بالمدينة النبوية
٢٧٩	المبحث الثاني: الاستشفاء المحرّم بالمدينة النبوية
٢٧٩	المطلب الأول: الاستشفاء بالمحرمات والنجاسات
٢٨٤	المطلب الثاني: الاستشفاء بالآثار والأسماء

المبحث الثالث: الاستشفاء المختلف فيه بالمدينة النبوية ٢٩١

الخاتمة ٣٠٠

فهرس المراجع ٣٠١

فهرس الموضوعات ٣١١

مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ

بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

إعداد الدكتور:

مها عبدالرحمن أحمد نتو

أكاديمية سعودية، أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية

للبنات في جامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً، نحمده -تعالى- أن هدانا إلى دينه القويم وصراطه المستقيم، دين الإسلام، وصراط التوحيد، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، حبيبنا وسيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأبرار الميامين أجمعين.

وبعد؛ فقد شاءت حكمة الله -تعالى- أن يجعل علم الساعة غيباً، مما استأثر بعلمه سبحانه في عالم الغيب، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولم يثبت حديث صحيح في تحديد عمر الدنيا؛ وذلك ليبقى الناس من الساعة على حذر دائم، واستعداد كامل لاتخاذ الزاد المناسب لها، فهي الموعد المرتقب للجزاء الكامل العادل، والإيمان بذلك جزء من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر.

هذا ومع اختصاص الرب -تبارك وتعالى- بعلم الساعة لحكمة يعلمها، فإنه جل شأنه ألمح لنا طرفاً منها ووصف لنا مشاهدتها، ووضع لها أمارات^(١) تدل على قرب حدوثها، وإيذاناً بانتهاء الحياة الدنيا وزوالها.

(١) تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين: صغرى وكبرى، فالصغرى منها ما ظهر وانتهى، ومنها ما ظهرت مبادئه ولم يستحكم، ومنها ما لم يظهر بالكلية، ولم يأت حديث يصرها، بل هي منشورة في الصحاح والسنن والمسانيد، أما الأشراط الكبرى فعشرة: الدجال، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم -عليه السلام-، والدخان، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر

وبذلك يكون ظهور أي علامة من علامات الساعة تذكيراً بليغاً للعباد بدنوها، ودعوة دائمة لهم للتأهب لما بعد الموت. وليس معنى كون الشيء من أشرطة الساعة أن يكون ممنوعاً، بل أشرطة الساعة تشتمل على المحرم والواجب والمباح والخير والشر^(١).

والبحث في أمارات الساعة له أهمية بالغة في نصح الأمة، وإرشادها إلى الخير، وتحذيرها من الفتن وما يلابسها من شرور عظام، وتقديراً مني لهذه الأهمية البالغة - خاصة في هذه الأيام التي يعيشها الناس في غمرات الفتن، والأحداث الجسام التي تحل بالأمة الإسلامية، رأيت أن أخرج هذا البحث المتواضع في بعض أشرطة الساعة، لكنني خصصتها بما يتعلق منها بالمدينة المنورة^(٢) طيبة الطيبة؛ ليرى الناس كيف تقع هذه الفتن، وكيف النجاة منها.

عدن تطرد الناس إلى محشرهم. والأشرطة الكبرى غير معتادة الوقوع، وإذا وقع أولها تابعت سريعاً كتتابع الخرز من عقد انقطع، وهي أرضية مؤذنة بتغير أحوال الأرض أولها: الدجال، وعلوية مؤذنة بتغير العوالم العلوية وأولها: طلوع الشمس من مغربها. والأشرطة بنوعيهما من دلائل نبوة محمد ﷺ. ينظر / أشرطة الساعة لخالد الغامدي (١/٣٧-٣٨).

(١) يُنظر / فتح الباري لابن حجر (١٣/١٦)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١/١٥٩).
(٢) لها تسعة وعشرون اسماً، منها: طابة، وطيبة والمحبة، والمحبوب، ويثرب، والناحية، والمباركة، والمجنّة، والمرزوقة، والسّاقفة، والخيّرة، والمرحومة، والمحفوفة، والقدسيّة، دار الهجرة، الجابرة. وفيها مسجد رسول الله ﷺ، وقبره في شرقي المسجد مع صاحبيه أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

الروض المعطار (ص ٤٠١)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٨٢)، وأطللس الحديث النبوي للدكتور شوقي أبو خليل (ص ٣٣٦).

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة، ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن أهمية البحث وخطته ومنهج العمل فيه.

وأما المبحثان فهما:

المبحث الأول: نفي المدينة المنورة شرارها ثم خرابها وخلوها من السكان والزائرين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نفي المدينة المنورة شرارها.

المطلب الثاني: خرابها وخلوها من السكان والزائرين.

المبحث الثاني: تحريم دخول المسيح الدجال^(١) المدينة المنورة، وأهمية العلم بالإيمان في العصمة من فتنته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحريم دخول المسيح الدجال المدينة المنورة.

(١) سمي بالمسيح؛ لأن عينه الواحد ممسوحة، ويقال: رجل ممسوح الوجه ومسيح، وهو ألا يبقى على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى. وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي يقطعها. وقيل: أنه الذي مُسح خلقه، أي شوه، وليس بشيء. ينظر / النهاية في الفتن (٤/٣٢٧)، وتاج العروس للزبيدي (٤/٢٠٤). وقيل: إن مقابل مسيح الهدى، وأن الدجال مسيح الضلالة. ينظر / لسان العرب لابن منظور (٢/٥٩٥)، وفتح الباري لابن حجر (٢/٣٧١).

والدجال: أصله من الدجل، وهو الخلط، يقال: دجل إذا لبس وموه، وفعال من أبنية المبالغة أي يكثر معه الكذب واللبس. ونقل القرطبي في "التذكرة" (ص ٥٤٨-٥٤٩) أن الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه، وذكرها منها: أن الدجال: الكذاب؛ لأنه يدجل الحق بالباطل، ومنها أن الدجال مأخوذ من الدجال وهو طلاء البعير بالقطران؛ لأنه يغطي الحق ويستتره، وقيل أنه من التغطية لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه، والدجل التغطية، ومنها أن الدجال المُحَرِّق، وذكر غيرها، وتعود إلى هذه الأقوال، وكل واحد منها يقع على الدجال وحاله.

المطلب الثاني: أهمية العلم بالإيمان في العصمة من فتنته.

وأما الخاتمة فهي تشتمل على أهم نتائج البحث.

ثم فهرس للمصادر والمراجع.

وأخيراً فهرساً لموضوعات البحث.

ويقوم هذا البحث في منهجه العلمي على: الاستقراء لصحيح أسرار الساعة التي ستقع بالمدينة المنورة^(١).

وأما عن منهج العمل فيه فيقوم على عزو الآيات القرآنية إلى سورها في المصحف؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية، وكذلك عزو الأحاديث إلى مصادرهما من كتب السنة؛ فالأحاديث التي في الصحيحين العزو إليهما يكفي للدلالة على صحة الحديث، وما كان خارج الصحيحين قمت بعزوه إلى مصادره واستعنت بتحقيقات العلماء في الحكم على الأحاديث التي وجدت لهم أحكاماً عليها، وتخريج الآثار، ورد الأقوال إلى أصحابها، والتعريف بالكلمات والمصطلحات التي تحتاج إلى إيضاح، والترجمة للأعلام غير المشهورين، وحاولت -قدر المستطاع- التوسط في كتابة موضوعات البحث، فلا إفراط ولا تفريط؛ وذلك حتى لا أهضم الموضوع حقه.

(١) وهذا سيظهر فيما استخرجته من أحاديث في مباحث -وما يتبعها من مطالب- هذا البحث المتواضع.

وفي الختام أسأل الله -تعالى- أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وما كان فيه من تقصير فأنا معترفة به، ولا يخلو البشر من الأخطاء أبداً لكنني لم أتعمد، وما كان فيه من صواب فقد تحريته بحسب ذهني الواقف، وعلمي القاصر، وعملي الذي يوجب التوبة والاستغفار.

وأحمد الله وأشكره أولاً وآخراً على تيسيره وتسهيله، وأسأله المزيد من عونه وتوفيقه، وأدعوه -تعالى- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وباسمه الأعظم أن يغفر لي ولمن قرأ هذا البحث، ولمن سمعه، وأن يعيدنا وجميع المسلمين من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، إمام المتقين، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

المبحث الأول:

نفي المدينة المنورة شرارها ثم خرابها وخلوها من السكان
والزائرين:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نفي المدينة المنورة شرارها:

حث النبي ﷺ على سكنى المدينة، ورغب في ذلك، وأخبر أنه لا يخرج أحدٌ منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها من هو خير منه، وسيكون زمان تكثر فيه الفتوحات، ويعم الرخاء في معظم أرجاء المعمورة، ويقدر الله أن يبقى في مدينة رسول الله ﷺ شدة وقحط وخوف؛ ابتلاءً، فيتسابق ضعاف الإيهاً وأصحاب الشرور إلى أماكن الترف والرخاء حيث الفتوحات، ولا يبقى في المدينة إلا الأتقياء، الصالحون، الصابرون على موعود الله - عز وجل - ورسوله ﷺ. ويكون ذلك إيذاناً بقرب الساعة. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيْبَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ وَالْمَدِينَةَ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ. أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكَبِيرِ، تُخْرَجُ الْخَبِيثَ. لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي الْمَدِينَةَ شَرَارَهَا. كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ) (١).

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (١٢٩/٩) ح (٣٣٠٦)، ك: الحج، ب: المدينة تنفي شرارها.

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ^(١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تُفْتَحُ الشَّامُ. وَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبْسُونَ ^(٢) وَالْمَدِينَةَ خَيْرٌ هُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ. فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ.

(١) سُفْيَانُ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ الْأَزْدِيُّ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: " وَخَلِيفَةُ اسْمُ أَبِيهِ الْقَرْدُ. وَقِيلَ ابْنُ نَمِيرِ بْنِ مَرَارَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، وَيُقَالُ فِيهِ النَّمْرِيُّ لِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِ النَّمْرِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ نَصْرٍ - بَنِ زَهْرَانَ. " وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ. نَزَلَ الْمَدِينَةَ. قَالَ أَبُو عَمْرٍ: " لَهُ حَدِيثَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كِلَاهُمَا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، أَحَدُهُمَا رَوَاهُ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعاً: (يَفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَجِيءُ قَوْمٌ - الْحَدِيثُ) وَالْآخَرُ رَوَاهُ عَنْهُ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدٍ مَرْفُوعاً «مَنْ اقْتَنَى كَلْباً - الْحَدِيثُ» وَرَوَايَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ. وَالسَّائِبُ بْنُ يَزِيدٍ عَنْهُ تَدَلُّ عَلَى جَلَالَتِهِ، وَقَدَّمَ مَرْتَبَتَهُ.

(٢) يَبْسُونَ - يَفْتَحُ الْمَثَنَاءَ تَحْتَ ثَمْبَاءٍ مَوْحِدَةٍ تَضُمُّ وَتَكْسُرُ وَرَوِي بِضَمِّ التَّحْتِيَّةِ مَعَ كَسْرِ الْمَوْحِدَةِ، فَتَكُونُ اللَّفْظَةَ ثَلَاثِيَّةً وَرَبَاعِيَّةً - وَمَعْنَاهُ: يَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى بِلَادِ الْخَصْبِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ يَسُوقُونَ بِهَاتِمِهِمْ سَائِرِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى غَيْرِهَا. وَالْبَسُّ: سَوْقُ الْإِبِلِ. وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقَالُ لِحْتِ الْإِبِلِ عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي الْمَشْيِ. - يُقَالُ بَسَّتِ النَّاقَةَ وَأَبْسَتْهَا إِذَا سُقَّتْهَا وَزَجَّرَتْهَا وَقَلَّتْ لَهَا بِسٌّ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَفَتْحِهَا. يَنْظُرُ / الْفَائِقُ لِلزَّمْخَرِيِّ (١/٩٦)، وَالنَّهْيَاءُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (٢/٧٧)، وَالصَّحَّاحُ لِلْجَوْهَرِيِّ (٣/٦٧). قَالَ النَّوَوِيُّ: " الصَّوَابُ أَنْ مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ عَمَّنْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَتَحَمِّلاً بِأَهْلِهِ بَاساً فِي سِيرِهِ مَسْرِعاً إِلَى الرَّخَاءِ وَالْأَمْصَارِ الْمَفْتَحَةِ ". شَرَحَ مُسْلِمٌ لِلنَّوَوِيِّ (٩/١٥٩). وَأَيْدُهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى، ثُمَّ قَالَ: " وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " أَيُّ بِفَضْلِهَا مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَثَوَابِ الْإِقَامَةِ فِيهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِيهِ تَجْهِيلٌ لِمَنْ فَارَقَهَا وَآثَرَ غَيْرَهَا، قَالُوا وَالْمَرَادُ بِهِ الْخَارِجُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ رَغْبَةً عَنْهَا كَارِهِينَ لَهَا، وَأَمَّا مَنْ خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ ". الْفَتْحُ (٤/٥٧٥)

يَبْسُونَ. وَالْمَدِينَةَ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ يُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيُخْرَجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبْسُونَ. وَالْمَدِينَةَ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(١).

وعن الزمن الذي تنفي فيه المدينة شرارها اختلفت أقوال العلماء: فذهب القاضي عياض^(٢) إلى أن ذلك مختص بزمن النبي ﷺ؛ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب؛ فلا يصبرون على شدة المدينة، ولأوائها، ولا يحتسبون من الأجر في ذلك^(٣).

(١) متفق عليه. رواه البخاري في "صحيحه" (٦٦٢/٢) ح (١٨٥٤)، ك: فضائل المدينة، ب: من رَغِبَ عن المدينة، ومسلم في "صحيحه" (١٣٣/٩) ح (٣٣١٨) وح (٣٣١٩)، ك: الحج، ب: الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ الأوحدي، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبئي المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربعمئة. تحول جدُّهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة، لم يحول القاضي العلم في الحدائث، وأول شيء أخذ عن الحافظ أبي علي العسائي إجازة مجردة، وكان يُمكنه السماع منه، فإنه لحق من حياته اثنين وعشرين عامًا. رحل إلى الأندلس سنة بضع وخمسين، واستبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الرُكبان، واشتهر اسمه في الآفاق. محدث فقيه أصولي، مؤرخ، مفسر، شاعر، توفي سنة (٥٤٤هـ) من تصانيفه: "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - ط"، و"الإلماع في أصول الرواية والسماع". ينظر / الديباج لابن فرحون (ص ١٦٨)، والسير (٣٧/١٥).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٥٤/٩)، ونقله عنه أيضاً الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"

ووافقه القرطبي^(١) في أن طرفاً من هذا الخروج قد وقع، وزاد على ما ذكره القاضي من الأخبار في الفتن التي وقعت بالمدينة، وخروج الصحابة -رضوان الله عليهم- منها^(٢). فلم يجزم -رحمه الله- بأن خروج الناس منها هو الأوحى والآخر، بل سيأتي من كلامه ما يبين تعداد هذا الهجران والارتحال عنها.

وخالفه جماعة من أهل العلم منهم الإمام النووي^(٣) فقد قال: «ليس هذا لأن عند مسلم^(٤) (لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكبرُ خَبَثَ الحُدَيْدِ)، وهذا والله أعلم زمن الدجال... انتهى »^(٥).

وهذا هو الظاهر المختار فقد روى الإمام مسلم^(٦) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (يَثْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، إمام عالم بأحكام القرآن والحديث، توفي سنة ٦٧١هـ بصعيد مصر. ينظر / الشذرات (٥/ ٣٣٥).

(٢) ينظر / التذكرة للقرطبي (ص ٥٠٦-٥٠٧).

(٣) هو الإمام الفقيه الحافظ، محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، ولد سنة (٦٢١هـ)، صنف تصانيف نافعة، منها: "المنهاج في شرح مسلم -ط"، و"رياض الصالحين -ط"، و"شرح المهذب -ط" وغيرها، توفي سنة (٦٧٦هـ). والنووي نسبة إلى نوى بفتححتين، وبعد النون واو ثم ألف، قرية من قرى حوران، والنسبة إليها نواوي بواوين، بينها ألف ونووي بحذف الألف. ينظر / طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥١٣)، والنسبة إلى المواضع (١/ ٩٩).

(٤) في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ١٣٠) ح (٣٣٠٧)، ك: الحج، ب: المدينة تنفي شرارها.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/ ١٥٤).

(٦) في "صحيحه" (٩/ ١٢٥) ح (٣٣٢١)، ك: الحج، ب: في المدينة حين يتركها أهلها.

كَانَتْ. لَا يَعُشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي (يُرِيدُ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ)^(١) ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مَزِينَةَ^(٢). يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ. يَنْعَقَانِ^(٣) بِغَنَمِهِمَا. فَيَحْدَانَهَا وَحَشَاءً حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ لُودَاعٍ^(٤)، خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا... الحديث.

ورجح ابن كثير^(٥) هذا فقال: « وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك في آخر الزمان كما سيأتي بيانه في الأحاديث الصحيحة، بل تكون عمارة بيت المقدس سبباً في خراب المدينة النبوية، فإنه

(١) العوافي: مأخوذة من عفوته، إذا أتيته تطلب مودته، وفُسرَت في الحديث بأنها السباع والطيور. ينظر / شرح النووي (٩/١٦٠).

(٢) مزينة: قبيلة عربية كانت مساكنها بين المدينة المنورة ووادي القرى. ومن ديارهم وقراهم: الروحاء - على طريق بدر - والعمق وهو موضع، منها موضع بوادي الفرع. وبين الروحاء، وهي قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة المنورة، بينهما واحد وأربعون ميلاً. الروض المعطار (ص ٢٢٧، ٤٠٧)، وأطلس الحديث (ص ٣٤١).

(٣) ينعقان: أي يصيحان. ونعق الراعي لغنمه إذا دعاها لتعود إليه. ينظر / النهاية في غريب الحديث (٥/٨٢).

(٤) ثنية الوداع: هي ثنية مشرفة على المدينة المنورة، يطؤها من يريد مكة المكرمة، فهي موضع وداع المسافرين من المدينة المنورة إلى مكة. وثنية الوداع اليوم هي الموضع المرتفع الذي يقع خلف محطة (أبو العلا)، خارج باب الشامي، ويسمى (القرين التَّحْتَانِي)، ويقال له: كشك يوسف باشا، ويوسف باشا هو الذي نقر الثنية ومهد طريقها في حدود عام ١٢١٤ هـ - ١٩١٤ م. ينظر: معجم البلدان (٢/٨٦)، وأطلس الحديث (ص ١٠٨)، وتاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً لأحمد ياسين الخياري (ص ٢١٧).

(٥) هو عماد الدين إسماعيل بن كثير البصري الدمشقي، برع في الفقه والتفسير والنحو. له مصنفات أشهرها التفسير، توفي سنة ٧٤٧ هـ. ينظر / البدر الطالع (١/١٥٣).

قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها، يمنع من ذلك بما على أبوابها من الملائكة القائمين، بأيديهم السيوف المصلتة»^(١).

وفي كلامه ما يفيد أن خراب المدينة، وهجر الناس لها؛ قد يتعدد، إلا أن الخراب الكلي الذي لا تعمر بعده أبداً فإنه قبل قيام الساعة، وسبق نقل كلام القرطبي أنه هذا ربما وقع في الأزمان الأولى، ولم يجزم به، ثم قال بعده: «قال علماءنا: وهذا إنما يكون في آخر الزمان، وعند انقراض الدنيا؛ بدليل أن البخاري في هذا الحديث: آخر من يحشر راعيان من مزينة...»^(٢).

وذهب الحافظ ابن حجر - رحمه الله -^(٣) إلى احتمال الزمنين فقال: «ويحتمل أن يكون المراد كلاً من الزمنين، وكان الأمر في حياته ﷺ كذلك للسبب المذكور، ويؤيده قصة الأعرابي... فإنه ﷺ ذكر هذا الحديث معللاً به خروج الأعرابي، وسؤاله الإقالة من البيعة^(٤)، ثم يكون ذلك أيضاً في آخر الزمان؛ عندما ينزل الدجال بأطراف المدينة، ناحية الجرف، فترجف

(١) النهاية في الفتن (١/ ٩٤).

(٢) التذكرة (ص ٥٠٨)، وينظر إلى هذا المعنى / الإشاعة للبرزنجي (ص ٥٦-٥٨)، ولوامع الأنوار للسفارييني (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٣) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، العلامة، الحافظ، من مصنفاته: "فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط"، و"لسان الميزان - ط"، وغيرهما، توفي سنة (٨٢٥هـ). ينظر: الشذرات لابن العماد (٧/ ٢٧١)، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ٨٣).

(٤) التذكرة (ص ٥٠٨). وينظر إلى هذا المعنى: الإشاعة للبرزنجي (ص ٥٦-٥٨)، ولوامع الأنوار للسفارييني (١/ ١٢٥-١٢٦).

بأهلها، فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج إليه ^(١)...، وأما ما بين ذلك فلا؛ فإن كثيراً من فضلاء الصحابة -رضوان الله عليهم- خرجوا بعد النبي ﷺ من المدينة؛ كمعاذ بن جبل، وأبي عبيدة، وابن مسعود، وطائفة، ثم خرج عليّ، وطلحة والزبير، وعمار، وغيرهم، وهم من أطيب الخلق، فدل على أن المراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس ووقت دون وقت، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ ^(٢) والمنافق خبيث بلا شك ^(٣).

ومال ابن حجر في موضع آخر إلى أن خراب المدينة يكون قبل الساعة، بعد ذكر الأحاديث وأقوال الأئمة في المسألة، ثم قال: « والثاني أظهر كما قال النووي » ^(٤).

(١) كما في البخاري عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (ليس من بلدٍ إلا سيطرته الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها. ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومُنافق)

[رواه البخاري في "صحيحه" (٦٦٤/٢) ح (١٨٦٠)، ك: فضائل المدينة، ب: لا يدخل الدجال المدينة].

(٢) التوبة، جزء من الآية: ١٠١.

(٣) فتح الباري (٤/٨٨).

(٤) نفس المرجع (٤/١١٠-١١١).

وروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ^(١) أنه خرج من المدينة فالتفت إلى مزاحم - مولاه - ^(٢) فقال: « يا مزاحم أَلْخَشَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتْهُ الْمَدِينَةَ » ^(٣).

ولا يعني أن من سكن المدينة، ثم انتقل عنها وفارقها؛ أنه من شرار الناس وخبثهم؛ كلا؛ فقد انتقل عن المدينة صحابة أخيار - كما سبق القول في ذلك - وتحولوا منها إلى غيرها من أجل الجهاد والدعوة.

المطلب الثاني: خرابها وخلوها من السكان والزائرين:

كما أخبر النبي ﷺ عن التوسع في سكنى المدينة المنورة فيما رواه مسلم ^(٤) عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَبْلُغُ

(١) عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ. الإِمَامُ الْحَافِظُ الْعَلَامَةُ الْمُجْتَهِدُ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ السَّيِّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا أَبُو حَفْصٍ، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ الْمَدَنِيُّ ثُمَّ الْمِصْرِيُّ، الْحَلِيفَةُ الزَّاهِدُ الرَّاشِدُ أَشْجُ بْنُ أُمَيَّةَ. قال ابن سعد: " كان ثقة مأمونا، له فقه وعلم وورع وروى حديثاً كثيراً، وكان إمام عدل ملك ستين وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً، ومات يوم الجمعة لعشر - بقين من رجب سنة إحدى ومائة ". السير (٥/٥٧٦)، وطبقات الحفاظ للذهبي (١/٥٢).

(٢) مَزَاحِمُ بْنُ أَبِي مَزَاحِمِ الْمَكِّيِّ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يُقَالُ مَوْلَى طَلْحَةَ، مَقْبُولٌ، مِنَ السَّادِسَةِ. تقريب التهذيب (٢/١٧٢)، وتهذيب التهذيب كلاهما لابن حجر (٥/٥٠٤).

(٣) فيض القدير للمناوي (٢/٥٦٢). وذكره الذهبي في "السير" (٥/٥٧٦).

(٤) في "صحيحه" (٣٦/١٨) ح (٧٢٣٩)، ك: الفتن وأشراف الساعة، ب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة.

المَسَاكِينُ إِهَابٌ أَوْ يِهَابٌ^(١). قَالَ زُهَيْرٌ: قُلْتُ لِسَهَيْلٍ: فَكَمْ ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟
قَالَ: كَذَا وَكَذَا مِثْلًا)).

فقد جاء في أحاديث أخرى ما يُفيد خرابها وهو خلوها من السكان والزائرين فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عُمَرَانُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَالِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فِخْذِ الَّذِي حَدَّثَ أَوْ مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لِحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ - يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ)^(٢).

وهذه الأحداث التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث مرتب وقوعها بعضها على بعض، فعمران بيت المقدس يعني عمران القدس وتوسعها بكثرة مبانيها، وإقبال الناس على سكنائها، يتبعه خراب يثرب؛ وهي المدينة المنورة، وورغبة الناس عن سكنائها، وتوقف التوسع في مبانيها.

(١) إهاب (يهاب) بعض الرواة قالها بالنون (يهاب) موضع قرب المدينة المنورة، توسعت مساكنها حتى وصلت إليها، وبسبب هذا التوسع ضاعت معالم المكان، ولم يعد موجوداً. معجم البلدان (٢٨٣/١)، وأطلس الحديث (ص ٥١).

(٢) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٣٠٦/٦) ح (٢١٦٤٦)، وأبو داود في "سننه" (٤٠٠/١١) ح (٤٢٩١)، ل: ب، في إمارات الملاحم، والحاكم في "مستدرکه" (٣٠٦/٦) ح (٨٣٤٦) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة". وذكره الداني في "السنن الواردة في الفتن" (ص ١٥٧) تحقيق أبو عبد الله الشافعي وقال: "إسناده حسن"، والسيوطي في "الجامع الصغير" وأشار إلى صحته، وكذا الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" ح (٣٩٧٥)، وفي "المشكاة" ح (٥٤٢٤).

وفي الحديث قال: (يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ. لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي (يُرِيدُ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ) ثُمَّ يُخْرِجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ. يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ. يَنْعِقَانِ بَعْنَمَهُمَا. فَيَجِدَانَهَا وَحْشًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، خَرَا عَلَى وُجُوهِهِمَا)^(١).

وقوله في الحديث: (وخراب يثرب خروج الملحمة) الملحمة هي المعركة الكبيرة بين المسلمين والروم (النصارى) التي يكثر فيها القتل، وسميت بالملحمة؛ لعظم القتل فيها^(٢)، وبعد الملحمة فتح القسطنطينية، وهي استانبول إحدى كبرى مدن تركيا اليوم^(٣)^(٤)، ثم يلي ذلك خروج الدجال.

(١) صحيح، سبق تخريجه قريبا.

(٢) ينظر / فقه اللغة للثعالبي (١/٦٩).

(٣) القسطنطينية: حاضرة الدولة البيزنطية (دول الروم الشرقية)، بناها القيصر-قسطنطين الأكبر، وانتقل إليها من رومة التي أصبحت حاضرة الروم الغربية. بُنيت على مضيق البوسفور الواصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة، تشتهر بمتانة أسوارها، وهي اليوم إسطنبول بعد أن فتحها محمد الفاتح العثماني في سنة ١٤٥٣ م. معجم البلدان (٤/٣٤٧)، وأطلس الحديث (ص ٣٠٩).

(٤) فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ هو الفتح الأول، لكن الفتح الثاني سيتحقق بإذن الله ولا بد. وقد استدل التوحيدي على ذلك بعدة أمور منها: أن فتحها يكون بالتسييح والتهيل والتكبير، لا بكثرة العدد والعدة، كما ورد مصرحاً بذلك في غير ما حديث. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ. فَإِذَا جَاوَهَا نَزَلُوا. فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ. قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ أَحَدٌ جَانِبَيْهَا. قَالَ نُوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: الَّذِي فِي الْبَحْرِ. ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

والمعنى أن الناس يتركون المدينة ويخرجون منها مع إمكان العيش فيها، فتمارها حسنة وعيشها طيب، ولكن يقع من الفتنة والشدة ما يجعل الناس يفارقونها وينتقلون إلى غيرها شيئاً فشيئاً، حتى لا يبقى فيها أحد من الناس، بل تصبح بيوتاً، وطرقاً، ومساجد خاوية، وتطوف في مساجدها، وتغذى فيها أي تبول، لا يمنعها من ذلك مانع؛ لخلو المكان من الناس.

قال ابن كثير - رحمه الله -: «والمقصود أن المدينة تكون باقية، عامرة أيام الدجال، ثم تكون كذلك في زمان عيسى بن مريم رسول الله - عليه الصلاة والسلام-، حتى تكون وفاته بها، ودفنه بها، ثم تخرب بعد ذلك»^(١).

فَسَقَطُ جَانِبَيْهَا الْآخِرُ. ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَفْرَجُ لَهُمْ. فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا. فَبَيْنَمَا هُمْ يَفْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيحُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتَرَكُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَرْجِعُونَ). رواه مسلم في "صحيحه" (٣٦/١٨) ح (٧٢٨٢)، ك: الفتن وأشرطة الساعة، ب: لا تقوم الساعة حتى يمر والرجل بقبر الرجل. ومنها أن فتحها يكون على يد العرب لا التركمان ورد ذلك أيضاً في بعض الأحاديث. ومنها أيضاً أن الملحمة الكبرى تكون بين العرب والروم، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذين يفتحون القسطنطينية، ثم أنهى كلامه قائلاً بأن: "الفتح المراد بذكره لم يقع إلى الآن، وسيقع في آخر الزمان، عند خروج الدجال، ومن حمل ذلك على ما وقع في سنة سبع وخمسين وثمانمائة فقد أخطأ، وتكلف ما لا علم له به، والله أعلم". إتحاف الجماعة للتبويري (١/٣٢٢-٣٣٣).

(١) النهاية في الفتن (١/١٥٨) تحقيق د. طه زيني.

ثم ذكر حديث جابر - رضي الله عنه - قال: أخبرني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لَيْسَ رَاكِبٌ فِي جَنْبِ وَادِي الْمَدِينَةِ لَيَقُولَنَّ: لَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ مَرَّةً حَاضِرَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرًا) ^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «وروى عمرو بن شبة بإسناد صحيح عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - ^(٢) قال: (دخل رسول الله ﷺ المسجد، ثم نظر إلينا، فقال: أما والله ليدعنها أهلها مذلة أربعين عاماً للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع) ^(٣). ثم قال ابن حجر: « وهذا لم يقع قطعاً » ^(٤).

ويؤيد ذلك كون آخر من يُحشر يكون منها، ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (.. وَأَخْرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بَعْنَمَهُمَا، فَيَجِدَانِهَا

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٣٥/١) ح (١٢٥)، شرح وتعليق أحمد شاكر وقال: "إسناده صحيح، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦٩٠/٣) وقال: "رواه أحمد وإسناده حسن".
 (٢) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي. مختلف في كنيته قيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد، وقيل غير ذلك. قال الواقدي: "أسلم عام خيبر ونزل حمص". وقال غيره: "شهد الفتح، وكانت معه راية أشجع وسكن دمشق". وقال ابن سعد: "أخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء". مات سنة ثلاث وسبعين في خلافة عبد الملك. ينظر/ الإصابة (٦١٤/٤)، والاستيعاب (٣٩٨/٣).

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة، ما جاء فيها يخرج أهل المدينة (ص ٥٥).

(٤) الفتح (٥٧٥/٤).

وَحْشَاءً...^(١) أي خالية من الناس، أو أن الوحوش قد سكنتها، والله أعلم.

ويستخلص من أحاديث هذه المسألة وكلام الأئمة أن خراب المدينة وهجرانها يتعدد؛ ودليل ذلك حديث سفيان وجابر -رضي الله عنهما-، إضافة إلى أقوال أهل العلم فيما سبق عن خروج الناس من المدينة، وخرابها، إلا أن خروج الناس منها بالكلية يكون في آخر الزمان، بعد خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم -عليه السلام- كما دلت عليه الأحاديث^(٢)، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر؛ وهي الشام، وهي آخر أشرطة الساعة، وأول العلامات الدالة على قيام الساعة، فليس بعدها إلا الساعة^(٣).

(١) صحيح. سبق تخريجه قريباً.

(٢) كما في حديث الراعيان من مزينة اللذان يجداها وحشا.

(٣) عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: (اطَّلَعَ النَّبِيُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ. فَقَالَ: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذَّجَالَ، وَالذَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَثَلَاثَةَ حُسُوفٍ: حَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَحَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَحَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ. وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الِیَمَنِ، تَطْرُقُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ). صحيح مسلم (٣٢ / ١٨) ح (٧٢٣٤)، ك: الفتن وأشرطة الساعة،

ب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، وينظر / النهاية في الفتن (١/ ٣٣).

المبحث الثاني:

تحريم دخول المسيح الدجال المدينة المنورة، وأهمية العلم
بالإيمان في العصمة من فتنته.

نظراً للأحاديث الصحيحة الصريحة الثابتة ذهب جميع أهل السنة^(١)

(١) يُراد بلفظ أهل السنة أحد معنيين:

١- المعنى الأعم: ويُراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة.

٢- المعنى الأخص: ويُراد به أهل الحديث والسنة المحضة وأهل الأثر، فلا يدخل إلا من أثبت صفات الله -تعالى- ويقول: أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويشب القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة. فيخرج الأشعرية والماتريدية والصوفية والمعتزلة والخوارج، وغيرهم من أهل الأهواء.

والثاني هو المعنى الأكثر والأشهر. يُنظر/ منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ٢٢١)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧١).

ويُطلق على أهل السنة الجماعة؛ والمراد بهم الصحابة وتابعوهم بإحسان ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين، وقد لحظ فيه اجتماعهم على الحق المدلول عليه من الكتاب والسنة، كما أنه لحظ فيه اجتماعهم حول أئمة العدل من المسلمين، مع قيامهم بحق النصيحة لهم، والجهاد معهم، والانضواء تحت لوائهم، وإن جاروا، كما قال ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ)، [رواه البيهقي في "الشعب" (٧/ ٥٨٧)، وذكره السيوطي في "جامع المسانيد" (٤/ ٧٥٦) وعزاه لابن مردويه، والبيهقي في "الشعب"، وبنحوه أحمد في "مُسْنَدُهُ" (١/ ١٨-٢٦)، والترمذي في "سُنَنُهُ" ح (٢١٦٥)، ك: الفتن، ب: ما جاء في لزوم الجماعة، وقال: "هذا حديث حسنٌ صحيحٌ غريب"، وابسن أبي عاصم في "السنة" (١/ ٤٢) من عدة طرق وصححه الألباني].

وهي الفرقة الناجية كما وصفها ﷺ عندما سُئِلَ من الفرقة الناجية فقال: (هي الجماعة).

يُنظر/ سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٤٥٩٧)، والصحيحة للألباني ح (٢٠٤).

من المحدثين والفقهاء والمفسرين إلى الإيمان بخروج الدجال^(١).
 وخروجه من الأشرطة العظام المؤذنة بقيام الساعة^(٢).

وبذا يظهر أن معنى أهل السنة والجماعة لا بدّ فيه من أربعة أمور هي:

- ١- الإقتداء بالرّسول ﷺ وصحابته الكرام.
- ٢- الاجتماع على الحق المدلول عليه بالكتاب والسنة.
- ٣- الالتفاف حول أولياء أمور المسلمين.
- ٤- المنهج المتبع في العلم والعمل وهو دين الله الذي جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم وثبت عليه أصحابه -رضوان الله عليهم- وأئمة التابعين وتابعيهم من بعدهم، وعليه فأهل السنة والجماعة معناه: المقتدون بالرّسول صلى الله عليه وسلم مجتمعين عليه غير متفرقين فيه تحت لواء إمام واحد يطبق شرعة الله، ويحمي دولته على هدى من كتاب الله وسنة رّسوله ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً.

يُنظر: مسج (٣/ ٣٤١)، و(٢٢/ ٦٥٨)، والوصية الكبرى (ص ٤٥)، والاعتصام للشّاطبي (٢/ ٢٦٠-٣٦٥)، والفتح (١٣/ ٤٠-٤١)، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان ضميرية (ص ١٤٧-١٤٨)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٢٥-٣١).
 ويُطلق عليهم أيضاً أهل الحديث، والسواد الأعظم، والفرقة المنصورة، والغرباء.
 ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ١٠٦)، ومسج (٣/ ٩٥)، والفتح (١٣/ ٣٧).

- (١) ينظر / شرح النووي (١٨/ ٥٨)، وفتح الباري (١٣/ ٩٢)، والتذكرة (ص ٧٧٨).
- (٢) أورده البرزنجي في القسم الثالث الذي خصصه للأشراط العظام. ينظر: الإشاعة (ص ١٢٢)، وأيضاً لوامع الأنوار (٢/ ٨٢)، والإذاعة (ص ١٥١).

وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج^(١) والجهمية^(٢) وبعض المعتزلة^(٣) خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه؛ ومأخذهم في ذلك إنكار حديث الآحاد أن تثبت به العقيدة، ذكر ذلك

(١) الخوارج: من أقدم الفرق الإسلامية، ظهرت عام ٣٧هـ بعد توقف القتال في صفين، بدأت دعواهم بقولهم: إن بيعة علي صحيحة باتفاق الأمة، فما كان له أن يلجأ إلى التحكيم بينه وبين معاوية -رضي الله عنهما- واحتكم إلى الرجال، ولم يحتكم إلى القرآن و(خرجوا) على جيش علي، وعرفوا بالحرورية نسبة إلى قرية قرب الكوفة، وعرفوا باسم المحكمة الأولى. من زعمائهم عبد الله الراسبي. هزمهم علي -رضي الله عنه- بالنهروان، وكانوا مصدر خطر على الدولة الأموية، وانتشروا في الأهواز واليمن وسلطنة عُمان والشمال الأفريقي. الملل والنحل (ص ٩٢)، والقاموس الإسلامي (٢/ ٢٩٢)، وموسوعة الفرق الإسلامية د. محمد مشكور (ص ٢٣٨).

(٢) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان الراسبي، أبو محرز (١٢٨هـ - ٧٤٥م)، نشأ بسمرقند، ودعا إلى مذهبه في ترمذ، وهو من الجبرية الخالصة، اتصل بسريح بن الحارث الذي ثار على الخليفة هشام بن عبد الملك، فقبض عليه نصر بن سيار وقتل، وصفه الذهبي بالضال المبتدع. اعتقدت الجهمية: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور على أفعاله. القاموس الإسلامي (١/ ٦٤٨)، وموسوعة الفرق (ص ١٩٨).

(٣) المعتزلة: مدرسة علم الكلام في الإسلام، أسسها واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، أخذت تسميتها عقب اعتزالهما حلقة الحسن البصري، لما خالفاه بالقول بأنه مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ولكنه فاسق في منزلة بين المنزلتين. وقالت المعتزلة: القرآن (كلام الله) مخلوق وقديم، واختلفوا في فروع منها الإمامة، هل هي نص أم اختيار؟ فبلغ عدد فروعها اثنتين وعشرين فرقة. الفصل لابن حزم (٤/ ١٩٢)، والملل للشهرستاني (ص ٣٤)، وموسوعة الفرق (ص ٤٧٤).

عنهم القرطبي والنووي وابن كثير وابن حجر^(١)، هذا بالنسبة للمتقدمين، ووجد من المتأخرين أيضاً من ينكر الدجال وخروجه، ويرد الأحاديث الواردة فيه، أو يحاول التشكيك فيها^(٢)، ومنهم في هذا الزمان الحديث (العصرانيون العقلانيون)؛ لئلا يوصفوا من قبل النخب العلمانية بأنهم خرافيون، فأرادوا التوفيق بين إثبات النصوص ومسايرة العصرية العقلانية، وغالباً ما تكون دعواهم فيه أن المسيح الدجال هو السياسية الدولية المعاصرة، الكاذبة الخادعة، ويدعي بعضهم أن الدجال كناية عن استشرء الشر والفتنة والفساد، فأما من أنكروه لكونه من خبر الآحاد فهذا القول مردود؛ فإن الحديث إذا ثبتت صحته برواية الثقات، ووصل إلينا بطريق صحيح؛ فإنه يجب الإيثار به، وتصديقه؛ سواء كان خبراً متواتراً أم أحاداً، وإنه يوجب العلم اليقيني، وهذا هو مذهب أهل السنة. قال ابن حجر: «وقد شاع فاشياً عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد، من غير نكير، فافتضى الاتفاق منهم على القبول»^(٣). و«خبر الواحد إذ تعلقته الأمة بالقبول عملاً به، وتصديقاً له؛ يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»^(٤). وسأل

(١) ينظر / شرح النووي (٥٨/١٨)، والتذكرة (ص٧٧٨)، والنهاية لابن كثير (١/١٦٤)، وفتح الباري (١٠٥/١٣).

(٢) ينظر/ السنن للداني تحقيق د. المباركفوري (٥/١١٨٦-١١٨٩).

(٣) الفتح (١٥١/١٥).

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٩٩-٤٠٠).

رجل الإمام الشافعي عن مسألة فقال: «قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله! أتراني في بيعة؟! ترى على وسطي زُنَّارًا؟! أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول قال النبي ﷺ وتقول لي: أتقول بهذا؟ نَعَمْ أَقُولُ بِهِ»^(١). فلم يفرق بين خبر الواحد والخبر المتواتر، ولم يفرق بين ما كان إخباراً بعقيدة، وما كان إخباراً بأمر عملي، وإنما المدار كله على صحة الحديث^(٢).

ويرد على ما ذهب إليه العصرانيون في الوقت الحاضر بأن الأحاديث صريحة في أن الدجال رجل بعينه، وليس هناك ما يدل على أنه رمز للخرافات والدجل والباطل، ولم يكن هناك اختلاف ولا تعارض بين الروايات؛ إذ أن أول ما يخرج الدجال من أصبهان من جهة خراسان، وكلها من جهة المشرق، حتى من حيث مكان ظهورها، لم يكن هناك ما يدعو إلى ما ذهبوا إليه، ولا سيما مع ما جاء في صفاته التي نبهت عليها الأحاديث، والتي تدل على ارتكاب تجوز لا داعي له على أنه شخص بعينه. وقد حذرت الأنبياء -صلوات الله عليهم أجمعين- من فتنة الدجال، ونبهوا على نقصه، ودلائل إبطال دعواه، وبيان كذبه، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به، ولا يخدعون لما معه، لما ذكر من الأدلة المكذبة له، مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه، (ما ازددت فيك

(١) أعلام الموقعين لابن القيم (١/٥٩٨). وينظر / الرسالة للشافعي (ص ٤٠١).

(٢) ينظر/ لمزيد من التوسع / مجموع الفتاوى (١٩/٨٥)، ومختصر-الصواعق لابن القيم

(٢/ ٣٦١-٣٦٢)، ورسالة في وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة للألباني (ص ٦-٧).

إلا بصيرة^(١) (٢). وأما قولهم بأن المسيح الدجال هو السياسية الدولية المعاصرة فهذا من التأويل الباطل وتحريف الكلام عن مواضعه^(٣).

المطلب الأول: تحريم دخول المسيح الدجال المدينة المنورة

حرم على الدجال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان؛ لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وأما سوى ذلك من البلدان؛ فإن الدجال سيدخلها واحداً بعد الآخر. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ وَلَا الدَّجَالُ)^(٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ. هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ. حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أَحَدٍ^(٦). ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ

(١) سيأتي تحريجه قريباً.

(٢) ينظر / شرح النووي (١٨/٥٨-٥٩)، والتذكرة (ص ٥٥٣)، والفتح (١٣/١١٣).

(٣) ينظر / إتخاف الجماعة (٣/٨٦-٨٧)، وأشرطة الساعة لخال الغامدي (٢/٥١٤-٥١٦).

(٤) جمع مفردة نقب، وعند بعضهم: "نقاب" وهو أيضاً جمع، قال الحافظ ابن حجر - نقلاً عن ابن وهب -: " والمراد بها المداخل، وقيل الأبواب، وأصل النقب: الطريق بين الجبلين، وقيل: الأنتاب الطرق التي يسلكها الناس ". الفتح (٤/٩٦)، وينظر / النهاية (٥/٢٠١).

(٥) متفق عليه. رواه البخاري في "صحيحه" (٢/٦٦٤) ح (١٨٥٩)، ك: فضائل المدينة، ب: لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم في "صحيحه" (٩/١٢٨) ح (٣٣٠٤)، ك: الحج، ب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها.

(٦) قالت لجنة تحديد حدود حرم المدينة في تقريرها: وصلت اللجنة إلى جبل ثور، ويقع خلف أحد من الشمال الشرقي... إلى أن قالت: وتقرر أن تبدأ الحدود، من طرف عير الجنوبي الشرقي، مدخلة سد بطحان ومذيئيب، وتتقاد بتر متواصلة مع وسط الحرة، بعد كل ثلاثة كيلوات بتر

وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ. وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ) (١).

وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (فَيَأْتِي سَبْحَةَ الْجُرْفِ (٢) فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ (٣). وَقَالَ: فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ) (٤).

وعن مُحَمَّدِ بْنِ الْأَدْرَعِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (خطب الناس وقال: يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟ يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ)

كبيرة ملوثة، يكتب عليها حد الحرم، إلى أن تصل جبل ثور من الشمال الشرقي، مخرجة جبل وغيره، ومدخلة جميع جبل أحد، والخزان الذي حوله، والمصانع وما حولها من البساتين، ومنطقة العريض والعوافي وقربان، إلى امتداد سد بطحان، حتى يجاذي طرف غير من الشرق. فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥/ ٢١١).

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٩/ ١٢٩) ح (٣٣٠٥)، ك: الحج، ب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها.

(٢) سبخة الجرف: السبخة: أرض ذات ملح، والغالب على أرضي المدينة ذلك ولكن أشدها يقع شمالها. معجم البلدان (٣/ ١٨٣)، وأطلس الحديث (ص ٢١٢). والجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة المنورة نحو الشام، وهي الآن حي من أحيائها متصل بها، به أموال لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ولأهل المدينة المنورة، وفيه يمر جشم وبئر بجل، والجرف: ما جرفته السيول فأكلته من الأرض. معجم البلدان (٢/ ١٢٨)، وأطلس الحديث (١١٨). وفي الوقت الحاضر زحف العمران إلى الجرف وتقلصت المزارع والبساتين حتى لتكاد تختفي نهائياً وقد همت الدولة البساتين التي فيها بئر رومة وجعلتها مزرعة تجريبية قال الدكتور محمد إلياس في كتابه تاريخ المدينة (ص ٧٧): "وتجدر الإشارة إلى أن جزءاً من الجرف داخل الحرم المدني وجزءاً منه خارج عنه كما يبدو من الأعلام التي وضعتها اللجنة السعودية المختصة في عام ١٤٢٤ هـ.

<http://www.ahlalhdeth.com>

(٣) رواقه: أي ينزل ويعسكر هناك. ينظر / لسان العرب (٣/ ٥٢).

(٤) رواه مسلم في "صحيحه" (١٨/ ٦٧) ح (٧٣٤٠)، ك: الفتن وأشرطة الساعة، ب: قصة الجساسة.

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ الْأَدْرَعِ الْأَسْلَمِيُّ يعد في البصريين، من بني سهم، قديم الإسلام، وهو الذي خط مسجد أهل البصرة، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها في خلافة معاوية. الإصابة (٥/ ٥٧٨)، والاستيعاب (٢/ ٤١٨).

الخلاص؟ يومُ الخلاصِ، وما يومُ الخلاصِ؟ - ثلاثاً - فقيل له: وما يومُ الخلاصِ؟ قال: يَجِيءُ الدَّجَالُ فَيَضَعُهُ أَحَدًا، فَيَنْظُرُ المدينةَ، فيقولُ لأصحابِهِ: أَتَرُونَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ؟ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ، ثُمَّ يَأْتِي المدينةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصَلِّيًا^(١)، فَيَأْتِي سَبْحَةَ الْجُرْفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ المدينةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ^(٢) فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ^(٣)، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخِلاصِ^(٤).

(١) أي مجرداً، يقال: أصلت السيف إذا جرده من غمده، وضربه بالسيف صلنا صلنا. ينظر: النهاية (٤٥/٣). وهنا ترد مسألة الجمع بين قوله: (تلقاه بكل نقب منها ملك مصلتا) وقوله: (على كل نقب منها ملكان). قال ابن العربي: "يجمع بينهما أن سيف إحداهما مسلول والآخر بخلافه". فتح الباري (١٣/١٠٠).

(٢) الرجف: الحركة والاضطراب كما في "النهاية" لابن الأثير (٢/٢٠٢)، وذكر ابن كثير في "النهاية في الفتن" (١/١٧٢) قولين في معناها: أحدهما: أنها تكون حسية. والثاني: أنها تكون معنوية. ذكرهما دون عزو، ويبدو أن ابن حجر اختار الثاني؛ إذ قال: "المراد بالرجفة الإرفاق: وهو إشاعة مجيئه، وأنه لا طاقة لأحد به". فتح الباري (١٣/٩٤). قلت: ليس هناك مانع من إطلاق الرجفة على معناها الحقيقي، فلا ينبغي أن يصار إلى التأويل، والله أعلم.

(٣) مسألة رجف المدينة، وخروج المنافقين، واتباعهم للدجال؛ قال فيها الحافظ ابن حجر: "والمراد بالرجفة؛ الإرفاق، وهو إشاعة مجيئه، وأنه لا طاقة لأحد به، فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق، فيظهر حينئذ تمام أنها تنفي خبثها". فتح الباري (١٣/١٠٠). قلت: وهذا تأويل مرجوح، والمراد بالرجفة الزلزلة بعد الأخرى؛ لإخراج المنافقين والكافرين، وقد فسرها الحافظ ابن حجر في موضع آخر بهذا المعنى الراجح فقال: "وفي قوله: (ثم ترجف المدينة) أي يحصل بها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه، ويبقى فيها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال". فتح الباري (٤/١١٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٥/٤٤٥) ح (١٨٦٢٠)، والحاكم في "مستدرکه" (٣/٦٦٣) ح (٨٦٧٨)، وقال: "حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/٦٦١) وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

وفي قصة تميم الداري - رضي الله عنه -^(١) مع الدجال والجماسة^(٢):
 أن الدجال قال لتميم وأصحابه: (... وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ،
 وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ يُؤَذَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجُ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدْعُ قَرْيَةً
 إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهِيَ مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ، كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا
 أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً، أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا، اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا،
 يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَيَّ كُلَّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ^(٣): قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ، وَطَعَنَ بِمُخَصَّرَتِهِ^(٤) فِي الْمُنْبَرِ هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ،
 يَعْنِي الْمَدِينَةَ أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟

فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ
 أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ

(١) هو صاحبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو رَقِيَّةَ، تَمِيمُ بْنُ أَوْسِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سُودِ بْنِ جَذِيمَةَ اللَّخْمِيَّ،
 الْفِلَسْطِينِيَّ. وَالِدَاؤُهُ: بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ، وَلَحْمٌ: فَخَذٌ مِنْ بَعْرَبِ بْنِ قَحْطَانَ. "وَقَدْ تَمِيمُ الدَّارِيُّ سَنَةَ
 تِسْعٍ، فَأَسْلَمَ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ عِثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.
 الاستيعاب (١/ ٢٦٩)، والسير (٤/ ٨٢).

(٢) دَابَّةٌ تَكُونُ فِي الْجَزَائِرِ، تُجَسُّ الْأَخْبَارَ، فَتَأْتِي بِهَا الدَّجَالَ. يَنْظُرُ / الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ لِلْفِرُوزِ أِبَادِي
 (٢/ ٥٥)، وَالنِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (١/ ٢٧٢)، وَشَرْحُ النَّوَوِيِّ (١٨/ ٧٨).

(٣) هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -.

(٤) الْمُخَصَّرَةُ: مَا يُخَصَّرُهُ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ فَيُمْسِكُهُ مِنْ عَصَا، أَوْ عُكَّازَةٍ، أَوْ مِقْرَعَةٍ، أَوْ قَضِيبٍ، وَقَدْ
 يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ.

النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ (٢/ ٥٥).

مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ،
وَأَوْ مَا بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ.

قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (١).

يستخلص من كل ما سبق أن المسيح الدجال يخرج من جهة المشرق،
وتحديداً من خراسان (٢)، من يهودية أصبهان (٣)، ثم يسير في الأرض، فلا
يترك بلداً إلا دخله إلا مكة والمدينة، فلا يستطيع دخولهما؛ لأن الملائكة
تحرسهما.

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٦٣/١٨) ح (٧٣٣٥)، ك: الفتن وأشرطة الساعة، ب: قصة
الجلساسة من حديث عامر بن شراحيل الشَّعْبِيُّ، شَعْبُ هَمْدَانَ أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتِ
الصَّحَّاحِ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى. فَقَالَ: حَدَّثَنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ... الحديث.

(٢) خراسان: أقصى شمال شرق إيران حالياً (مركزها مدينة مشهد)، أهم مدنها نيسابور وهراة
ومرو (وهي حاضرتها القديمة)، وبلخ وطالقان، ونسا، وأبيورد، وسرخس، وطوس. وما
يتخلل من المدن التي دون نهر جيحون، واليوم قسم منها في شمال شرق إيران، وقسم في
أفغانستان الشمالية الغربية، وتركمانستان، وفيها (مرو) المدينة الشهيرة في فتوح ما وراء النهر.
الروض المعطار (ص ١١٤)، ومعجم البلدان (٣٠٥/٢)، وأطلس الحديث (١٦٠). وينظر عن
حديث خروج الدجال من جهة المشرق من خراسان / جامع الترمذي - مع تحفة الأحوزي -
(٦/٤٩٥)، وقال الألباني في "صحيح الجامع" (٣/١٥٠) ح (٣٣٩٨): "صحيح".

(٣) أصبهان أو أصفهان: أسباهان: رامهرمز. ورمهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان
(عربستان)، بلد سلمان الفارسي - رضي الله عنه - ومنها بدأت رحلته التي انتهت بالمدينة المنورة.
معجم البلدان (٣/٧١)، وأطلس الحديث (ص ٤٤). وينظر عن خروج الدجال من جهة
يهودية أصبهان / الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد (٧٣/٢٤)، وقال ابن حجر في "الفتح"
(١٣/٣٢٨): "صحيح".

قال ابن حجر: «وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزماً»^(١).

وقال ابن كثير: «فيكون ظهوره من أصبهان، من حارة يقال لها: اليهودية»^(٢).

وحين ينزل وراء أحد في السباخ التي هناك، يضرب رواقه -أو قبهته- في السبخة التي خلف أحد، في آخر الصادقية^(٣) شمالي ثور^(٤)، وفي هذه البقعة جيبيلات صغار حمر، تذكر من يراها قول النبي ﷺ.

وقد ثبت أيضاً أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى.

(١) الفتح (٩١/١٣).

(٢) النهاية في الفتن تحقيق د. طه زيني (١٢٨/١).

(٣) الصادقية: اليوم هي اسم لستان يقع في السبخة التي خلف أحد قريب من مبنى مصلحة الصرف الصحي

(٤) ثور حدّها من الجهة الشمالية إلى الشرق، وثور اختلّف فيه على أقوال، فهناك قولان، هما أشهر الأقوال الواردة وأقواها وأصحّها؛ إمّا أن يكون الجبل الصغير الأحمر المدوّر الذي خلف جبل أحد، وهو جبل معروف عند أهل المدينة، خلف جبل أحد، وأشار إليه الحافظ ابن حجر، وأشار إلى هذا السهمودي في كتابه النفيس وفاء الوفاء، فيبين أنه هذا الجبل، وهناك قول ثاني: أنه الجبل الذي يسمّى بـ (جبل الخزان)، وهو على طريق المطار القديم إذا انتهى جبل أحد، وأنت خارج من المدينة إلى المطار، يكون أحد عن يسارك، وهذا الجبل عن يمينك، أخذ الطريق طرف هذا الجبل يسمّى بجبل الخزان، وهذا الجبل هو الذي تنطبق عليه الصفات أنه جبل ثور.

روى الإمام أحمد عن جُنادة بن أبي أمية ^(١) قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يذكر عن الدجال، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أُنذِرُكُمْ الدَّجَالَ - ثلاثاً - فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا أَنْذَرَهُ، وَإِنَّهُ فِيكُمْ أَيُّهَا الْأُمَّةُ، وَإِنَّهُ جَعَدٌ ^(٢) آدَمُ ^(٣) مَسُوحِ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَمَهْرٌ مِنْ مَاءٍ، وَإِنَّهُ يُمَطِّرُ الْمَطَرَ، وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَ، وَإِنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا، وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ يَمُكْتُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يُبْلَغُ كُلُّ مَنْهَلٍ ^(٤) لَا يَقْرُبُ أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ،

(١) جُنَادَةَ بن أبي أمية الأَزْدِي، الزَّهْرَانِي، ويقال: الدَّوْسِي. أبو عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِي، نزل مصر، وعقبة بالكوفة، واسم أبي أمية كثير، قاله البخاري،. مختلف في صحبته. ثقة، صاحب غزو. قيل: مات سنة ست وثمانين، وقيل: سنة خمس وسبعين.

روى له الجماعة. تهذيب التهذيب لابن حجر (٤١٣/١)، وتهذيب الكمال للمزي (٤٥٢/٣).

(٢) جعد: الجعد من الشعر، خلاف السبط، أو هو القصير منه. تاج العروس (٣٢٠/٢).

(٣) آدم: الأدمة، باطن الجلد التي تلي اللحم والبشرة ظاهرها. تاج العروس (٩/١٦)، وقيل: أنها مشتقة من رجل آدم بين الأدمة، وهي شمرة كدرة. الاشتقاق لابن دريد (ص ٩٦).

(٤) المنهل من المياه كل ما يطؤه الطريق، وما كان على غير الطريق لا يدعى منهلاً، ولكن يضاف إلى موضعه، أو إلى من هو مختص به، فيقال: منهل بني فلان: أي مشربهم وموضع نهلهم. النهاية في

غريب الحديث (١٣٨/٥).

وَمَسْجِدَ الطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأُقْصَى، وَمَا شَبَّهَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ رَبَّكُمْ - عَزَّ وَجَلَّ - لَيْسَ أَعْوَرَ^(١).

وأما ما ورد في الصحيحين^(٢) عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ: الْمَسِيحَ الدَّجَالَ. فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ^(٣)).

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ آدَمِ الرَّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَتِهِ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعْرَ، يَقَطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعَا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده " (٦/٦٠٥) ح (٢٣٣٠٠)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/٦٥٩) وقال: " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ". وقال ابن حجر: "رجاله ثقات".

الفتح (١٠٥:١٣)، وذكره الألباني في "الصحيحة" (٦/١٠٤٦) ح (٢٩٣٤)، وصححه.

(٢) صحيح البخاري (٣/١٢٦٩) ح (٣٣٦٧)، ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله ﴿وَأذْكُرْ فِي

الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم، جزء من الآية: ١٦)، وصحيح مسلم

(٢/١٩٠) ح (٣٨٠)، ك: الإيمان، ب: ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال.

(٣) عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ بتحتية بعد الفاء، أي بارزة، من طفا الشيء يطفو بغير همز، وهي الحبة التي قد

خَرَجَتْ عَنْ حِدِّ نَبْتِهَا أَحْوَانَهَا، فَظَهَرَتْ مِنْ بَيْنِهَا وَارْتَفَعَتْ. وقيل: أَرَادَ بِهِ الْحَبَّةَ الطَّافِيَةَ عَلَى وَجْهِ

الماء، شَبَّهَ عَيْنَهُ بِهَا. والله أعلم. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٥٤)، والفاثق (٢/٣٠٤).

جَعَدًا قَطَطًا^(١)، أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَشْبِهِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِأَبْنِ قَطْنٍ،
وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا:
هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ^(٢).

فهذا إشكال؛ إذ أن الدجال محرم عليه دخول مكة والمدينة، وقد
أجاب النووي بـ: «أن هذا رؤيا منام؛ إذا قد ورد في الصحيح، أنه لا يدخل
مكة والمدينة، وقد يقال هنا أن تحريم دخول المدينة عليه إنما هو في فتنة، والله
أعلم»^(٣)، وهذا الرأي الأخير هو ما مال إليه ابن حجر؛ إذا قال: «إن منع
الدجال من دخول مكة والمدينة إنما يكون عند خروجه في آخر الزمان، والله
أعلم»^(٤).

(١) قططا: بفتح القاف والمهملة بعدها مثلها هذا هو المشهور، وقد تكسر الطاء الأولى، والمراد به
شدة جعودة الشعر، ويطلق في وصف الرجل ويراد به الذم يقال: جعد اليدين وجعد الأصابع
أي بخيل، ويطلق على القصير أيضاً، وأما إذا أطلق في الشعر فيحتمل الذم والمدح. الفتح
(١٤٦/٧).

(٢) فائدة ما ورد في هذا الحديث من أن الدجال كان خلف المسيح ابن مريم في الطواف هو ما قاله
صاحب النظر الفسيح، (ص ١٤٩): "وتمثيل الطواف بالبيت، مع أحوال الدجال في رؤيا
النبى؛ يمكن أن يكون تمثيلاً؛ لتدجيل الدجال، وتظاهرة بخلاف باطن حاله، وأما وضع يده
على منكبي رجل واحد، فلعله تمثيل لتمويهه بأنه المسيح ابن مريم، فمثل ذلك في شبه الحالة التي
رؤي عليها عيسى -عليه السلام- في تلك الرؤيا...".

(٣) شرح النووي (٢/٢٣٤).

(٤) الفتح (٦/٤٨٨-٤٨٩).

المطلب الثاني: أهمية العلم بالإيمان في العصمة من فتنته:

العلم الشرعي مع الإيمان بالله - تعالى - سلاح في وجه كل فتنة، ومن ذلك فتنة الدجال، وقد ذكر النبي ﷺ في قصة مواجهة شاب مؤمن بطل من أهل المدينة للدجال ما يبيّن لنا أهمية العلم بالإيمان في العصمة من الفتن.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: حدّثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدّثنا به أن قال: (يأتي الدجال - وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة - ينزل بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدّثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرايت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشدّ بصيرةً مني اليوم، فيقول الدجال: أقتله فلا أسلط عليه) (١).

وفي رواية عن النّوّاس بن سمعان - مرفوعاً - (٢): (... ثم يدعوا رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطع جزلتين رمية الغرض (٣)، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك ...) (٤).

(١) رواه البخاري في "صحيحه" (٦٦٤ / ٢) ح (١٨٦١)، ك: فضائل المدينة، ب: لا يدخل الدجال المدينة.

(٢) نّوّاس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قُرط بن عبد الله العامري الكلابي، معدود في الشاميين. يقال: إن أباه «سمعان بن خالد» وفد على النبي ﷺ، فدعاه، وأهدى إلى النبي ﷺ نعلين، وقبلهما. وزوجه أخته فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه، فتركها وهي الكلابية. أسد الغابة (٤ / ٢٦٠)، والاستيعاب (٤ / ٩٢).

(٣) رمية الغرض: أي يقطعه نصفين جزئين، وتتفرق القطعتان من قوة الضربة، حتى إن مسافة ما بين القطعتين رمية السهم. هذا هو الظاهر المشهور. شرح النووي (٤٧ / ١٨).

(٤) رواه مسلم في "صحيحه" (٥١ / ١٨) ح (٧٣٢٢)، ك: الفتن وأشرطة الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه.

وفي رواية أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ، مَسَالِحُ الدَّجَالِ^(١))، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءُ^(٢))، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ مَهَّأَكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيَشَبِّحُ^(٣))، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُوهُ^(٤))، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤَسَّرُ بِالْمِشَارِ^(٥))؛ مِنْ مَفْرَقِهِ^(٦)) حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا

(١) مَسَالِحُ الدَّجَالِ، جمع مسلحة، والمسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسموا بذلك؛ لحملهم السلاح. والمقصود بهم في الحديث هم حراسه وأعدائه. ينظر / النهاية في غريب الحديث (٢/٣٨٨).

(٢) أي لو نظرت إلى الدجال سأعرفه من صفاته أنه الدجال.

(٣) فَيَشَبِّحُ: الشبوح: مدك للشيء بين أوتاد كالجلد، وتشبوح الشيء جعله عرضاً. مجمع بحار الأنوار (٣/١٧٠-١٧١).

(٤) شُجُوهُ: الشجاج: جراحات الوجه والرأس. ينظر / المغني في الأنباء (١/٥٨٣).

(٥) فيؤمر بالمنشار: يقال أشرت الخشبة إشراً، ورشرتها إشراً، إذا شقققتها مثل نشرتها بالمنشار. ينظر / مجمع بحار الأنوار (١/٦٠).

(٦) أي يضع المشار في مفرق رأسه، وهو وسطه، ثم يشقه حتى يصل إلى أسفله، ثم يمشي الدجال مفتخراً بين القطعتين •

ازدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرَ قُوَّتِهِ ^(١) نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَذْفُهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ ^(٢).

هذا الحديث يدل على أهمية تعلم العلم الشرعي، فإن هذا الشاب لولا أن عنده علماً مسبقاً بصفة الدجال عندما اكتشف أنه الدجال؛ لذلك على كل من يواجه أهل الباطل أن يتسلح بالعلم.

وقد تأكد هذا الشاب أن هذا هو الدجال، وأنه لن يفعل هذا القتل بغيره؛ لأن الشاب طالب علم قد قرأ الحديث، وعلم أنه الشاب المقصود به ^(٣).

وفي قوله: (فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ) هل لهذا حقيقة، أم هو خداع، وتمويه، وشعوذة، وسحر، بلا حقائق؟

قال القاضي عياض: «في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة؛ في صحة وجود الدجال، وأنه شخص معين، يبتلي الله به العباد، ويقدره على أشياء؛ كإحياء الميت الذي يقتله، وظهور الخصب، والأنهار، والجنة والنار، وإتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وكل ذلك بمشيئة

(١) الترقوة هي: العظمة البارزة بين ثغرة النحر والعاتق. النهاية في غريب الحديث (٣/١٨٧).

(٢) رواه مسلم في "صحيحه" (٥٨/١٨) ح (٧٣٢٦)، كالفتن وأشرطة الساعة، ب: في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحيائه.

(٣) نهاية العالم د. محمد العريفي (ص ٢٥٦).

الله، ثم يعجزه الله؛ فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ثم يبطل أمره، ويقتله عيسى ابن مريم»^(١).

وقال المازري^(٢): «إن قيل إظهار المعجزة على يد الكذاب ليس بممكن، وكيف ظهرت هذه الخوارق للعادة على يده؟

فالجواب؛ أنه إنما يدعي الربوبية، وأدلة الحدوث تخل ما ادعاه وتكذبه، وأما النبي فإنما يدعي النبوة، وليست مستحيلة في البشر، فإذا أتى بدليل لم يعارضه شيء صدق. وأما قول الدجال: (أرأيتم إن قتلتم هذا ثم أحييته أشكون في الأمر؟ فيقولون: لا) فقد يستشكل؛ لأن ما أظهره الدجال لا دلالة فيه؛ لربوبيته لظهور النقص عليه، ودلائل الحدوث، وتشويه الذات، وشهادة كذبه وكفره، المكتوبة بين عينيه وغير ذلك، ويجاب بنحو ما سبق في أول الباب؛ هو أنهم لعلمهم قالوا خوفاً منه، وتقية لا تصديقاً، ويحتمل أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك، فإن من شك في كذبه وكفره كفر، وخادعوه بهذه التورية خوفاً منه، ويحتمل أن الذين قالوا: لا نشك؛ هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله -تعالى- شقاوته»^(٣).

وقد ذكرت عدة أقوال في تحديد هذا الرجل المؤمن؛ منها:

(١) الفتح (١٤/٦١٤).

(٢) هو الإمام محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المالكي، مصنف المعلم بفوائد مسلم - ط، وغيره، كان متقناً بصيراً بعلم الحديث والطب، مات سنة ٥٣٦ هـ. ينظر / السير (٢٠/١٠٤).

(٣) المعلم للمازري (٢/٩٠)، ونقله النووي في "شرحه لصحيح مسلم" (١٨/٥٨).

أنه الخضر^(١) - عليه السلام -^(٢).

ومنها أنه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -^(٣).

وقيل: هو أحد أصحاب الكهف^(١).

(١) هو: صاحب موسى - عليه السلام -، اختلف في اسمه، ونسبه، ونُبوته، وقد قيل فيه أقوال كثيرة، قال ابن حجر في "الزهر النضر- في نبأ الخضر- (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) (١٩٨/٢): "كان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تحل من الزنادقة اعتقاد كون الخضر نبياً؛ لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي".

وقد وردت آثار ضعيفة وموضوعة في تعميده حتى يكذب الدجال، وتتبع ابن كثير في "قصص الأنبياء" (ص ٤٥٩-٤٦٠) الأخبار الواردة في حياته، ثم قال: "وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته. وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات الواردة لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد، وما كان منها صحيحاً فهو عن غير معصوم، وذهب جماهير العلماء إلى أنه مات، منهم البخاري وإبراهيم الحربي، وألف ابن الجوزي كتاب: "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر" ونصوص الكتاب والسنة تدل على موته". ويوجد في بعض بلدان العالم الإسلامي مشاهد يدعون أنها للخضر.

ينظر/ مج (٢٧/١٠٠-١٢٠)، وفوائد حديثية لابن القيم (ص ٨١)، تح / مشهور بن حسن، والبداية والنهاية (١/٢٣٥)، وما بعدها، والزهر النضر- (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) (١٩٥/٢)، والخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة لأحمد الحمصي، وشبهات التصوف لعمر قريشي (ص ١٧٥) وما بعدها، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصديق سليم صادق (ص ٤٦٥) وما بعدها، وغيرها كثير.

(٢) ينظر: النهاية لابن كثير (١/١٦٩). وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٤/٦١٤): "وهذه دعوى لا برهان لها".

(٣) ورد ذلك من قول أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عند أبي يعلى. ينظر / مسند أبي يعلى (٢/٥٣٤)، والفتح (١٣/١٠٤).

والصواب فيما يبدو لي - والله أعلم - أنه يحسن السكوت في مثل هذا؛ لأنه لم يرد فيه نص صريح ثابت عن النبي ﷺ.

هذا وقد ذكرت أحد طرق الوقاية من فتنة الدجال، إلا أن هناك بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ أمته؛ لننجو من هذه الفتنة العظيمة منها:

(١) التمسك بالإسلام، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله -تعالى- منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه؛ مؤمنهم وكافرهم^(٢).

(٢) التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة^(٣).

(٣) حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها إلى آخرها. وهذا لما في أولها من العجائب لمن تدبرها،

(١) ذكره البرزنجي دون عزو. ينظر / الإشاعة (ص ١٣٣).

(٢) ينظر: صحيح البخاري - مع الفتح - (٣١٧/٢)، ك: الأذان، ب: الدعاء قبل السلام، وصحيح مسلم - مع شرح النووي - (٨٧/٥)، ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم.

(٣) صحيح البخاري - مع الفتح (١١/١٧٤)، ك: الدعوات، ب: التعوذ من عذاب القبر، وصحيح مسلم - مع شرح النووي - (٦٥/١٨)، ك: الفتن، ب: ذكر الدجال.

وهذا من خصوصيات هذه السورة، وقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها، وبخاصة في يوم الجمعة^(١).

٤) الفرار من الدجال، والابتعاد منه، والأفضل سكنى مكة والمدينة^(٢)، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يتعد منه؛ وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة، التي يجريها الله على يديه فتنة للناس، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال^(٣)، نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين.

(١) صحيح مسلم - مع شرح النووي - (٦/٩٢-٩٣)، ك: صلاة المسافرين، ب: فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، ومستدرك الحاكم (٢/٣٦٨)، و(٤/٥٣١).

(٢) ينظر: صحيح البخاري - مع الفتح - (١٣/١٠١) ك: الفتن، ب: لا يدخل الدجال المدينة.

(٣) ينظر: الفتح (١١/١٧٩)، وشرح النووي (٦/٩٣)، ولوامع الأنوار (٢/١٠٦-١٠٧)، ومجموع الفتاوى (٣٣٩٦)، وأشرطة الساعة للوابل (ص ٣٢٥-٣٣٠).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين. وبعد؛ فكان من أهم النتائج التي استخلصتها من هذا البحث ما يلي:

١- سيأتي زمان تكثر فيه الفتوحات، ويعم الرخاء في معظم أرجاء المعمورة، ويقدر الله أن يبقى في مدينة الرسول ﷺ شدة وقحط وخوف، وذلك ابتلاء وامتحان، فيتسابق ضعاف الإيوان وأصحاب الشرور إلى أماكن الترف والرخاء، حيث الفتوحات، ولا يبقى في المدينة إلا الأتقياء الصالحون، الصابرون على موعود الله -تعالى- ورسوله ﷺ، ويكون ذلك إيذاناً بقرب الساعة.

٢- تفاوتت أقوال العلماء عن الزمن الذي تنفي فيه المدينة المنورة شرارها.

٣- من خلال أقوال العلماء الكثيرة يتضح لنا أن المدينة -حرسها الله- ستبقى باقية، عامرة حتى أيام الدجال ونزول عيسى -عليه السلام-. وأما خروج الناس من المدينة المنورة بالكلية فإن هذا سيكون في آخر الزمان، عند خروج النار التي تحشر الناس، وتسوقهم من كل جانب، إلى محل الحشر (الشام)، وهذا آخر أشرطة الساعة، وأول العلامات الدالة على قيام الساعة، ويومها تصبح المدينة غير محمية ولا ممتنعة، فتنتابها السباع والوحوش؛ بسبب خلوها من الساكنين بها.

٤- خراب يثرب -وهي المدينة المنورة- هو رغبة الناس عن سكنها، وتوقف التوسع في مبانيها.

٥- مما أقدر الله عليه الدجال ليكون فتنة للناس، سرعة انتقاله في الأرض، وأنه سيجول في أقطار الأرض يدعو إلى الكفر والضلال، ولكن الله سيحول بينه وبين أن يدخل مكة والمدينة شرفهما الله.

٦- من فتن الدجال العظيمة قتله للشاب المؤمن، الذي يرفض بما عنده من العلم والعقيدة الراسخة- أن يعترف بألوهية المسيح الدجال، غير مبال بما يلحقه من الأذى والقتل في سبيل الله، وحتى بعد أن يحيه عدو الله الكذاب، ويهدده بالقتل ثانية إن لم يؤمن به، فيقول له باستعلاء وإيمان صادق: ((ما ازددت فيك إلا بصيرة)). وهذا كله سيكون في بعض السباخ التي بالمدينة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وعلى صحابته ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

١. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة،
للشيخ حمود التويجري، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٤هـ.
٢. البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء ابن كثير، دار الريان،
القاهرة، ١٤٠٨هـ.
٣. تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً لأحمد ياسين الخياري.
تعليق: عبید الله أمين كردي. مطابع دار العلم، ط ١ - ١٤١٠هـ -
١٩٩٠م.
٤. أطلس الحديث النبوي، للدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر،
سوريا، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٥. إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت.
٦. البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني،
مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي،
دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٨. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن
المباركفوري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٩. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث الأولى، القاهرة.
١٠. تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط ٤، ١٤١٢هـ.
١١. تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، مصر.
١٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبو الحجاج المزي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٣. جامع الصحيح، لمحمد بن عيسى الترمذي، دار الحديث، القاهرة.
١٤. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر.
١٥. جامع المسانيد، للسيوطي، دار الفكر، بيروت.
١٦. الخُصْرُ وآثاره بين الحقيقة والخرافة لأحمد الحمصي، دار النجاري، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق د. محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة.
١٨. الرسالة للإمام الشافعي تحقيق أحمد شاكر، مطابع المختار الإسلامية، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

١٩. رسالة في وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار العلم، بنها، مصر.
٢٠. الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، مطابع دار السراج، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠ م.
٢١. الزهر النضر في نبأ الخضر (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية).
٢٢. الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى، لبنان، ط ١، ١٣٢٨ هـ.
٢٣. السنة، للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي.
٢٤. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي، المكتبة الإسلامية، تركيا.
٢٥. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني تحقيق د. رضاء المباركفوري، دار العاصمة، ط ١ / ١٣١٦ هـ، وطبعة أخرى بتحقيق أبو عبد الله الشافعي، دار الفكر.
٢٦. السنن الكبرى، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣ هـ.

٢٧. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٣هـ، ٩.

٢٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

٢٩. الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ن دار صادر، بيروت.

٣٠. الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ.

٣١. صحيح البخاري تحقيق صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٣٢. صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استنبول.

٣٣. الإشاعة لأشراط الساعة: للسيد شريف محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، دار قتيبة، ١٤٠٩هـ.

٣٤. أشرطة الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين، جمعاً وتخریجاً وشرحاً، ودراسة لخالد بن ناصر بن سعيد الغامدي. دار الأندلس الخضراء - دار ابن حزم، جده، ط ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٥. أشرطة الساعة ليوسف الوابل. دار ابن الجوزي، الدمام، ط ٤، ١٤١٤هـ.

٣٦. شُبهات التصوف لعمُر قُرَيْشِيّ، مكتبة الرشد، الرياض.
٣٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدس، ١٣٥١هـ.
٣٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.
٣٩. شرح لصحيح مسلم للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت.
٤٠. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٤١. طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق علي بن محمد عمر، مكتبة وهبة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م.
٤٢. الفائق في غريب الحديث لجار الله بن عمر الزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وترتيب محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصي محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية، ٣، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
٤٤. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد عبد الرحمن البناء، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥. فقه اللغة للثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٦. فوائد حديثية لابن القيم، تحقيق مشهور بن حسن وإياد العنسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٦هـ.
٤٧. فيض القدير، للمناوي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٨. القاموس الإسلامي، لأحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٤٩. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
٥٠. لسان العرب، لجمال الدين محمد بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
٥١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للشيخ محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤١١هـ.
٥٢. مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، لمحمد طاهر الصديقي الهندي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٠هـ.
٥٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق عبد الله درويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
٥٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، دار عالم الكتب، بيروت.

٥٥. مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، للإمام ابن قيم الجوزية، اختصره الشيخ محمد بن الموصللي، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض

٥٦. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان ضميرية، مؤسسة الرسالة.

٥٧. المستدرك على الصحيحين، للحافظ محمد بن عبد الله الحاكم، دار المعرفة، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف د. سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ. وطبعة أخرى بتحقيق وشرح أحمد شاكر، دار الكتاب الإسلامي، مصر، ١٣٩٢هـ.

٥٩. مسند أبي يعلى الموصللي، للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق د. حسين أسد، دار المأمون، دمشق.

٦٠. مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦١. المصادر العامة للتلقي عند الصوفيّة، لصادق سليم صادق، دار الفكر، بيروت.

٦٢. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.

٦٣. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر، بيروت.

٦٤. منهاج السنة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدرية، لابن تيميّة تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكتاب العربي.

٦٥. موسوعة الفرق الإسلامية د. محمد جواد مشكور، تعريب علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م

٦٦. موقف ابن تيميّة من الأشاعرة، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.

٦٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين بن الأثير، دار الفكر، ١٣٠٠هـ.

٦٨. النهاية في الفتن والملاحم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، المكتب الثقافي، الأزهر، القاهرة.

٦٩. نهاية العالم أشرطة الساعة الصغرى والكبرى مع صور وخرائط وتوضيحات للدكتور محمد بن عبد الرحمن العريفي، دار التدمرية، الرياض، ط ٩، ١٤٣١هـ-٢٠١٠ م.

٧٠. الوصية الكبرى لأبي الحسن، علي بن أحمد، تحقيق الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن، دار الكتب الثقافية، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥ م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣١٣

المبحث الأول: نفي المدينة المنورة شرارها ثم خرابها وخلوها من السكان

والزائرين ٣١٨

المطلب الأول: نفي المدينة المنورة شرارها ٣١٨

المطلب الثاني: خرابها وخلوها من السكان والزائرين ٣٢٥

المبحث الثاني: تحريم دخول المسيح الدجال المدينة المنورة، وأهمية العلم

بالإيمان في العصمة من فتنته ٣٣١

المطلب الأول: تحريم دخول المسيح الدجال المدينة المنورة ٣٣٦

المطلب الثاني: أهمية العلم بالإيمان في العصمة من فتنته ٣٤٥

٣٥٢ الخاتمة

٣٥٤ فهرس المصادر والمراجع

٣٦٢ فهرس الموضوعات

جُهُودُ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

فِي مُحَارَبَةِ الْبِدْعِ

إعداد الدكتور:

فوزية بنت عبدالعزيز الشائع

أكاديمية سعودية، أستاذ مساعد بكلية الآداب

في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

ملخص البحث

إن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصالح كل أمة ورفيها مرتبطان بسلامة عقيدتها، وسلامة أفكارها.

كما أن الابتداع في الدين من أخطر الأمور، وأشدّها ضرراً على الفرد والمجتمع؛ لما في ذلك من انحراف عقدي، وانحطاط اجتماعي، ولما في البدع من مفسد وشرور وضلال.

ولقد هيا الله الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - بما آتاه من عقل وحكمة وحنكة أن يوحد الجزيرة، ويلم شتاتها، ويقيم كيانها على التوحيد الخالص، ونشر المعتقد الصحيح، والقضاء على البدع المنتشرة، والشرك الفاشي في بعض أنحاء الجزيرة؛ فجعل من كلمة التوحيد شعاره ومنطلقه، وكانت النتيجة أن مكّن الله له في الأرض، أن يحمي حمى التوحيد من كل ما يخالفه، ويزاحمه من عقائد، وعادات، وأعراف، ومظاهر.

ولقد ورد عن الملك عبدالعزيز نقولات كثيرة؛ من أقواله وخطبه ورسائله، كلها تبين مدى حرصه على التحذير من البدع في الدين. ولم يترك مناسبة تمر إلا واغتنمها في سبيل حث الناس على نبذ جميع ما خالف العقيدة، من بدع وخرافات، وقد استفاضت خطبه وأقواله، وسُجلت في كل محفل، وتناقلها الناس عنه، وهذه هي جهوده القولية في محاربة البدع. أما عن جهوده العملية في قمع هذه البدع والوثنيات فقد أمر - رحمه الله - بهدم الأضرحة والقباب المقامة على القبور، وأمر بهدم الأصنام، كما أصدر أوامر بإقفال الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية، ومنع الاحتفال بالمواسم

البدعية، والذكر الجماعي، وتعدد الجماعات في المسجد الواحد، وكان له كذلك جهود علمية تمثلت في إرسال العلماء وطلبة العلم إلى المهجر والبوادي، وأمر بالتعليم والدعوة في موسم الحج، وعقد الاجتماعات، وإجراء الحوارات، وإرسال الرسائل للعلماء والشيوخ، وأمره بطباعة الكتب ونشرها وتوزيعها.

وكان له - رحمه الله - أساليب شخصية في التعامل مع أخطاء الناس العقدية منها: المسارعة إلى تصحيح الخطأ وعدم إهماله، ومعالجة الخطأ ببيان الحكم، وإرشاد المخطئ مع تقديم البديل الصحيح، وتصحيح التصور الذي حصل الخطأ؛ نتيجة لاختلاله.

ومن خلال ما سبق تجلت بوضوح صور حرص الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على محاربة البدع، ومقاومة الخرافات التي تنافي العقيدة، والقضاء على كل صور الابتداع في الدين.

قدمته

د. فوزية بنت عبدالعزيز الشائع

أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة

بقسم الدراسات الإسلامية - بكلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

الرياض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بالاتباع ونهانا عن الابتداع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بعثه الله ليُقتدى به ويُطاع، وعلى آله وأصحابه وسائر الأتباع. أما بعد:

فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمة ورقبها مرتبطان بسلامة عقيدتها وسلامة أفكارها، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة، وذم الشرك والخرافات، والمحافظة على العقيدة نقية من شوائب البدع والمنكرات، التي قد تחדش صفاءها، وتكدر لمعانها.

ولقد كان لعلماء المسلمين والمصلحين منهم - مع تباين العصور، وتجدد المشكلات والتحديات - مواقف صادقة، وجهود صائبة؛ في ذم البدع وقمعها؛ أمثال موقف الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في فتنة القول بخلق القرآن، وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تفنيد آراء أهل الأهواء والنحل المختلفة من الفلاسفة والمتكلمين، والإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله -، وكذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في دعوته إلى التوحيد، والخلاص من الشرك، وسائر أصحاب المنهج السلفي.. فقد كان لآرائهم أثر واضح في تنقية المفاهيم الإسلامية، وتصحيحها، وفق التعاليم الإسلامية الصحيحة.

وقد تناول راية الدعوة إلى الحق بعد ذلك الملك الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - انطلاقاً من أن من وظائف الدولة الإسلامية نشر الدعوة الإسلامية في العالم؛ بالحسنى والحكمة.

ولقد كان الملك عبدالعزيز سلفي العقيدة، ينتهج عقيدة السلف الصالح لهذه الأمة؛ من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، وهي العقيدة التي دعا إليها الكتاب والسنة، وكان عليها سلف الأمة، ومنهم الأئمة الأربعة - رحمهم الله - جميعاً.

كما كان حريصاً على سلامة عقيدته وعقيدة المواطنين، ويرى ذلك واجباً دينياً، تقتضيه المصلحة الشخصية له ولهم، وتتطلبه المصلحة العامة للوطن وللأمة، وأدرك أن سلامة الأساس ضرورة لسلامة البنيان، والبنيان المتين لا تستطيع المعاول أن تنال منه، إلا إذا وجدت ثغرة ضعيفة؛ لذلك حرص الملك عبدالعزيز أن يقوي أساس بنيانه، عن طريق محاربة البدع والقضاء عليها؛ لأن سلامة العقيدة هي المنجى من المحن والأوصاب، وقد اهتم الملك عبدالعزيز بالتأكيد والمحافظة على سلامة العقيدة من البدع والانحرافات والخرافات، وحرص أن تبقى عقيدة التوحيد خالصة من كل شائبة، منزهة عن كل بدعة.

ومن خلال قراءتي لتاريخ الملك عبدالعزيز استطعت أن أقف على حقائق عديدة، لمواقف وجهود عظيمة؛ لأجل محاربة البدع، والوقوف أمام انتشارها، وبفضل الله اندثرت كثير من البدع، وأمحت العديد من الخرافات، واندرست ألوان من الانحرافات العقديّة، التي كانت منتشرة في ذلك الزمن؛ بسبب الجهل، وقلة العلم، واتباع الهوى.

وترجع أهمية هذا البحث إلى عدة منطلقات أهمها:

- ضبط وتدوين جهود وأعمال الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في محاربة البدع؛ لتيسير نقلها إلى المهتمين من العلماء، والمفكرين، والباحثين.

- توضيح منهج الملك عبدالعزيز الذي كان متميزاً عن كل من سواه في عهده؛ حيث أقام الدولة على أساس العقيدة السلفية، والشريعة الإسلامية، وجمع بين نشر هذه العقيدة، ومحاربة ما خالفها.

- إبراز أهمية محاربة البدع وقمعها، من أجل المحافظة على العقيدة؛ ناصعة نقية.

وسوف توضح هذه الدراسة - بإذن الله - ما قد يخفى على بعض القراء؛ حين تعطي الدلائل أن موحد هذه الجزيرة لم يكن رجل سياسة فحسب، بل إنه برع في مجال الدعوة إلى الله.

ورغم انشغاله - رحمه الله - بأعمال الدولة، وشؤون السياسة، إلا أنه لم يُغفل جانب تصحيح العقيدة، وتنقيتها من الشوائب، وقد تحلى بالشجاعة أثناء محاربة البدع، وتكبد الكثير في سبيل الدفاع عن عقيدة التوحيد، بسبب الظروف السياسية والاجتماعية، السائدة في ذلك الزمن.

ويهدف هذا البحث إلى التعرف على أبرز جهود الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود؛ في محاربة البدع والخرافات.

خطة البحث:

التمهيد:

وقد اشتمل على:

نبذة في سيرة الملك عبدالعزيز.

١- نسبه.

٢- مولده.

٣- نشأته.

٤- صفاته.

٥- تأسيس الدولة.

٦- وفاته.

المبحث الأول:

خطورة انتشار البدع وأثرها على المجتمع

- المطلب الأول: تعريف البدعة.

- المطلب الثاني: أنواع البدع.

- المطلب الثالث: أثر البدعة في الانحراف العقدي

والانحطاط الاجتماعي.

- المطلب الرابع: فضيلة نشر السنة ومحاربة البدعة.

المبحث الثاني:

جهود الملك عبدالعزيز في محاربة البدع

- المطلب الأول: الجهود القولية.

- المطلب الثاني: الجهود العملية.
- المطلب الثالث: الجهود العلمية.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، ويليها فهرساً المصادر والموضوعات.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وقمت بكل ما يتطلبه البحث من أمور علمية، مثل: التخريج والحكم على الأحاديث، والتوثيق، والتعريف بالأعلام، والفرق، والأماكن، ونحو ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على منهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

التمهيد:

نبذة في سيرة الملك عبدالعزيز - رحمه الله -:

١- نسبه:

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (الذي تنسب إليه الأسرة السعودية) بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي. من بني حنيفة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وقد أسس مانع المريدي بلدة الدرعية، على ضفاف وادي حنيفة عام ٨٥٠هـ^(١).

٢- مولده:

اختلف المؤرخون في تحديد ميلاد الملك عبدالعزيز اختلافاً بيناً. والأقوال في ذلك كثيرة؛ لكن أشهرها قولان: الأول: أنه ولد في ذي الحجة ١٢٩٣هـ، والثاني: إنه ولد في ذي الحجة عام ١٢٩٧هـ؛ ولكل أصحاب قول براهين ودلائل. ولكن المؤشرات ترجح وتؤكد أن مولده كان يوم ١٩ من ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ^(٢).

٣- نشأته:

ولد الملك عبدالعزيز في بيت أبوين اتصفا بالورع والتقوى؛ فأحاطاه بكل طهر ونقاء، وربياه على الأخلاقيات والصفات الحميدة، فما

(١) عنوان المجلد في تاريخ نجد (١٢/٢) وما بعدها.

(٢) انظر: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ص ٩، ١٠، والملك عبدالعزيز وفتح الرياض دراسة وتحليل ص ٢١، ٢٧.

إن بلغ مبلغ الصبا حتى عهد به أبوه إلى "مطوع" من أهل الخرج، كان مقيماً في الرياض اسمه "عبدالله الخرجي"، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن الكريم، ثم قرأه بعد ذلك كاملاً على الشيخ محمد بن مصيب، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ^(١).

وقد عوده أبوه أن يستيقظ للصلاة قبل الفجر، وبدأ يصوم وهو في العاشرة من عمره، ثم اتسعت حصيلته العلمية؛ فكان يحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ويحفظ (الرحبية) في الفرائض، وتعلم (زاد المستقنع) في الفقه، ويحفظ من كتب الأحاديث (الأربعين النووية) و(بلوغ المرام)، وكان يحب قراءة (البداية والنهاية) لابن كثير، و(تاريخ الرسل والملوك) للطبري، و(السيرة) لابن هشام، و(المغني) و(الشرح الكبير) و(الإنصاف)، وفي التفسير كان يميل إلى تفسير ابن كثير والطبري والبغوي، وكان يحب من الشعر ما يميز منه بالطابع الإسلامي والنصائح^(٢).

كما كان يكثر من تلاوة القرآن الكريم - ما أمكنه ذلك - فيخصص حوالي نصف ساعة يومياً لقراءة القرآن الكريم، وكثيراً ما كان يستشهد من القرآن الكريم على ما يؤيد رأيه، أو يوضحه، أو يؤكد موقفاً من المواقف^(٣).

(١) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ص ١٧، وشبه الجزيرة ص ٥٧.

(٢) الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، ص ٩، والبلاد العربية السعودية ص ٣٠.

(٣) توحيد المملكة، ص ٣١٤.

نما جسمه نمواً سريعاً، وكان متوقداً الذهن، حاداً الذكاء، وحاداً الطبع أيضاً، دائم الحركة؛ مما جعله يدرك ما حوله، من أحداث وصراعات على السلطة^(١).

وعند رحيله مع أهله يوم أن فارق الرياض في منتصف رمضان عام ١٣٠٨هـ، إلى مضارب البدو، وخطوا رحالهم لدى قبائل آل مرة والعجمان، تعلم فنون القتال والكر والفر، وبعد حوالي سنتين انتقل مع أهله إلى الكويت؛ للإقامة فيها. وقد أكسبته فترة إقامته مع والده في الكويت - والتي امتدت حوالي عشر سنوات - الحنكة والخبرة والسياسة؛ حيث نزلوا في ضيافة آل الصباح.

وكانت أيام الشيخ مبارك الصباح مليئة بالمناورات والمحاورات السياسية، وكان مبارك يستشير الإمام عبدالرحمن في كثير من الأمور، فكانت الكويت المدرسة التي تلقى فيها الملك عبدالعزيز فن السياسة العملية^(٢).

٤ - صفاته:

كان الملك عبدالعزيز منذ صباه ملتزماً بالتعاليم والآداب الشرعية، متمسكاً بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، محكماً كتاب الله في أموره، ومن صفاته أيضاً: الكرم، الذي لا تكلف فيه، والشجاعة، والعدل،

(١) الملك عبدالعزيز وفتح الرياض ص ٢٩.

(٢) تاريخ الدولة السعودية (٢/ ١٠)، الملك عبدالعزيز وفتح الرياض ص ٣٠، حالة الأمن في عهد

الملك عبدالعزيز ص ٢٥.

والفراسة، وقوة العقل، ومن سجايه العظيمة: العفو، والحكمة، والأناة في معالجة الأمور، والتواضع، ومما تميز به حسن المنطق، والقدرة على الكتان، والسرية خاصة في خطته وحروبه^(١).

٥- تأسيس الدولة:

إن الجهود التي بذها الملك عبدالعزيز في سبيل تأسيس الدولة هي جهود جبارة؛ لاسيما وأنها استغرقت أكثر من ربع قرن، واجه خلالها العديد من المصاعب التي توهب العزائم، لكن عزمته، وقوة إيمانه كانتا أصلب وأشد، فتغلب عليها جميعاً بتوفيق الله؛ لأن غايته كانت نصره دين الله، فنصره الله ومكنه.

ولقد مرت أعمال التأسيس بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وتمتد من فتح الرياض عام ١٣١٩هـ حتى انضمام حائل عام ١٣٤٠هـ.

المرحلة الثانية: وتبدأ بما تم فتحه بعد انضمام حائل عام ١٣٤٠هـ وحتى توحيد المملكة عام ١٣٥١هـ.

المرحلة الثالثة: وهي من بداية توحيد المملكة عام ١٣٥١هـ حتى عام ١٣٧٣هـ.

(١) توحيد المملكة العربية السعودية، ص ٣٣٠، من حياة الملك فيصل ص ٣٩، عبدالعزيز في التاريخ ص ٣٢.

وقد اكتمل في هذه المرحلة توطيد دعائم المملكة، وأصبحت قوة ذات شأن^(١).

٦ - وفاته:

وافته المنية - يرحمه الله - في الطائف يوم الإثنين ٢ من ربيع الأول لعام ١٣٧٣ هـ، وصُلي عليه، ثم نقل بالطائرة إلى الرياض، فدفن في مقبرة العود يرحمه الله^(٢).

(١) انظر: تفاصيل التأسيس في كتاب: البلاد العربية السعودية، فؤاد حمزة. تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، والملك عبدالعزيز، دراسة وتحليل، عبدالواحد راغب.

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز (٤/١٤٣٧).

المبحث الأول خطورة انتشار البدع وأثرها على المجتمع

المطلب الأول: تعريف البدعة:

المعنى اللغوي: بدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتدعه: أنشأه وبدأه^(١).
وأصل مادة «بدع» للاختراع على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى:
﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، أي: مخترعها من غير مثال سابق
متقدم^(٣).

المعنى الاصطلاحي: البدعة في الشرع خلاف السنة، وهي كما
عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: «البدعة في الدين هي ما
لم يشره الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب»^(٤).
وقال: «البدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من
الاعتقادات والعبادات»^(٥).

وقال الشاطبي: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة،
يقصد بالسلوك عليها، المبالغة في التعبد لله»^(٦).

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، (ص/٦٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

(٣) الاعتصام، (ص/٢٧).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٤/١٠٧، ١٠٨).

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/٣٤٦).

(٦) الاعتصام (ص/٢٨).

وقيل هي: «ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل ديناً قوياً وصرافاً مستقيماً»^(١).

ومن أجمع ما جاء في تعريف البدعة ما عرفها به الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - بقوله: «ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، من عقيدة أو عمل»^(٢).

وهذه التعريفات كلها تجتمع على أن كل محدثة في الدين من زيادة أو نقص بدعة، ويصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (وكل محدثة بدعة)^(٣).

وأهل البدع هم: كل من أحدث في الدين ما ليس منه في الاعتقادات، والأقوال، والأعمال.

المطلب الثاني: أنواع البدع:

البدعة في الدين نوعان: النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية؛ كمقالات الفرق الضالة واعتقاداتهم. النوع الثاني: بدعة في العبادات؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، (ص/ ١٥).

(٢) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، (ص/ ٢٣).

(٣) من حديث أصله في صحيح مسلم رقم (٨٦٧) لكن اللفظ هنا لابن أبي عاصم في السنة

(١٦/١) وصححه الألباني.

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صياماً غير مشروع، أو أعياداً غير مشروعة؛ كأعياد الموالد، وغيرها.

النوع الثاني: الزيادة في العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في كيفية أداء العبادة، بأن يؤديها على صفة غير مشروعة؛ وذلك كأداء الأذكار المشروعة، بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات، إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة، لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل^(١).

المطلب الثالث: أثر البدعة في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي:

إن الابتداع في الدين من أخطر الأمور، وأشدّها ضرراً على الفرد والمجتمع من كل النواحي، ولا سيما في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي، ولا شك أن في البدع مفسد وشور وضلّال، ولهذا قال عنها

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (ص/ ٢٩٢).

عليه الصلاة والسلام: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(١)، وذلك لما فيها من نسبة أمر إلى الدين وهو ليس منه، بل إنه يلزم منها ادعاء أن الدين ناقص يحتاج إلى تكميل، أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُبَلِّغ كل ما أوحى الله إليه.

ويترتب على انتشار البدع عدة مفاسد، منها:

- اعتماد العوام صحة تلك البدعة أو حسننها، وبخاصة إذا انتشرت.
- الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، فربما يقول العوام عن تلك البدعة: إنها سنة من سنته عليه الصلاة والسلام.
- إضلال الناس وإعانتهم على الباطل^(٢)، وإماتة السنة؛ لأنه ما ظهرت بدعة إلا ماتت سنة من السنن.
- نشوء جيل يعتاد تلك البدع؛ لأنه تربي عليها، ونشأ بينها، بل يعتقد أنها من دين الله، فيصعب عليه التخلص منها. ويأتي جيل آخر فيظنها مشروعة، وثالث يظنها من الواجبات.. وهكذا حتى تضعف السنة وتظهر البدع.
- ظهور الجدل بين الناس بغير حق، وكثرة الخصومات في الدين، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الفرقة والاختلاف بعد مجيء البينات، من الكتاب والسنة؛ حتى لا نكون كالأمم السابقة التي تفرقت واختلفت بسبب بدعهم وأهوائهم.

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم (٨٦٧).

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد، (ص / ١٩).

- مفارقة الجماعة، وشق عصا الطاعة على جماعة المسلمين؛ لأنهم اعتمدوا على أهوائهم، ومن اتبع هواه ضل عن جادة الصواب؛ فبسبب مفارقتهم لجماعة المسلمين هو إحداثهم للبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

- ومن آثار البدع: أن المبتدعة لا يقتصر ضلالهم على أنفسهم، وإنما يشيعونه بين الناس، ويدعون إليه قولاً وعملاً، بالحجة الباطلة، والتأويل الزائغ، والهوى المتسلط، والمبتدعة قد ألقوا الفرق، وجمعوا الجماعات، وساروا بهم في بدعهم بغير فهم، فأول ما يظهر أهل البدع يكونون أفراداً، ثم بعد ذلك يتجمع الناس حولهم مفتونين بهم، مدافعين عن ضلالهم، مشيعين ذلك بين الناس، وليس ثمة دليل لديهم إلا اتباع الظن وما تهوى الأنفس، وتقليد أئمتهم المبتدعة.

ويلاحظ أن الانحراف العقدي يتسبب في الانحطاط الاجتماعي بشكل واضح في المجتمع، فقد مر بالمسلمين عصور وراء عصور، وهم في اختلاف وتناحر، وتفكك في الروابط الاجتماعية، فانتشر التحلل الأخلاقي نتيجة لهذه البدع التي ساهمت في تشجيع ذلك الانحطاط، وبالتالي التحلل من تعاليم الدين، والتكاليف الشرعية ومن الحلال والحرام، مثل ما يحدث في احتفالات الموالد، واحتفالات المواسم البدعية، من اختلاط الرجال بالنساء، وشرب الخمر، وغيرها من المنكرات، التي

أدت إلى شيوع الخزعبلات والخرافات، والأفكار الرديئة عند الأضرحة والمزارات، كما تسببت بانتشار العداوة والبغضاء في المجتمع^(١).

وإن من أخطر الأمور التي تغفل عنها بعض الدول التساهل في مقاومة مظاهر البدع في المسلمين ومحاربتها، حيث تظهر بعض البدع فيغفل عنها الناس، ويتساهلون فيها، ثم تنمو وتزيد وتكثر، وتظهر بعض البدع أول أمرها بمظاهر مُلبَّسة؛ تظهر على شكل عادات معينة أو أحوال خاصة، فتأخذ تبريرات وأشكالاً وأسماءً أخرى غير أسماء البدع، حتى تستقر، ثم تتحول - مع مرور الزمن - إلى بدع، ثم بعد ذلك ينزع أتباعها إلى الافتراق عن الدين، وعن الأمة، وأغلب البدع، وبذور الافتراق في التاريخ؛ نشأت بهذا التدرج، وهي من حيل الشيطان على الأمم^(٢).

ويكفي من مفاسد انتشار البدع أنها كانت السبب في سقوط بعض الدول، عبر تاريخ الأمم، حيث كانت سبباً مباشراً في تردي أحوال المسلمين، وتشرذمهم إلى جماعات متناحرة متنافسة، وضعف شوكتهم، وتسلب الأعداء عليهم^(٣).

(١) موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة، (ص/٨)، البدع والمحدثات وما لا أصل له،

(ص/٤٨)، وشفاء الصدور (ص/٧٣).

(٢) قضايا عقدية معاصرة، (ص/٤٤).

(٣) لمزيد من التفاصيل في هذه القضية يمكن الرجوع للمصادر التالية: شفاء الصدور (ص/٧٣)،

(٢٠٣)، نظرات وتأملات من واقع الحياة، د. محمد الخميس، (ص/٢٣٩ وما بعدها)، البدع

الحوالية، عبدالله التويجري، (ص/٢٤).

المطلب الرابع: فضيلة نشر السنة ومحاربة البدعة:

قدر الله عز وجل بقضائه ظهور البدع في كل زمان ومكان، وهياً لها من أهل السنة من يثبت أمامها، ويقف في وجهها، لا يزالون في جهاد ونزاع، ومدافعة وقراع، آناء الليل والنهار؛ لذا قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: «ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، حتى حسبه ديناً، لا يرون الحق غيره»^(١).

وإن من أجل الأعمال وأعظمها ثواباً: إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم، ومحاربة كل بدعة وضلالة. وقد قيل: إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً لله يذب عنها، وينطق بعلاقتها^(٢).

ولاشك أن التحذير من البدع، والنهي عنها من الأمور المهمة في الدين؛ لأن البدع من أكبر المنكرات التي يجب النهي عنها، وأن التهاون في ذلك يساعد على انتشار البدع، وتمسك الناس بها، واعتقادهم أن هذه البدع لو كانت أمراً منكراً لنهى عنه الناس عامة، والعلماء خاصة، وأن سكوت العلماء والمصلحين عن الإنكار دليل على موافقة هذا الأمر، المبتدع للشرع؛ إذ لو كان مخالفاً لحصل الإنكار؛ لذلك لا بد من بذل الوسع في تطبيق السنة، وحث الناس على الالتزام بها.

(١) الاعتصام (ص/ ٢٤).

(٢) الاعتصام (ص/ ٢٥).

المبحث الثاني

جهود الملك عبدالعزيز في محاربة البدع

للرجال صفات، وللقيادة سمات، وحين يكون القائد مؤمناً بربه، واثقاً من قضاء الله وقدره، فإن تألقه يكون أكبر، وشجاعته تكون أكثر، فهو موقن أن العزة من الله، وأن عليه بذل الأسباب.

ولقد استطاع الملك عبدالعزيز -بما آتاه الله من عقل، وحكمة، وحنكة، وحسن سياسة، مع إخلاص لله عز وجل، وصدق نية- أن يوحد هذه الجزيرة ويلم شتاتها، ويقيم كيائها على التوحيد الخالص، فجعل من كلمة التوحيد شعاره ومنطلقه، وكانت النتيجة أن مكن الله له في الأرض، فسار تحت رايته السلفية، جموع المسلمين، يدعون إلى توحيد الله تعالى، ويصححون ما وقع فيه أكثر الناس من البدع، يجاهدون بذلك، لا يخشون أحداً إلا الله، وقد كان الملك عبدالعزيز عوناً لهم في كل ذلك، بعد عون الله تعالى لهم، وسخرت الدولة كل إمكاناتها، وبذلت كل ما تملكه؛ في سبيل تسهيل مهمة الدعوة إلى الله تعالى، ونشر -التوحيد؛ فقامت ببث الوعي الديني بين الناس، ونشر المعتقد الصحيح، والقضاء على البدع المنتشرة والشرك الفاشي في بعض أنحاء الجزيرة^(١).

ولقد كان للملك عبدالعزيز مواقف محنكة، وتجارب فريدة، وجهود عظيمة في محاربة البدع، والقضاء عليها.

(١) انظر: إنسانية ملك، (ص/ ٥)، والدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، (ص/ ١٧).

قال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ، في رسالة جوابية إلى أهالي بعض مناطق الجزيرة، يطمئنهم أن الملك عبدالعزيز سيحكم بشرع الله، وهو حريص على المعتقد الصحيح، ونبذ ما سواه من المخالفات: «إن الله منَّ على أهل نجد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمة الله عليه - وساعده على ذلك حمولة آل سعود، ونصروا هذه الدعوة الإسلامية، وكلما ضعفت أقام الله منهم من يحييها، ويجدها، ومن أعظم من قام بإحيائها في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأهواء والبدع، وعمَّ فيه الشرك أكثر أهل الأرض؛ الإمام المكرم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل أيده الله...»^(١).

وقال الشيخ الدكتور عبدالله التركي: «لما ظهر الملك عبدالعزيز بدعوة التوحيد، ودين الحق؛ استطاع - بعون الله ثم بوسيلة الشوكة والسلطان - أن يحمي حمى التوحيد، من كل ما يخالفه ويزاحمه؛ من عقائد، وعادات، وأعراف، ومظاهر، وأساليب»^(٢).

ولقد ورد عن الملك عبدالعزيز نقولات كثيرة من أقواله، وخطبه، ورسائله، كلها تبين مدى حرصه على التحذير من البدع في الدين، خصوصاً البدع المنافية للعقيدة الصحيحة، كما كانت له مواقف عملية من البدع المنتشرة، في طول البلاد، وعرضها، فله جهود قولية، وجهود فعلية، وله كذلك جهود علمية، حيث شجع على تأليف الكتب، وطباعتها،

(١) الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، (ص/ ٧٧، ٧٨).

(٢) الملك عبدالعزيز والمملكة، المنهج القويم في الفكر والعمل، (ص/ ٦٦).

ونشرها، وإرسال العلماء للهجر والبادية؛ للتعليم، والدعوة، ومحاربة البدع والخرافات.

المطلب الأول: الجهود القولية:

لم يدخر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وسعاً، ولم يترك مناسبة تمر إلا واغتنمها، في سبيل حث الناس من حوله - بل وجميع المسلمين عموماً - على التمسك بالكتاب والسنة، وعقيدة السلف الصالح، ونبذ جميع ما خالفها من بدع وخرافات، والأخذ بالإسلام نقياً كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد استفاضت أقواله وخطبه في هذا المجال، حتى بلغت القاصي والداني، وسجلت في كل محفل، وتناقلها الناس عنه، وسجلتها الصحف والكتب التي ترجمت له، فمن ذلك:

١ - قوله - رحمه الله - مبيناً أن البدع في الدين من أسباب التخلف، وأنه لا رقي ولا تقدم للمسلمين إلا بالتوحيد الخالص، واتباع الكتاب والسنة، والسلف الصالح رضي الله عنهم جميعاً، فقال - رحمه الله - في إحدى خطبه: «إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص، والخروج من أسر البدع والضلالات، والاعتصام بما جاء في كتاب الله، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم»^(١).

٢ - كما بين - رحمه الله - أن محاربة البدع والخرافات من أوجب الواجبات الدينية، ومن أعظم مجالات الخدمة للإسلام، حيث قال: «من المسائل التي يجب أن نعمل بها، وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف؛ هي

(١) نشرت هذه الخطبة بجريدة أم القرى، العدد (٣٣٣)، في ذي الحجة ١٣٤٩ هـ.

تطهير الإسلام من الأدران والخرافات، التي علقته بالدين، وهو بريء منها»^(١).

٣- كما بين أن التوحيد الخالص من الشرك والبدع والشوائب، والاعتصام بالكتاب والسنة؛ هو وحده سبيل التقدم والرفق. وأما الابتداع في الدين، واتباع الخرافات، والخزعبلات؛ فهو طريق التأخر والتخلف، فقال رحمه الله: «إن المسلمين لا ينقذهم مما هم عليه من تأخر وانحطاط إلا الاعتصام بحبل الله، وبكتاب الله، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وطريقة الاعتصام بحبل الله هي توحيد الله جل شأنه وحده، دون أحد من الكائنات.. التوحيد الخالص من الشرك والبدع»^(٢).

٤- وفي أساس نهج الملك عبدالعزيز في القول والعمل، وفي الفكر والسلوك؛ توحيد الله تعالى، وعبادته، ومحبته، ومخافته. فقال في ذلك: «إنني والله لا أحب إلا من أحب الله، حباً خالصاً من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمني أن أكون ملكاً أو فقيراً»^(٣).

٥- وقال في حثه على تطهير الدين من البدع:

(أجل.. نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة..)^(٤).

(١) جريدة أم القرى العدد (٣٨٣) في ٦ ذي الحجة ١٣٤٨ هـ.

(٢) جريدة أم القرى العدد (٣٣٣) في ١٣ ذي الحجة ١٣٤٩ هـ.

(٣) عبدالعزيز عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، (ص/٧٣).

(٤) الملك الراشد (ص/٣٦٤).

٦- وفي خطاب له في جموع المسلمين قال: (الواجب عليكم هو معرفة الله تعالى، والتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله، وترك البدع والخرافات، والتأدب بآداب الشريعة السمحة)^(١).

كانت معظم خطب الملك عبدالعزيز تبصر بجمللة أحكام شرعية، وتصحح المفاهيم التي تروج بين الناس، وتناقش القضايا المهمة، ولقد أكثر - رحمه الله - من التحذير من البدع، وبيان خطورتها، ولاسيما البدع في الاعتقادات، وكذلك البدع العملية، فكثرت تحذيره منها، وتشنيعه عليها.

ولعل أهم ما يميز خطب الملك عبدالعزيز أنه كان حريصاً فيها على أن لا يقول إلا صدقاً، مما يجعل مواهبه الخطابية ذات قيمة عظيمة، وكان يخاطب البدوي بلهجة البدوي، والحضري بلهجة الحضري^(٢).

ولقد كانت له نظرة إنسانية رائدة، فيتعامل مع الناس بحسب أحوالهم، وله منهج متميز في مخاطبة غير المسلمين، ويمتلك مقومات الخطاب الناجح ومنها: اللين مع التنبيه إلى الأخطار المحدقة، والصراحة مع التصريح بأسبابها، وكذا الإقناع العقلي، ومراعاة المصلحة للوطن وللأمة^(٣).

ومن المواقف التي ذكرت للملك عبدالعزيز: (أنه التقى يوماً بزعيم عربي، وفي أثناء الحديث أراد الزعيم التوكيد على مسألة معينة، فقال مخاطباً

(١) نشر الخطاب بجريدة أم القرى، عددها (١٢٦) بتاريخ ٨/١/١٣٥٤هـ.

(٢) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (١/٢٨٨).

(٣) انظر تفصيل هذه المقومات في: الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، إبراهيم الساري، المبحث الثالث: منهج الملك عبدالعزيز في مخاطبة الناس بحسب أحوالهم (ص/ ٦٥ وما بعدها).

الملك عبدالعزيز: "وحياة رأسك"، فرمقه ابن سعود بنظرة موحدة، وقال له: قل والله^(١).

فقد كان إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه، وتقديم البديل الصحيح، من منهج الملك في التعامل مع أخطاء الناس العقدية. وإن المتتبع لخطب الملك عبدالعزيز وكلماته، يلاحظ أنها تتضمن ما يأتي:

- ١ - سهولة الألفاظ.
 - ٢ - الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية.
 - ٣ - ملامسة عقول الناس وعواطفهم ومشكلاتهم.
 - ٤ - تخير المناسبات.
 - ٥ - تقوم الخطب على أساس دعوي حيث تضمن معظمها المضي على:
 - (أ) التوحيد الخالص.
 - (ب) التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
 - (ج) نبذ البدع والخرافات.
 - (د) الالتزام بأداب الشريعة السمحة.
 - (هـ) توثيق عرى المودة والألفة بين المسلمين^(٢).
- كان لخطب الملك عبدالعزيز وكلماته أبرز الأثر في إصلاح المجتمع، ونبذ البدع والخرافات، وقد أثرت تلك الكلمات الصادقة على الناس،

(١) الملك والمملكة المنهج القويم في الفكر والعمل (ص / ٣٧).

(٢) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (١ / ٢٩٤).

وظهرت آثارها واضحة في مسيرة الدولة، التي أصبحت -بفضل الله ومنتته- مضرب المثل بين بلدان العالم الإسلامي في هذا المقام.

المطلب الثاني: الجهود العملية:

لقد بذل الملك عبدالعزيز -رحمه الله- جهوداً عملية كبيرة في محاربة البدع، والخرافات، والوثنيات؛ التي شوّهت تعاليم الإسلام الحقيقية، ومن المواقف والمشاهد التي تذكر للملك عبدالعزيز ما يلي:

١- هدم الأضرحة والقباب المقامة على القبور:

كان التوحيد والاعتصام بالقرآن والسنة هو السائد في الجزيرة العربية، بيد أن حبائل الشيطان كانت واسعة جداً، فأوقعت بعض أولئك المسلمين الموحدين في أعمال وأقوال تنطوي على الشرك، والبعد عن توحيد الله عز وجل، وإفراده بالعبادة.

وقد تميز الملك عبدالعزيز بحرصه على عقيدة التوحيد، وعدم تدنيسها بأي شيء، فكل ما يصرف المرء عن الاتجاه إلى الله بالعبادة والدعاء والاستغاثة، إنما يُعد نوعاً من الشرك، يقتضي تحطيم أسبابه وهدم دواعيه، وما تلك الأضرحة والقبور التي يتجه إليها الناس، ويلجأون إليها بالدعاء والاستغاثة؛ إلا مواطن للشرك.

لذلك ينبغي أن تهدم أركانها وتقوضها، حتى يعود قاصدوها إلى التوحيد الحق، وينصرفوا إلى الله وحده.

وكانت هذه القباب موجودة في مقابر بعض الصحابة والصالحين في البقيع^(١) والمدينة المنورة، وفي عدة نواحٍ من البلاد، وكان بعضها مقصداً للناس، يتبركون بها، ويطلبون عندها قضاء الحوائج.

(ففي مكة قبر أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وفيها المكان الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المدينة المنورة القبر النبوي وقبور الخلفاء الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان)، وفي البقيع: قبور الصحابة، وفيه قبر فاطمة بنت النبي، وولده القاسم وإبراهيم، وبقرب أحد: قبر سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وفي الطائف قبر عبدالله بن عباس، وحتى جدة استطاع الدجالون أن يجعلوا فيها مزاراً، وهو ما يقال إنه قبر (أم البشر - حواء) حتى ما من واحد يأتي إلى جدة إلا وقد يتصور أن من البر أن يزور قبر والدته (حواء)، وهكذا كان على كل قادم يأتي إلى الحجاز، قاصداً حج بيت الله الحرام، فرضاً كان أو نفلاً؛ كان عليه أن يزور تلك المواقع، راضياً أو غير راض، وحتى لو أراد أن يحصر - عمله بتأدية مناسك الحج، فإن أولئك السدنة المتنفعين مادياً من ابتزاز أموال الحجاج، بغير ما أنزل الله؛ لن يدعوه له مجرد التفكير في هذا الأمر)^(٢).

(١) البقيع في اللغة: هو كل مكان فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سمي بقيع الغرقد. وهذا المكان هو مقبرة أهل المدينة المنورة، وكان خارج المدينة، وقد أصبح داخلها لاتساعها بعد هدم السور، ولا يزال مدفن أهل المدينة، وقد ضم إليه في العهد السعودي البقيع المعروف ببقيع العمات، أي عمات الرسول صلى الله عليه وسلم، كما جدد بناء سورته للمحافظة عليه، انظر: تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، أحمد ياسين الخياري، ص ٤٩.

(٢) من شميم الملك عبدالعزيز، (٣/٢٩٦، ٢٩٧).

وكانت تلك البدعة - أي تقديس القبور - قد ابتكرها^(١) الأتراك بدافع هدفهم السياسي، وتحقيقاً لهذا الهدف، ووصولاً لهذه الغاية؛ فقد نشروا المقابر الوهمية في كل مكان، فهذا قبر النبي فلان، وذاك قبر الولي فلان، وهذا إذا تضرع عند قبره الشخص الذي لا ينبغي أولاداً، فإنه سوف ينجب فوراً، وذاك دعاؤه يشفي المريض، ويغني الفقير، ويسهل الأمر العسير، وكان كل ذلك بإيعاز من حكام ذلك الزمان، لبعض مدعي العلم، وهذا هو الذي زاد اعتقاد العوام في هؤلاء الدجالين، أنه باستطاعتهم تحقيق مبتغاهم ومرادهم لما لهم من سلطة عند الحكام، وهذا قد وافق هوى هؤلاء المدّعين للعلم حيث المكاسب المادية العالية، والمورد المالي، الذي لا ينضب^(٢).

ولا عجب فيما إذا أصبح السواد الأعظم من الشعب يؤمن بهذه البدع والخرافات التي شوه بها المصللون جوهر الدين الإسلامي، وأفسدوا أسس التوحيد بتقديس القبور.

وإن وثنية القبور، وسدنتها، ومشايخ الطرق المتفيعين من هذا التضليل، قد أقلّ نجمهم جميعاً، منذ اليوم الأول الذي فتح فيه الملك

(١) أي انتشرت في هذه البلاد على يد الأتراك، وإلا فبدعة تقديس القبور قد ظهرت واشتهرت في القرن الرابع والخامس (وأول من ابتدع تعظيم القبور وبناء المشاهد والمزارات الرافضة الباطنية ودويلاتهم، ثم الصوفية بطرقها واتجاهاتها ومدارسها الباطنية). انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٧/٤٦٥، دراسات في الأهواء والفرق والبدع، العقل ٢٧٥.

(٢) انظر: من شيم الملك عبدالعزيز (٣/٢٩١) بتصرف.

عبدالعزيز الحجاز، أو على الأصح، منذ أن فتح قلوب أهل الحجاز، حيث فتحها عقدياً وخلقياً وأديباً.

فمن الأعمال التي قام بها الملك عبدالعزيز، بعد دخوله مكة المكرمة؛ هدم القباب المبنية على بعض القبور، والتي كان بعض الجهال يقصدونها؛ تبركاً، وتعظيماً، وطلباً لقضاء الحوائج.

(ومن ذلك القبة التي كانت على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، في الحجون، وقبة قبر ميمونة رضي الله عنها، في طريق النورية، وقبر الرشيد في الزيمة، وقبر المستسقي في الحلقة القديمة)^(١). ومن ذلك أيضاً قبر (حواء) والقبة التي عليه.

قال الأستاذ محمد مغربي^(٢): (أدركت قبر السيدة حواء أم البشر- بمدينة جدة في أوائل الأربعينيات من القرن الهجري الماضي تتوسطه قبة عظيمة، ومن أمام القبة وخلفها ممر طويل، ويدخل الناس -والحجاج بخاصة- لزيارة أمنا حواء، في الحجرة التي تعلوها هذه القبة، وقد زينت هذه الحجرة بالستائر، وأطلق فيها البخور، ويتولى أحد المشايخ المتكسبة - وكان في ذلك العهد من بيت القاضي بجدة- إدخال الحجاج، وتلقيتهم

(١) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، (ص/٦٨).

(٢) محمد علي مغربي (١٣٢٢-١٤١٧هـ) أديب ومؤرخ وشاعر وصحفي من المملكة العربية السعودية، سكن منطقة الحجاز وبالتحديد مدينة جدة، كان عضو المجلس التأسيسي لنادي جدة الأدبي عام ١٣٣٥هـ، ومن أبرز كتبه المؤلفة: أعلام الحجاز، والإسلام في شعر شوقي. انظر: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً، أحمد بن سعيد بن سليم، نادي المدينة المنورة، القسم الثالث، ص ٢٢٦، ٢٢٨.

الدعاء للزيارة، ويتقاضي الشيخ المتكسب - المذكور - من الزائرين النقود التي يدفعونها مكافأة له، وحينما استولت الحكومة السعودية على الحجاز، ودخل الملك عبدالعزيز مدينة جدة سنة ١٣٤٤ هـ، كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم ما يسمى (قبة حواء)، وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان، والتي كان يتقرب بها الناس - كما يظنون - إلى الله تعالى، ولقد سبق للدولة السعودية الأولى أن أزلت قبة حواء، ثم أعيد بناؤها في العهد العثماني، في ولاية الحاج عثمان باشا القرملي، الذي أسندت إليه ولاية الحجاز، سنة ١٢٥٧ هـ^(١).

ومن القبور التي هدمت - وقد كانت معظمة في ذلك الوقت، وكان عليها قباب عظيمة - قبر شيخ العلوية، وهو قريب من باب مكة، وقبر الشيخ أبو سرير، وقبر الشيخ أبو حنة، ومقام الشيخ أبو عنبة، وقبر الإمام الشهيد المعروف بالمظلوم^(٢).

كما أن الملك عبدالعزيز حرص على هدم القباب المبنية على مقابر بعض الصحابة وغيرهم في البقيع، بالمدينة المنورة، وكذا القبة المبنية على قبر عبدالله بن السامر، في نجران^(٣).

وقد وضع الملك عبدالعزيز حداً للجهل، والممارسات العقديّة المنحرفة، في مناطق جنوب غرب المملكة العربية السعودية.

(١) أعلام الحجاز، (٣/ ١٨٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية (ص/ ٧١).

ويصف الشيخ عمر المدخلي^(١) في كتابه: "النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية" أحوال تلك المناطق في تلك المرحلة - أي قبل حكم الملك عبدالعزيز - أنها شأنها شأن غيرها من بلاد المسلمين، كانت الحالة الدينية فيها قد وصلت إلى درجة كبيرة من الجهل بالعقيدة، وأمور الشريعة؛ إذ كانت مليئة بقبور من يسمونهم "الأولياء والسادة"، يدعوهم من دون الله، ويتوسلون بهم إلى الله؛ لطلب نفع، أو كشف ضرر. ورغم وجود بعض العلماء في البلاد في تلك الفترة؛ إلا أنهم لم يستطيعوا تغيير الأوضاع وإصلاحها. ويرجع الشيخ عمر المدخلي السبب في ذلك إلى عدم وجود السلطة، التي تناصر أولئك العلماء، فيما لو قاموا بالإصلاح، حيث يقول: "وأظن أن عذر هؤلاء العلماء أنهم لم يجدوا حكومة في ذلك الزمان، تشجعهم، وتناصرهم، وتساعدهم، وتساندهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح والبيان للعامة؛ لأن الناس كانوا في جاهلية جهلاء، في المناطق كلها، وذلك قبل تولي الحكومة السعودية لهذه المنطقة"^(٢).

(١) هو عمر بن أحمد جردى مدخلي، ولد عام ١٣٤١هـ، من تلاميذ الشيخ عبدالله القرعاوي، له ترجمة نفيسة لشيخه المجدد القرعاوي؛ تحوي معلومات قيمة من حياة الشيخ أسندها عنه بقوله: (سألت الشيخ). توفي السبت ٢٤/١١/١٤٢٩هـ، عن عمر يناهز التسعين عاماً، في مدينة صامطة جنوب مدينة جيزان.

المرجع: موقع ملتقى أهل الحديث، منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين.

(٢) النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية، (ص/٢٩ - ٣٣).

ثم يبين المدخلي أوضاع تلك المناطق، وتحسن أحوالها الدينية؛ بعد انضمامها للحكم السعودي، ويوضح جهود جلالته المبكرة، ببعث الدعاة، وأثرهم في إصلاح المجتمع، بقوله: "ولما أراد الله إنقاذ هذه المناطق من مظاهر الشرك وإزالة البدع والمنكرات، قيض لها الملك عبدالعزيز؛ فتولى حكمها، ووطد الأمن، وبعث الدعاة والمرشدين؛ لتعليم الجهال أمور دينهم، وإزالة البنايات على القبور، والأخذ على أيدي السحرة، والدجالين، والمشعوذين، والمنجمين، ومن يسمونهم باسم السادة والأولياء، ونشر- العلم، فجزاه الله أحسن الجزاء"^(١).

ومن الخطوات العملية المبكرة التي قام بها الملك عبدالعزيز، للقضاء على بعض المظاهر الشر-كية، التي كانت موجودة هناك، مثل التقرب والعبادة لبعض الأضرحة الموجودة؛ بعثه بالقوة الخاصة إلى مناطق جنوب المملكة، بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وابن لؤي عام ١٣٥١ هـ للقيام بتلك المهمة التصحيحية. وقد أرسل معهم خطاباً إلى العلماء في ذلك الوقت، جاء فيه: "الشر- ماله إلا طمسه، وجهاد عبدة الشيطان واجب على المسلمين، إلى أن يثخنهم الله، أو ينقادوا لأمر الشرع"^(٢).

(١) النهضة الإصلاحية (ص/ ٣٣).

(٢) الملك عبدالعزيز والعمل الخيري (ص/ ١٦١).

٢- هدم الأصنام:

ومن صور حرص الملك عبدالعزيز على إزالة جميع مظاهر الشرك، المنتشرة عند بعض المسلمين، والتي كانت تؤدي إلى صرف شيء من العبادة لها؛ هدم صنم ذي الخلصة؛ وهو صنم من أشهر أصنام الجاهلية، كان في منطقة تبالة^(١)، وهو عبارة عن مروة بيضاء، منقوش عليها كهيئة التاج. وجاء في الموسوعة الإسلامية الميسرة: ذو الخلصة؛ اسم بيت، كان بعض العرب يعظمونه في الجاهلية^(٢).

وقيل: الخلصة بيت أصنام، كان لدوس وخثعم ولجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب، وهو صنم لهم، فأحرقه جرير بن عبدالله البجلي، حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة^(٣).

وقد هُدم عدة مرات، ثم بني أخرى، وقد أمر الملك عبدالعزيز بهدمه، وكان يقع في منطقة تبالة، قرب بيشة، وقد هدم بواسطة عامل الملك

(١) تبالة: تبعد عن مدينة بيشة (٤٥) كيلو متراً إلى الغرب، ويطلق اسم تبالة على الوادي الذي يُعد أحد فروع وادي بيشة الأربعة، ويصب في وادي تبالة (٤٦) رافداً، وتقع تبالة على الطريق التجاري الهام الذي يربط جنوب المملكة واليمن بالحجاز، ماراً ببيشة، وهو أسهل الطرق للقوافل وأيسرها.

انظر: قصر الثغر الأثري بتبالة، سيف بن عامر آل خثيل، ضمن ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية: حمايتها والمحافظة عليها، المجلد الثاني، ت ط: ١٤٢٢هـ، المنعقدة في الرياض ١٥-١٨ من رجب ١٤٢٠هـ.

(٢) (١١٣/٦).

(٣) معجم البلدان، (٢/٣٨٣).

عبدالعزيز على تلك الناحية، "عبدالعزيز بن إبراهيم"، ونكّل بسدنته، وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائه^(١).

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة»^(٢). والمراد: يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة، أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها.

٣- إقفال الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية:

الزوايا: جمع زاوية وهي: مأوى للمتصوفين والفقراء^(٣). وتطلق على الدار التي يتخذها المتصوفة^(٤) للعبادة والتزهد، وكانت مركزاً لاجتماعهم وتعليم مذهبهم، وقد كثرت فيها البدع والخرافات مع مرور

(١) انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، (٣/ ٨٢١)، والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد غامد وزهران) (ص/ ٩٣)، ورجال حول الملك عبدالعزيز، (عبدالعزيز بن إبراهيم البراهيم)، تأليف: د. عبدالله أبو راس، ١٤١٦هـ، (ص/ ٢٣٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، رقم (٦٨٥٥)، ورواه مسلم، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذي الخلصة رقم (٢٩٠٦).

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٤٢٣).

(٤) المتصوفة: سموا بذلك نسبة إلى اللبسة الظاهرة، وهي الصوف غالباً، ولقد مر التصوف بعدة مراحل: فقد كان في أوله زهداً في الدنيا، وانقطاعاً لعبادة الله عز وجل، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة، ثم صار إلحاداً وخرجاً عن دين الله، فقالوا بالحلول، ووحدوا الوجود، وإباحة المحرمات، وترك الواجبات، وعلم الباطن.

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، للفخر الرازي، ص ٨٧، ١١٥، المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، ص ١٣٠، ١١٢، مطبوع بهامش اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، انظر: رقم ٣٢.

الزمن، وانتشرت الزوايا في بلاد الحجاز، خاصة في مدينة جدة، وقد أمر الملك عبدالعزيز بإقفالها، ومنع ممارسة البدع والخرافات بداخلها. ومن أشهر الزوايا التي تم إغلاقها: زاوية السيد البدوي^(١)، في محلة المظلوم^(٢) قرب سوق الجامع^(٣)، وهي أشهر الزوايا وأكثرها بدعاً وخرافات. كما كان في حارة المظلوم زاوية أخرى للطريقة القادرية^(٤)، وفي

(١) هو أحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر البدوي من كبار الصوفية، ولد سنة ٥١٦ هـ، بفاس بالمغرب العربي، هاجر أبوه إلى مكة، وهاجر منها إلى مصر بعد أن مر على المغرب والعراق، أقام في مدينة طنطا، ومات فيها سنة ٦٧٥ هـ، وبنيت على قبره قبة، وهي اليوم مزار لعامة الناس الجهلة.

انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص ٣٥٩، الفرق الصوفية في الإسلام ص ١٣٦، تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ص ٣٦٢.

(٢) محلة المظلوم: وتسمى حارة المظلوم نسبة إلى الشيخ عفيف الدين عبدالله المظلوم، وقبره داخل سور جدة في جهة الشام، وسمي المحل والبقة التي هو فيها بالمظلوم من باب تسمية المحل باسم الحال. ويدعي أصحابه أن له كرامات خارقة مشهورة؛ لذا تأتي إليه النذور والصدقات من جميع الجهات، ويأتيه الناس من الهند والشام واليمن، ومن العجم يأتون قبره؛ يندرون، ويذبحون؛ معتقدين بصدقها.

انظر: السلاح والعدة في تاريخ جدة، ص ١١٥..

(٣) سوق الجامع من الأسواق التي أنشئت بعد عام ١٢٨٨ هـ، ١٨٧ م، في جدة. انظر: جدة خلال الفترة (١٢٨٦-١٣٢٦ هـ)، ص ٦٠.

(٤) الطريقة القادرية: الطريقة: هي الأسلوب والمنهج، والقادرية: هي طريقة صوفية تنسب إلى عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلاني، وهو أعجمي ولد في جيلان سنة ٤٧١ هـ، وعاش ببغداد وتوفي بها سنة ٥٦١ هـ، انتشرت الطريقة في حياة مؤسسها في اليمن وسوريا والعراق ثم تركيا والمغرب والهند، والمركز الرئيسي للقادرية في بغداد.

انظر: الأعلام، (٤/٤٧)، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية ص ٢٩٩.

حارة الشام^(١) زاوية للطريقة الجيلانية^(٢)، وفي العيدروس قريباً من مستشفى جدة الحكومي العام زاوية العيدروس^(٣) (٤).
وهناك زاوية معروفة في آخر سوق النداء، يوجد بها قبر أبو سيرير^(٥) وضريحه^(٦).

ومن الزوايا أيضاً: زاوية الشاذلية^(٧) بحارة اليمن، وزاوية السنوسي^(٨) بمنطقة العيدروس، وزاوية

(١) حارة الشام وحارة اليمن تقعان ضمن سور جدة القديم، ويقع فيها مسجد الشافعي، وسوق الجامع. انظر: جدة خلال الفترة (١٢٨٦ - ١٣٢٦هـ) ص ٥٩.

(٢) الجيلانية: هي القادرية، وتسمى بالجيلانية نسبة إلى عبدالقادر الجيلاني، وزاوية الجيلاني كانت جنب مسجد الحداد بجدة. انظر: السلاح والعدة في تاريخ جدة، ص ١١٣.

(٣) زاوية العيدروس: نسبة إلى عبدالله بن أبي بكر بن عبدالرحمن العيدروس، من مدينة قريم في حضرموت، مات فيها سنة ٨٦٥هـ، والطريقة العيدروسية منتشرة في حضرموت والهند وأندونيسيا، وهي طريقة ذات تأثير ضئيل. انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص ٣٦٣، الفرق الصوفية في الإسلام، ص ١٢٩.

(٤) أعلام الحجاز (١/١٠٤، ١٠٥).

(٥) لم أفق على ترجمته.

(٦) أعلام الحجاز (٣/١٨٤).

(٧) الشاذلية: طريقة صوفية تنسب على مؤسسها أبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، رحل إلى مصر وسكن الإسكندرية، انتشرت طريقته في مصر والسودان والمغرب، تروي كتب الصوفية كثيراً من كراماته وأقواله؛ البعيدة عن التصديق، التي تنطوي على مخالفة صريحة لعقيدة الإسلام. انظر: الأعلام: (٤/٣٠٥)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/٢٧٩).

(٨) السنوسي: هو الشيخ محمد بن علي السنوسي، مؤسس الدعوة السنوسية، ولد في مستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢هـ، وتوفي في ليبيا عام ١٢٧٦هـ، ودعوة الشيخ إصلاحية تعتمد على الكتاب والسنة، وقد ظهرت في ليبيا، ومنها انتشرت إلى شمال إفريقيا، والسودان، والصومال، وبعض البلاد العربية، ولها دور في محاربة الاحتلال الإيطالي. انظر: الأعلام (٦/٢٩٩)، أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، د. شوقي أبو خليل ص ١٧٢، الموسوعة الميسرة (١/٢٩١).

الأسنوي^(١) بحارة اليمن، وزاوية الميرغني^(٢)، وزاوية ابن علوان^(٣)... وغيرها كثير. فلقد كانت الزوايا في بلاد الحجاز كثيرة، والطرق عديدة، حتى ذكر أن في جدة ما يزيد على مائة زاوية^(٤).

وقد أصدر الملك عبدالعزيز أوامره بقفل جميع الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية، والقضاء على جميع الخرافات والأباطيل، التي كانت منتشرة فيها.

٤ - منع الاحتفال بالمواسم البدعية:

عندما انتشرت الزوايا الصوفية في ذلك الوقت، ظهرت معها الاحتفالات المتعددة، وإحياء الليالي الخاصة، التي يصاحبها الكثير من الفساد، والمجون، والمخالفات الشرعية.

وهذه الاحتفالات كثيرة جداً، فهم يحتفلون بالمواسم التي اعتاد الناس على الاحتفال بها في ذلك الزمان؛ نتيجة لقلّة العلم، وانتشار الجهل، وكان العامة يعنون بالاستكثار من المناسبات ليحتفلوا بها في صخب ولعب، فيحتفلون بأول السنة الهجرية، وبآخر أربعماء في صفر، وبمولد

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) الميرغني: هو محمد عثمان الميرغني بن محمد أبي بكر بن عبدالمحجوب من الطائف، انتقل إلى مصر ثم السودان، واستقر في الخاتمية جنوب "كسلا"، ومات فيها سنة ١٢٦٨ هـ، وهو من تلاميذ أحمد بن إدريس، وتنسب له الطريقة الميرغنية. انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٣٦٦.

(٣) ابن علوان: هو محمد بن محمود علوان، تنسب له الطريقة العلوانية. انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٣٥٦.

(٤) أعلام الحجاز (٣/ ١٨١، ١٨٢).

النبي صلى الله عليه وسلم، وبمولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في شهر ربيع الأول، كما يحتفلون بدخول رجب، وخروج شعبان، وجميع ليالي رمضان، وبالأخص أواخره، فتدق طبولهم، وتشدو مزاميرهم، فيرقصون في حماس على دقات الطبول، ويلعبون بعصيتهم الغليظة، علاوة على أيام خاصة بالطرق الصوفية نفسها، حيث تذبح في حفلاتهم الذبائح، وتمد موائد الطعام، وتوزع الحلوى، ويمارس فيها شيخ الطريقة وأتباعه أسلوب طريقتهم، وتتخللها الأغاني، ينشدها المنشدون، وتسير فيها مواكب كبيرة، يتقدمها شيخ الطريقة وأتباعه، ويشارك فيها الدهماء والأطفال، وهم يغنون ما يعتبرونه ذكراً، وفي مثل هذه التجمعات يحدث من المساوئ ما يبرأ منه الذكر الصحيح، وما لا يرضاه الخلق القويم، وقد ظل ذلك حتى أنكره العلماء في العهد السعودي الثاني، وأمرت الحكومة بمنعه، وهي في جملتها من البدع السيئة التي نحمد الله تعالى على تخلص البلاد منها، فهي منافية للدين، ومضیعة للمال، والوقت، وملهية للناس عن الصالح من الأعمال^(١).

والغالب أن هذه الاحتفالات علاوة على كونها بدعة، لا تخلو من وجود الشـركيات والمنكرات، لذلك منع الملك عبدالعزيز إقامة هذه الاحتفالات، أو إحياء ليالي خاصة لمناسبات معينة.

(١) انظر: أعلام الحجاز (١/ ١٠٤، ١٠٥)، وتاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع

(ولقد كان - رحمه الله - يجاري فيما يهون أن يجاري فيه من آراء وتدخلات، وأيسرها عنده ما يتعلق به شخصياً، كموقفه يوم تقرر الاحتفال بعيد رسمي لمرور خمسين عاماً على فتح الرياض ٤ شوال ١٣٦٩هـ (٢١ يوليو ١٩٥٠م) فقد أعدت الحكومة والجماهير الوسائل لإقامة المهرجان في عامة الحواضر، وبدأت الصحف تشير إلى ذلك من يوم ١٥ رمضان ١٣٦٩هـ، إلا أن وزارة الخارجية في جدة، ما عتمت^(١) أن أصدرت بياناً قالت فيه: "كانت الحكومة قد قررت الاحتفال بالذكرى الذهبية لدخول جلالته الملك إلى الرياض منذ ٥٠ سنة، وقد استفتى علماء الدين مؤخراً في ذلك، فأفتوا بأنه ليس من سنن المسلمين، ولا يجوز أن يتخذ المسلمون عيداً إلا في عيدي الفطر والأضحى، ونزولاً من جلالته على حكم الشريعة، أمر بإلغاء المراسم والترتيبات، وكتب يوسف ياسين: «إن إلغاء لفظ العيد كان بأمر ملكي ونزولاً على رأي علماء نجد؛ لأنهم رأوا ابتداءً في تسمية أيام بأيام العيد لم ينزل الله بها من سلطان»^(٢).

لا نستغرب هذا الموقف من الملك عبدالعزيز إذا علمنا أن المنهج الذي التزمه هو المنهج السلفي، في فكره وسلوكه، لم يكن هذا الحدث بالأمر الذي يعز عليه الاستسلام أمامه والموافقة عليه، لعلاقته به، ويوم من أيام انتصاراته التي تتابعت بعده، أما إذا بلغ الأمر مبلغ المخالفة للشرع، فهنالك الحزم، بعد استنفاد أساليب الإقناع، خاصة لما علم الملك أن هذه

(١) أي سارعت.

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز (٧٤٣/٢).

الاحتفالات عادة أوروبية، أكثر من كونها إسلامية أو عربية، فرحب الملك المتواضع بهذا الرأي، فلم يدفعه سراب الدعوة إلى التجديد؛ للتقليد، وأعلن موقفه بكل صراحة وجرأة.

وقد حذر علماء المسلمين من تخصيص أيام محددة بعبادات؛ لم يشرعها الله، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم.

فلو كانت ليلة النصف من شعبان، أو ليلة أول جمعة من رجب، أو ليلة الإسراء والمعراج، يشرع تخصيصها باحتفال، أو شيء من العبادة، لأرشد النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إليه، أو فعله بنفسه، ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الأمة ولم يكتموه عنهم، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه، شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب، ولا في فضل ليلة النصف من شعبان، وبذلك فالاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام^(١).

٥- الحد من التبرك الممنوع:

لما عادت مظاهر الشرك تظهر من جديد في البلاد، كثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والبناء عليها والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن، والذبح لهم، ووضع الطعام، وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم، ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله.. وغير ذلك من الشرك

(١) انظر: تفصيل الفتاوى بهذه الأيام والليالي، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٣٠٤)، البدع

الحولية (ص/ ٢٩٨)، البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع حمود المطر، (ص/ ٦١٠ وما

بعدها).

الأصغر والأكبر. فكانوا يخرجون بالمرضى إلى بعض البقاع، فيذبحون عندها، ويهدون إليها الحلى والحلل، وخواتم المرضى، وعاد بعضهم إلى قريب من حالته الأولى؛ بسبب ارتكاب هذه المحرمات^(١).

قال الأستاذ محمد مغربي: "وإني لأذكر أنه كان في محلة المظلوم، قرب سوق الجامع، زاوية السيد البدوي، وكانت تعلق فيها سبحة من الخشب كبيرة، حجم حباتها مثل حجم البيضة، وكان يدعى أنها المسبحة التي كان يستعملها السيد البدوي للذكر، كما كان هناك جبة خضراء، وعمامة عظيمة، وغيرها، وكنت وأنا صغير السن أتسلق الشباك؛ لأرى المسبحة والعمامة وكان عقلي الصغير لا يسلم بصحة ما أرى؛ لأن المبالغة فيها والتهويل واضحان بجلاء"^(٢).

ويقول في موضع آخر: "وقد أدركت أن هذه السبحة أكذوبة كبيرة، يتسلط بها القائمون على الزاوية على عقول السذج والبلهاء، ونحمد الله أن أزيلت هذه البدع، وانتهت هذه الترهات، وعادت العقيدة إلى صفائها ونقاؤها؛ لأن العهد السعودي قضى على كل هذه البدع والخرافات، من اليوم الأول لتسلمه زمام الأمور"^(٣).

وقد أمر الملك عبدالعزيز بمنع التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره، أو الطواف عليه أو تقبيل القبة والحوائط^(٤).

(١) الجغرافيا الأدبية، (ص/٥٠٤).

(٢) أعلام الحجاز (١/١٠٤).

(٣) المرجع السابق (٣/١٨٢) بتصرف يسير.

(٤) مجلة المنار، المجلد ٣٧ (ص/١٦٢).

وأقيمت مكتبة مكان البيت الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أنشئت مدرسة مكان دار أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وكذلك هُدم بيت فاطمة - رضي الله عنها - في زقاق الصواغة؛ لأن بعض الناس كانوا يتخذون من بعض الأماكن الكريمة مقراً للشعوذة، والضحك على بسطاء العقول، وخاصة من الحجاج والجهلة^(١).

وهذا الفعل من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يدل على عنايته بالمحافظة على العقيدة الصحيحة، فإنه سمح ببناء مدرسة ومكتبة؛ ليقطع الطريق، ويغلق الباب على كل من تسول له نفسه بالتبرك بزيارة هذه الأماكن، أو اتخاذها فرصة للشعوذة والدجل، وإفساد عقائد الناس.

ولقد تحلى الملك عبدالعزيز بالشجاعة في محاربة البدع، ويظهر ذلك جلياً في موقفه من بدعة "المحمل" وما تحمّله من جهد في سبيل معالجتها، وحل مشكلتها^(٢).

حيث كان الأتراك العثمانيون قد تعودوا أن يرسلوا إلى مكة عن طريق ولاتهم كل سنة محملاً يحمل الكسوة للكعبة المشرفة، والمحمل هو: جمل منصب عليه هودج، ويزين بأنواع الزينة، يجعلونه في مقدمة ركب قافلة الحج، ويأتي في موكب من الطبول والمزامير، الذي لا يتفق مع قدسية المكان، بل جعلوا ذلك كالسنة المتبعة، أو الفريضة الشرعية، حتى توهم العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج، وبالغوا في تعظيمه، وكان بعض الناس يتمسحون به ويقبلونه.

(١) انظر: أعلام الحجاز (١/ ٨٥).

(٢) الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة (ص/ ٥٤).

وقد عدَّ علماء الدعوة هذا كله من البدع المستحدثة في الدين يجب محاربتها، ولذلك عندما دخل الإمام سعود بن عبدالعزيز الحجاز سنة ١٢١٨هـ منع المحمل من المجيء إلى أرض الحجاز. بل أرسل إلى السلطان العثماني رسالة يحذره فيها من إرسال المحمل؛ لأنه بدعة لا يرضاها الشرع. وفي موسم حج عام ١٣٤٤هـ، في اليوم الأول من عيد الأضحى، حدث صدام شديد بين حجاج نجد، والموكب الذي قدم من مصر - ومعه (المحمل) على جمل يتهدى بين الجموع، تحيط به موسيقاه، وعساكره ودباباته. وحصل إطلاق نار على الجموع وتراشق بالحجارة، ونصب للمدافع والرشاشات، فتدخل الملك عبدالعزيز في أشد اللحظات حرجاً، ووقف بكل شجاعة منادياً في الجموع فهدأ إطلاق النار وتدخل الجند السعودي، وانكف الناس، واحتُجز المحمل عن الأنظار^(١).

وبعد ذلك منع الملك عبدالعزيز من دخول المحمل إلى مكة المكرمة؛ لما فيه من بدع كثيرة، حيث لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - ولا السلف الصالح. وأضاف إلى ذلك ما تحمله مراسيم الدخول من موسيقى، وقرع طبول، وتوزيع حلوى، وهدايا، وتمسح الناس به، والتبرك بلمسه؛ فلهذا قضى - الملك عبدالعزيز على هذه البدعة وعالج الأمر مع السلطات المصرية بحكمة وسياسة محكمة.

(١) انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز (٢/٦٦٣).

وإن موقف الملك عبدالعزيز من التبرك والتمسح بالمحمل كان لأجل سد الذريعة؛ لأنه يفضي - إلى التعلق بغير الله، ومعلوم أن التبرك بالأشجار، والأحجار، والآثار، والنباتات، والأشخاص أحياناً وأمواتاً؛ لا يجوز؛ لأنه إما شرك - إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة - أو وسيلة إلى الشرك - إن اعتقد أن زيارته وملاسته والتمسح به سبب لحصولها من الله.

(وإن هذه النزعة أي نزعة تقديس الأشياء والأشخاص صارت في أهل البدع والمقابرية، وأول من أظهرها ونشرها هم الرافضة ثم أصحاب الطرق الصوفية، ثم ما لبث أن صارت سمة من سمات أهل الأهواء غالباً^(١)).

٦- القضاء على وثنية الخضوع للسلطان:

من التقاليد الأعجمية التي ابتليت بها الأمة العربية أثناء حكم الأتراك، والتي تنافي توحيد الله؛ تعظيم السلطان أو نائبه الحاكم، ذلك التعظيم والتقديس، اللذان يشبهان نوعاً من العبادة. وهي تنافي كرامة العربي وإبائه، من حيث تذللته، وخضوعه، وسجوده على يده، بل على ركة نائب السلطان، في بلد عربي كالحجاز.

ولقد كان المواطن من الناس (يتناول يمين الملك "السلطان العثماني" فيقبلها، ثم يتناول اليسرى فيقبلها، ثم يرتفع بفمه إلى رأس الملك فيقبل

(١) الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام، (ص/٢٧).

طرف عمامته، ثم ينحدر إلى ركبته فيقبلها، ويتراجع فيجلس حيث يؤمر^(١).

وهناك أشكال عديدة وحركات كثيرة لتقبيل اليدين^(٢)، ومدّها لمقبلها، يندهش لها كل من يطلع عليها. وكان السلاطين في ذلك الوقت يتفننون في إذلال الشعوب، واستعبادهم؛ كحركات الركوع، والخنوع، والخضوع، حتى يصل الأمر عند بعضهم إلى تقبيل القدمين. وما ذكرناه صورة من الصور التي يعامل بها السلطان مواطنيه.

(و حينما وحد الملك عبدالعزيز الحجاز مع نجد، وقبلها بلاد عسير وتهامة، وأصبح ملكاً عليهما، كان لا يرضى لنفسه بأن يسلم عليه أي إنسان وهو جالس، فضلاً عن أن يجعل وجهاء قومه ينحنون خانعين، يقبلون ركبته أو قدمه، علماً بأنه يسلم عليه كل يوم، من قومه، ومن غيرهم من الوافدين من خارج المملكة، عدد لا يقل عن خمسمائة زائر - هذا في الأيام العادية - ومع ذلك يقوم واقفاً لكل من يسلم عليه، وهذا مظهر عربي وإسلامي من الملك عبدالعزيز، جدير بأن يجعل عرب الحجاز ينبذون تلك العدوى الدخيلة على أخلاقهم الإسلامية، وشيمهم العربية^(٣). ولم يسلم الناس على الملك عبدالعزيز - وهو جالس - إلا حين أقعده المرض عن المشي والقيام، وذلك في آخر حياته - رحمه الله -.

(١) من شيم الملك عبدالعزيز (٣/ ٢٨٨).

(٢) انظر تفصيل هذه الحركات وأوضاعها في المرجع السابق (٣/ ٢٨٦).

(٣) من شيم الملك عبدالعزيز (٣/ ٣٠٩).

وما كان يفعله السلاطين والحكام في ذلك الوقت هو بدعة في الدين، حيث توصل إلى تأليه البشر، وتشبه تأليه الأصنام والأوثان؛ لأن فيها صرف لبعض أنواع العبادة التي لا يجوز للإنسان، ولا يصح له أن يصرفها إلا لله تعالى، وهذه الأنواع من الركوع، والخضوع، والسجود، إذا صرفها المرء؛ بدافع الخوف والرجاء، لذوي السلطان، من بني البشر، فإنه يكون كالمشرك الجاهلي عابد الحجر.

يقول فؤاد شاكر: (لقد شهدتُ الملك أشد ما يكون غضباً وثورة وهياجاً ذات صباح، والملك قليل الغضب، إلا حينما يتصل بأمر الدين، حيث لا تأخذه فيه لومة لائم، والحق أحق أن يتبع، كما كان يقول، وحيث محارم الله، التي لا يُسمح بانتهاكها، دخلت على جلالته أستأذنه في دخول هيئة عليا، من هيئات بعثات الحج الرسمية، وحين دخلت بهم على جلالته، وهو يتصدر مجلسه، وأنا أتقدمهم، فما راعني إلا أن حركة ثورة عارمة في وجه جلالته، وما إن التفت إلى ورائي حيث رأيت البعثة ورئيسها يحنون رؤوسهم وقاماتهم وهاماتهم إلى ما يشبه الركوع، فإذا بجلالة الملك يصرخ في غضب شديد: لا، لا. ارفع رأسك يا شيخ، ارفع رأسك أنت وجماعتك، هذا حرام، حرام، لا يجوز الركوع لغير الله - سبحانه وتعالى - خالقنا العظيم)^(١).

ولفرط إحساسه بمعاني التوحيد، فإنه كان يقظاً لكل لفظ يجرح هذا التوحيد. فقد كان في إحدى زيارته لبلدة الخرج، في السابع من ذي الحجة،

(١) الملك عبدالعزيز: الشخصية والقيادة (ص/ ٣٥).

عام ١٣٦٣ هـ، إذ دخل عليه شاعر من أهل نجد، وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها، وابتدأ بمطلعها:

أنت آمالنا وفيك الرجاء!!

فصاح الملك تحسأً، ولمح في المجلس الشيخ حمد الجاسر، فقال:
"علمه التوحيد يا ابن جاسر"^(١).

كان يدرك أن هذه الألفاظ من معاني توحيد الألوهية، ومن أنواع العبادة التي لا يجوز صرف شيء منها أو نسبته لغير الله، لذلك بادر بتصحيح الخطأ؛ لأن عدم المبادرة إلى تصحيح الخطأ قد يفوت المصلحة ويضيع الفائدة، وربما تذهب الفرصة، وتضيع المناسبة، ويبرد الحدث، ويضعف التأثير.

وهكذا قضى الملك عبدالعزيز على جذور تلك الرواسب الوثنية، وقضى على التقاليد التي أدخلت على الدين الإسلامي.

٧- منع الذكر الجماعي:

انتشر بين الناس الذكر بشكل جماعي، خاصة بعد الصلاة المكتوبة، وبشكل يتنافى مع السنة النبوية، وقد ظهرت هذه البدعة في أول أمرها في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأنكرها عمر، وغيره من الصحابة - رضوان الله عليهم -^(٢).

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز (ص/٧٤٦).

(٢) الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام، (ص/٢٧).

عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه لما اتخذ أصحابه مكاناً يجتمعون فيه؛ للذكر، خرج إليهم، فقال: (يا قوم لأنتم أهدى من أصحاب محمد، أو لأنتم على شعبة ضلالة)^(١).

فالاجتماع على الذكر بصوت جماعي لا أصل له في الشرع، لهذا قام الملك عبدالعزيز بمحاربة هذه البدعة، حتى اندرست واختفت من المساجد.

قال الأستاذ محمد مغربي: (كانت هذه الزوايا قائمة في مدينة جدة، وكان أصحاب هذه الفرق يمارسون ما يسمونه بـ"الذكر"، بأسلوب لا يتفق وصفاء العقيدة الصحيحة، ولقد أدركت بعض المنتسبين إلى هذه الطرق الصوفية، في أواخر العهد الهاشمي، وهم يؤدون ما يصفونه بالذكر، ويخرجون جماعات إلى الطرقات، يسبقهم الطبل والزمير، وهم يغنون ويرقصون، ويأتون بحركات لا تتفق ووقار الذكر وخشوعه، ويقىمون الولايم في أعياذ خاصة بهم، ويجيون الليالي في احتفالات صاخبة، حتى دانت البلاد لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - أبطلت هذه الطرق الصوفية، وانتهت تلك البدع السائدة)^(٢).

إن الأذكار الجماعية، أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جماعة، عقب الصلوات المفروضة أو النافلة؛ من البدع المحدثه في الدين، لم

(١) رواه الدارمي في سننه في المقدمة (١/٦٨)، وابن وضاح القرطبي، في البدع والنهي عنها، (ص/٨-١٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (١/١٨١، ١٨٢).

(٢) أعلام الحجاز (٣/١٨٢).

يفعلها السلف الصالح، ولم يفعلها المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم يأمر بها ولا أقرها. والمشروع للمسلم أن يسبح الله بنفسه، ويحمده، ويهلله، ويشني عليه بما هو أهله، في بيته، وفي المسجد، حيث شاء، من غير أن يتخذ حلقات، أو يمشي بالموالك والتجمعات، ونحمد الله أن وفق ولاية الأمر للقضاء على هذه البدع.

٨- منع تعدد الجماعات في المسجد الواحد:

كانت بدعة التعصب المذهبي ضاربة بجذورها في المجتمع، حتى وصل الأمر إلى أن كان يقام في المسجد الواحد أربع جماعات في الصلاة، لكل أهل مذهب جماعة وإمام، مما كان له أكبر الأثر في تفريق كلمة المسلمين، والتحريش بينهم.

ومن أوضح صور تفريق البدع للأمة، ما استمر عليه الحال في المسجد الحرام من تعدد الجماعات، على حسب المذاهب الأربعة، (فإذا دخل المسلم الحرم المكي، يجد فيه أربعة منابر: منبر للحنفي، وآخر للشافعي، وثالث للمالكي، ورابع للحنبلي، وكل إمام يقيم الصلاة بجماعة منفرداً بهم عن الأئمة الآخرين، إلى درجة يتصور بها الجاهلون بمعرفة جوهر الدين الإسلامي أن الإسلام أربع ديانات، لأنه دين واحد)^(١)، وقد استمر الحال مدة تزيد على ثمانمائة سنة، حتى قُضي -على هذه البدعة المنكرة؛ بدخول الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة، وأمر بتجميع الناس على

(١) من شيم الملك عبدالعزيز (٣/ ٣٠٧).

إمام واحد، وأعاد للمسلمين وحدة جماعتهم في الصلاة، وقضى - على هذه البدعة الخطيرة، فاندurst الفرقة، واجتمعت الأمة.
ومما يدل على ذلك قول محمد سلطان المعصومي - رحمه الله -:
(لما تشرفت بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة، لما شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس؛ زادني سروراً لا ضمحلال بدعة تعدد الجماعات، في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور، التي كانت من أضر الأشياء على عقيدة المسلمين)^(١).

إن إصرار الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، ومنع انتشار البدع، قد ترك آثاراً جليلة وواضحة على ما تنعم به المملكة اليوم، من السير على المنهج القويم، واتباع السنة الصحيحة.

المطلب الثالث: الجهود العلمية:

رغم النجاحات التي حققها الملك عبدالعزيز في حملات المهام الخاصة، التي كان يرسلها إلى المواقع التي تنتشر - فيها البدع والخرافات والشركيات؛ للقضاء عليها، إلا أنه كان يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك، ولهذا فقد اتبع تلك الخطوات العملية لإزالة المظاهر العقيدية المنحرفة، بخطوات عملية أخرى، لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي مكملتها؛ ألا وهي خطوات نشر الدعوة والعلم على أسس سليمة، وتبصير الناس بتعاليم الدين الصحيحة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم.

(١) مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي، (ص/ ٩٥).

وقد سلك الملك عبدالعزيز جميع السبل، واتخذ كافة الوسائل لتبليغ دين الله، وتنقية التوحيد من برائن الشرك والبدع، واستخدم جميع الوسائل التي راجت في الحياة الاجتماعية التي عاصرها؛ لما رأها تعين على بث الدعوة، والتي كان من أهمها المخاطبة المباشرة، والرسائل والمكاتبات، واستغلال التجمعات في المساجد، ومواسم الحج، وإرسال طلبة العلم للقرى والهجر؛ لتعليم الناس، وطباعة الكتب ونشرها، إلى غير ذلك. وسنستعرض فيما يلي الوسائل التي استخدمها الملك عبدالعزيز في هذا المجال، ومن أهمها:

١ - إلقاء الخطب وإقامة الحلقات في المساجد:

كان الملك عبدالعزيز يرى أن التعليم هو السبيل إلى إصلاح نفوس الناس الذين لم يروا مدرسة، ولم يسمعوا بمعلم، لذا جعل التعليم مقدمة أعماله في تصحيح مفاهيم الدين الخاطئة لدى الناس، وغرس أصول العقيدة الصحيحة، وتثبيت جذورها.

فأكثر من إنشاء المساجد؛ لعلمه أن المسجد هو مرجع المسلم ومدرسته، وهو الذي يغذي الإسلام في نفسه، لتردده عليه خمس مرات في اليوم والليلة، وبما يسمعه فيه من قرآن، وخطب، ودروس. وقد أمر الملك - رحمه الله - بإقامتها، وترديدها في المسجد، على مسامع الناس (فكانت

هناك حلقات تعليم خاصة، وحلقات وعظ عامة، تقام قبل الصلاة أو بعدها؛ وذلك لتوعية الناس بأمر دينهم^(١).

وقد يوجد في المسجد الواحد عدة حلقات لعدة مشايخ، خاصة إذا كانت المدينة كبيرة، ويتوافر فيها عدد من المشايخ (وقد نص الأمر الملكي على أن تكون العلوم التي تدرس هي: التوحيد، مع التركيز على محاربة البدع والانحرافات، وكذلك التفسير، والحديث، والفقه، واللغة العربية، والوعظ والإرشاد)^(٢).

ولقد كان المسجد في عهد الملك عبدالعزيز من أهم الوسائل العلمية؛ باعتباره قلعة حصينة للتربية الإيمانية، ومنطلقاً للدعوة إلى دين الله، منذ فجر الدعوة الإسلامية.

ولاشك أن رسالة المسجد تتأكد أكثر عندما تنتشر البدع والانحرافات في المجتمع، لهذا أصبحت في ذلك الوقت مركزاً للتعليم والنصح والإرشاد.

٢- إرسال العلماء وطلبة العلم إلى الهجر والبوادي:

كانت الدعوة التي نادى بالعودة للعقيدة الصافية، والتي انتهجها العلماء في عهد الملك عبدالعزيز، تنصب بشكل مباشر على ساكن الحضر، ومع ذلك كان الملك عبدالعزيز يرى أن البدو هم عصب الدولة، وأنهم

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، (٢/٤٢٦).

(٢) التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، (٢/٦٥).

يشكلون نسبة كبيرة من سكانها، (وكان يدرك - رحمه الله - خطر البداوة على مبادئ الدعوة السلفية، وأن الجبلية التي فطرت^(١) عليها القبائل أورثتها عادات وتقاليد تتنافى مع تعاليم الدعوة)^(٢).

ولما شخص الملك عبدالعزيز الداء اتضحت سياسته الحكيمة، في معالجة الشراكيات والخرافات، التي اتسمت بها التقاليد في البادية؛ فرأى في التوطين، والاستقرار، وتصحيح العقيدة؛ الدواء الناجح، حيث لا يمكن أن تتغير هذه المعتقدات إلا بتأثير هذا الدين، وإعادتهم إلى عقيدتهم السلفية، وإزالة البدع والخرافات.

وكان من حكمة الملك عبدالعزيز - وبعد توفيق الله له - أن واجه هذه البداوة، ووظف طاقاتها لخدمة الدعوة.

ولقد كان يسبق بناء المهجر تشييد المسجد ورفعته باعتبار أن المقصود من هذه المهجر تهذيب النفوس، وتربيتها، والمسجد خير وسيلة لتحقيق هذا الغرض، (وأن التعليم في المسجد هو الأساس الذي اعتمد عليه الملك عبدالعزيز، في تخليص العقلية البدوية من ترسبات العصبية، من الأعراف والمفاهيم، وتوجيهها إلى خدمة الدعوة)^(٣).

(عمل الملك عبدالعزيز على تحضير البدو، وإصلاح أحوالهم، واتخذ الدين دعامة لهذا الإصلاح العظيم، فبعث المطاوعة (الدعاة والمرشدين) إلى

(١) لعل الأصوب قول الجبلية التي نشأت عليها القبائل؛ لأن الفطرة توافق تعاليم الدين، لكن الجهل والانحراف عن الفطرة هو الذي يتنافى مع تعاليم الدعوة.

(٢) شبه الجزيرة، (١/٢٥٩).

(٣) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (١/٣٦١).

مضارب البادية يعلمونهم دين التوحيد وفرائضه، وما أوجبه الله، وما حرمه عليهم، فاستجابوا لدعوتهم، واستقامت أمورهم^(١).

وكان بعث الدعاة والمرشدين مثار اهتمام الملك عبدالعزيز، ومحل العناية التامة لديه؛ كان يحرص - رحمه الله - على بعث الدعاة، والمرشدين، والوعاظ، والأئمة؛ لتغطية مختلف مناطق المملكة العربية السعودية، كمًّا وكيفاً، وذلك على قدر حاجة المنطقة، وبقدر الإمكانيات المتاحة آنذاك.

وتحتفظ المصادر التاريخية بالعديد من الأمثلة لبعث الدعاة والعلماء، وسنكتفي بذكر بعض النماذج، فقد كان - رحمه الله - يحرص على انتقاء أولئك الدعاة والعلماء؛ لعلمه بحاجة أولئك إلى العلم من ناحية، ولصعوبة المهمة من ناحية أخرى.

كان الشيخ عمر بن محمد بن سليم^(٢) - قاضي وعلامة القصيم في زمانه - ممن انتدب لترشيح مجموعة من العلماء وطلبة العلم لبعثهم إلى جنوب غرب المملكة؛ دعاة، ومرشدين، وقضاة لتلك النواحي.

(١) الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، (ص / ٣٤).

(٢) عمر بن محمد بن عبدالله سليم ولد عام ١٢٩٩هـ في بيت علم وتقوى وصلاح، وقد حفظ القرآن في شهر واحد. لما بلغ سن التمييز صلى التراويح برمضان. وقد كان الملك عبدالعزيز - إذا أراد جمع العلماء المهمة من المهام - يدعو الشيخ عمر معهم، مع صغر سنه، قبل أن يبلغ الثلاثين من العمر. وكان يدرس القرآن والتجويد والتفسير والتاريخ الإسلامي، ويتنقل بين الهجر للتعليم والتدريس. توفي سنة (١٣٦٢هـ).

انظر: علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ص ٩٨، علماء نجد خلال ستة قرون

ففي آخر عام ١٣٥٣ هـ توجه الشيخ ابن سليم، ومعه قرابة ثلاثين من كبار طلبة العلم من تلامذته - بناءً على أمر من الملك عبدالعزيز - ووزعوا على محاكم مدن المنطقة الجنوبية الغربية وقرأها، ابتداءً بجيزان وما حولها، وانتهاءً بأبها^(١).

ومن النماذج التاريخية المتأخرة في حياة الملك عبدالعزيز لحمالات بعث الدعوة، وتوعية الناس بأمر الدين، وتصحيح المعتقد بالحكمة والموعظة الحسنة؛ تكليفه الشيخ سليمان الجربوع، ومعه اثنان من المطاوعة، واثنان من الخويما، بالتوجه على رأس حملة للظفير^(٢)، في محرم من عام ١٣٧٣ هـ، في مهمة للدعوة إلى الله، والإرشاد، وتفقد البلاد؛ من حيث الاعتقاد، والبدع، والمنكرات، وبيان كل ما في ذلك بالإرشاد^(٣).

٣- التعليم والدعوة في موسم الحج:

من سعة أفق الملك عبدالعزيز أنه كان يستغل مواسم الحج، في الدعوة إلى تصحيح العقيدة، والأخذ بالكتاب والسنة، وتنقية التوحيد من الشوائب، وأدران الشرك والخرافات، فكان له - رحمه الله - مآدبة كبرى، يلتقي فيها بعلماء الدول والحجاج، فيدعوهم إلى الله، وإخلاص العبودية له.

(١) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/٤٠٠)، الملك عبدالعزيز والعمل الخيري (ص/١٦٢).

(٢) الظفير: حي من أحياء مدينة الباحة.

(٣) الملك عبدالعزيز والعمل الخيري (ص/١٦٥).

وقد خطب - رحمه الله - في جمع غفير من ضيوف الرحمن فقال: (المسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، يجب أن يتدبر المسلمون معنى "لا إله إلا الله"، يجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلًا، ولا ملكاً مقرباً، يجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل، أما القول المجرد فلا يفيد، ما فائدة رجل يقول: لا إله إلا الله ولكن يشرك ما دون الله في عبادته، إن الإشراف مع عبادة الله كفر، وليس بعد الكفر ذنب)، ثم أضاف - رحمه الله -: (إن من أعظم الأوامر توحيد الله جل وعلا، توحيداً منزهاً عن الشرك)^(١).

وخطب - رحمه الله - في حجاج الهند، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (إن أول ما يلزمنا من الإسلام هي كلمة الشهادتين، ومعنى الشهادة "لا إله إلا الله" أنها تفيد إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، لا يوجد إنسان غير مذنب؛ لأن العصمة لله وحده، ولكن الذنوب على درجات؛ فمنها ما لا يمكن معه صفح أو غفران وهو الشرك بالله)^(٢).

ومن دلالات حرص الملك عبدالعزيز على نشر العقيدة الصحيحة، والتحذير من البدع والخرافات، أمره عام ١٣٤٧ هـ بتأسيس مدرسة لتعليم المطوفين ونوابهم، يتلقون فيها دروساً في علم التوحيد، والعبادات،

(١) جريدة أم القرى، العدد (٨٥٧)، الخميس ١١ ذي الحجة ١٣٥٤ هـ.

(٢) جريدة أم القرى، العدد (٦٢٦)، الإثنين ١١ ذي الحجة ١٣٥٥ هـ.

والمناسك، وأدائها، حسب ما دونه علماء السلف^(١). وهذا من اهتمام الملك عبدالعزيز على أن يكون حج المسلمين صحيحاً، موافقاً للسنة، بعيداً عن الخرافات، والبدع، والانحرافات العقدية.

٤ - عقد الاجتماعات وإجراء الحوارات:

اهتم الملك عبدالعزيز بعقد الاجتماعات العلمية، بين الشيوخ والعلماء، وإجراء الحوارات الفكرية؛ ليتباحثوا في مسائل من الشرع، ويقربوا وجهات النظر، ويوحدوا الآراء والأقوال، ولتتضافر جهودهم في سبيل القضاء على البدع، والخرافات، والأباطيل، التي تهدد الدين الإسلامي.

ومن أشهر الاجتماعات ما تم عقده بين علماء الحجاز وعلماء نجد؛ للتباحث في الأصول والفروع من الدين، وكان ذلك الاجتماع في يوم ١١ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، حيث اجتمع خمسة عشر من علماء مكة بسبعة من علماء نجد، وأصدر علماء مكة بياناً جاء فيه: قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل أصولية منها:

- أن من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه، يدعوهم، ويرجوهم في جلب نفع، أو دفع ضرر؛ فهو كافر حلال الدم والمال.
- أن البناء على القبور، واتخاذ السرج عليها، وإقامة الصلاة فيها؛ بدعة محرمة في الشريعة الإسلامية.

(١) الملك عبدالعزيز والعمل الخيري (ص / ١٨٩).

– أن من سأل الله بجاه أحد من خلقه؛ فهو مبتدع مرتكب حراماً^(١).

٥- تحرير الرسائل والخطابات للعلماء والشيوخ:

دأب الملك عبدالعزيز على حث العلماء لمحاربة البدع والضلالات التي تسربت إلى الإسلام، وأفسدت عقائده وآدابه، ولبّست على المسلمين أمر دينهم، فأصبحت حقائقه في وادٍ، وعقولهم في وادٍ، ورأى أنه لا بد للعلماء أن يتظافروا، ويبينوا للناس تعاليم الإسلام، كما جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان - رحمه الله - على تواصل كبير بالعلماء، ومتابعة لمستجدات الأمور معهم. وتعد الرسائل والمكاتبات من الوسائل المؤثرة، التي لا تقل أهمية عن الوسائل الأخرى، والتي استخدمها الملك عبدالعزيز، وكانت إما على هيئة برقيات، أو بلاغات، أو مذكرات، يملئها على كتاب الديوان، ولقد كان لدى الملك عبدالعزيز ملكات قوية في صياغة الخطابات، ووهبه الله قدرة على البيان والإقناع. فحرص على إرسال الرسائل للعلماء من أجل: حثهم على الدعوة إلى الله عز وجل، ونشر العلم النافع، ومحاربة البدع، وتبليغ الناس تعاليم الدين السمحة، وكان يحثهم على التحلي بالصبر، وسماحة الخلق، واللين والرفق في الدعوة، وفي الوقت نفسه يوصيهم ألا تأخذهم في الله لومة لائم، إذا انتهكت حرمان الله، وتعدى الأمر حقوق الله، وحقوق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

(١) الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة (ص/ ٢١، ٢٢).

وفي سبيل القضاء على البدع ونبذ الخرافات، أرسل الملك إلى الشيوخ والعلماء في عصره عدة رسائل ومكاتبات نورد عدداً منها: (من الأمثلة على اهتمام الملك عبدالعزيز بهدم مظاهر الشرك، هذه الرسالة التي وجهها إلى شيخ الحرم المكي في وقته الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد^(١)، وقال فيها: "إن شاء الله، على مسألة هدم القباب؛ جميع القباب تهدم حتى تساوى بالأرض.. ولا تحتاجون توصية بذلك.. تحرصون، لا يترك شيء من القباب مرة واحدة.. ١٧ / ٩ / ١٣٤٤ هـ)^(٢).

وتلاحظ أن الرسالة بالغة الدلالة، على تتبع الملك عبدالعزيز لكل صور الشرك، بالهدم والإزالة.

ومن نماذج رسائله المهمة ما جاء في الدرر السنية: (من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخوين المكرمين الشيخ الفاضل أبو اليسار الدمشقي، وناصر الدين الحجازي، سلمهما الله، أما بعد.. فالحمد لله الذي جعل لأهل الحق بقية وعصابة، تذب عن دين المرسلين، وتحمي حماه عن زيغ الزائغين.. وهذه منة عظيمة، حيث جعلكم الله في هذه الأزمان، التي غلب على أكثر أهلها الجهل والهوى، والإعراض

(١) عبدالله بن سليمان بن سعود البليهد، ولد عام ١٢٨٤ هـ في القرعاء شمال بريدة، وكان يتوقد ذكاءً وفطنة منقطعة النظير، من شيوخه محمد بن عبدالله بن سليم، والشيخ عبدالله بن فدا، وعبدالله ابن عبداللطيف، كما أخذ عن علماء الحديث في الهند، توفي سنة ١٣٥٩ هـ في الطائف.

انظر: علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم (٢/ ٣٣٢)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، البسام (٤/ ١٣٨).

(٢) من وثائق الملك عبدالعزيز، إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الحرس الوطني، ١٤١٠ هـ، (ص / ١٥٣).

عن النور والهدى، واستحسنوا عبادة الأصنام والأوثان، وصرفوا لها خالص حق الملك الديان، ورأوا ذلك قرينة ودينياً، يدينون به، ولم يوجد في أزمان متطاولة، من ينهى عن ذلك أو يغيره.. فعند ذلك اشتدت غربة الإسلام.. وصار من ينكر ذلك ويحذر عنه خارجياً، قد أتى بمذهب لا يعرف؛ لأنهم لا يعرفون إلا ما ألفته طباعهم، وما وجدوا عليه أسلافهم وآباءهم؛ من الكفر، والشرك، والبدع، والمنكرات الفظيعة.. فاغتنموا رحمكم الله الدعوة إلى الله، وإلى دينه وشرعه، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله، ونزلت به كتبه، من البيئات والهدى، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بالحجة والبيان، حتى يمن الله الكريم عليكم بمن يساعدكم على هذا...) (١).

وهذه رسالة من الملك عبدالعزيز إلى الحفظي، يوصيه بتحقيق الشهادتين: (من عبدالعزيز بن سعود إلى جانب الأخ في الله محمد بن أحمد الحفظي، سلمه الله من جميع الأشرار، وجعله من عباده الصالحين الأبرار، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم من الفجار...، إن أعظم ما نوصيكم به تحقيق هذين الأصلين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وذلك لأنها أصل الإسلام، ولا ينفع علم، ولا يقبل عمل بدون تحقيقها؛ قولاً وعملاً واعتقاداً، وهما أصل التقوى، التي أوصى الله بها الأولين والآخرين، ثم الدعوة إلى الله...) (٢).

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن القاسم، (١/٣٠٣، ٣٠٤).

(٢) المصدر السابق (٢/٧٧).

٦ - طباعة الكتب الإسلامية ونشرها وتوزيعها:

تُعد الكتب والرسائل العلمية من أهم الوسائل في محاربة البدع، وتنقية جناب التوحيد من الشرك؛ لذلك قام الملك عبدالعزيز بتشجيع المؤلفين على التأليف، من خلال نشر نتاجهم العلمي، وطرحه للمستفيدين من طلبة العلم وغيرهم، وقد كانت الكتابة متجهة لتأليف الكتب أو الرسائل المختصرة المفيدة، والرسائل هي أشبه بالبيانات التي تتضمن نصائح عامة للأمة، وقد اجتهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بنشر الكتب عن طريق تسهيل طباعتها، وتنوعت الموضوعات في الكتب المطبوعة، وشملت جميع أغراض العلم، مع التركيز على علم العقيدة، ونشط - رحمه الله - في مجال تصحيح العقيدة، وحرص على إخراج المؤلفات القيمة، التي تهتم بموضوعات التوحيد، وتطهير العقيدة من أدران الشرك، ونظراً لأهمية الكتب والمخطوطات في نشر الدعوة والعلم؛ فقد اتجه الملك إلى طبع نفائس من كتب التراث المخطوطة، ومن كتب العلم المهمة، لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله جميعاً - .

ولما كانت المطابع من أهم الوسائل التي تقوم عليها دعامة نشر العلم وتعميمه، فإن الملك عبدالعزيز حرص على أن تكون هناك مطبعة حكومية^(١)،

(١) والجدير بالذكر أن جهود حكومة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لم تقف عند العناية بمطابع الحكومة فحسب، بل أولت رعايتها لكل جهد أهلي يرتبط بالطباعة والمطابع، فقد سمحت

وقد أنشئ في عهده بمكة ثلاث مطابع^(١)، وفي جدة المطبعة الشرقية^(٢)، ومطبعة الفتح^(٣)، ومطبعة الشركة العربية، وفي المدينة مطبعة واحدة^(٤) اشترت من مصر سنة ١٣٥٥هـ^(٥).

والجدير بالذكر أن جهود الملك عبدالعزيز في مجال الكتب اتخذت ثلاثة مسارات:

- (أ) تمويل طباعة الكتب.
- (ب) دعم ناشري الكتب مادياً قبل الطبع وبعده.
- (ج) شراء كميات من الكتب بقصد التوزيع والتشجيع^(٦).

الحكومة عام ١٣٤٧هـ بإنشاء المطبعة السلفية في مكة المكرمة، وأعفت عموم أدواتها وآلاتها ومكائنها من الرسوم الجمركية، كما وافقت الحكومة عام ١٣٥١هـ على قرار بإعفاء ورق الطباعة العائد للكتب الدينية من الرسوم الجمركية، وأعفى بعض المطابع الأهلية من التأمين النظامي.

انظر: الطباعة في المملكة بين عام (١٣٠٠ - ١٤١٩هـ)، عباس طاشكندي ص ٢٠٥.
(١) وهي: مطبعة أم القرى، والمطبعة السلفية، والمطبعة العربية. انظر: الطباعة في المملكة: ص ١٧٤، ١٨٢، ١٩١.

(٢) المطبعة الشرقية: أنشئت عام ١٣٤٢هـ، وتعود ملكيتها إلى رمزي أفندي. انظر: الطباعة في المملكة ص ١٢٢.

(٣) مطبعة الفتح: تأسست في مدينة جدة عام ١٣٤٩هـ، على يد صاحبها الشيخ عبدالرحيم صدقة عبدالفتاح. انظر: الطباعة في المملكة ص ١٩٩.

(٤) هي مطبعة المدينة المنورة: وقد اشترى عثمان حافظ مطبعة طيبة الفيحاء عام ١٣٥٥هـ، لتكون نواة مطبعة المدينة التي أسسها عثمان وعلي حافظ، ودعمت المطبعة بأدوات للطباعة وحروف طباعية جلبت من القاهرة. انظر: الطباعة في المملكة: ص ١٥٣.

(٥) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، (ص / ٣٣٥).

(٦) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (ص / ٥٠٥).

ومن أهم الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز في مجال التوحيد والعقيدة:

- كتاب "التوحيد" وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة.
 - مجموعة التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين.
 - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، للشيخ ابن أبي العز الحنفي.
 - مختصر الصواعق المرسله، لابن قيم الجوزية.
 - مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة لعلماء نجد الأعلام، ويتضمن خمس رسائل لعلماء نجد.
 - كتاب "أصول الإيمان" و"فضل الإسلام" و"كتاب الكبائر" و"نصيحة للمسلمين" وجميعها للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- (والعمل الكبير الضخم النافع الذي قام به الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، والذي يستحق عليه الشناء العاطر، والدعاء الخالص، هو قيامه على: فتاوى علماء نجد ورسائلهم ونصائحهم المبعثرة المفرقة، ثم تحقيقها، وترتيبها حسب التأليف المعروفة، حتى صارت عدة أجزاء، في التوحيد، والرود، والنصائح، والفتاوى، ثم أمر جلالة الملك عبدالعزيز -بلل الله ثراه- بنشرها، فانتشرت بين العلماء وطلاب العلم، فصار لها أكبر الفائدة، وأعظم النفع)^(١).

(١) علماء نجد خلال ستة قرون (٢/٤١٥).

ومع توسع البلاد، وازدياد حاجة العباد إلى العلم، والتفقه في أمور الدين، كان الملك عبدالعزيز يواصل العمل في هذا الجانب؛ وهو طباعة الكتب وتوزيعها على نفقته الخاصة.

وقد ورد في جريدة أم القرى، الصادرة في شعبان، من عام ١٣٤٧هـ، بيان بجهود جلالة الملك عبدالعزيز في طبع الكتب ونشرها، على نفقته الخاصة، مع الإشارة إلى بعض الكتب التي طبعت في تلك الفترة على نفقة الملك عبدالعزيز، والتي وصلت إلى ما يزيد على مائة ألف نسخة^(١).

هذه باختصار بعض جهود الملك عبدالعزيز في محاربة البدع، ونبذ الخرافات، وبفضل الله ومنتها يمكن القول بأن تلك الجهود لم تذهب هدراً، فقد آتت تلك الأعمال ثمرتها اليانعة، وقد كان من ثمرتها تلك الأعمال للملك عبدالعزيز، والتي تعتبر عظيمة في ضوء الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، السائدة في عموم مناطق المملكة العربية السعودية، وبين الحاضرة والبادية؛ أن بدل الله حال الناس فيها من الجهل في الدين، وأمور العقيدة إلى الفهم والإصلاح، بل ونرى بفضل الله ثم بفضل تلك الحركات الإصلاحية المبكرة من الملك عبدالعزيز، وثمرات جهودها في بعث الدعوة والعلماء إلى تلك المناطق؛ أن أصبح عدد من أهل تلك البلاد من علماء المملكة العربية السعودية.

(١) انظر: الملك عبدالعزيز والعمل الخيري (ص/ ٢٠٧) وللاستزادة في هذا الموضوع يراجع كتاب

الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي: "عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب"، ود. فهد الساري: "مكتبة

الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة".

نتائج البحث

- ١- تجلت بوضوح صور حرص الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على محاربة البدع، ومقاومة الخرافات التي تنافي العقيدة، والقضاء على كل صور الابتداع في الدين.
- ٢- تنوعت جهود الملك عبدالعزيز ما بين جهود قولية، وعملية، وجهود علمية؛ في سبيل نبذ البدع، والأوهام، والمحافظة على صفاء العقيدة الإسلامية.
- ٣- تعددت أساليب الملك عبدالعزيز في التعامل مع الأخطاء العقدية، حسب ظروف المواقف والأحداث وأحوالها.
- ٤- كان للملك عبدالعزيز يد بيضاء في تحرير العقول من الأوهام والضلالات، في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وإن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلاً مستعبداً.
- ٥- لقد ظهرت البدع المختلفة في البلاد الإسلامية، ودخلت كل مجالات الحياة الدينية، وكان لها أكبر الأثر فيما آل إليه حال المجتمعات الإسلامية، من تخلف، وانحطاط فكري وديني، أما المجتمع السعودي؛ فإننا لو نظرنا إليه نظرة فاحصة، لوجدناه - والله الحمد - نقياً من هذا كله - بوجه عام -، فليست هناك طرق صوفية تسمح بها الدولة، أو تشجعها، وليست هناك موالد ظاهرة، يحتفل بها الناس. كما أن البلاد - والله الحمد - خالية من القبور التي تعبد من دون الله، ويقصدها الجهال؛ للتبرك والزيارة، وليست هناك

احتفالات لا بليلة القدر، ولا ليلة النصف من شعبان، ولا بليلة الإسرائء والمعراج، ولا يوم عاشوراء، ولا غير ذلك؛ لأنها كلها بدع في الدين، وضلالات محدثة، وكذلك اختفت بحمد الله تعالى البدع التي كانت موجودة؛ كسبِّ بعض الصحابة - رضي الله عنهم - على المنابر، وفي المجامع العامة، فهذا كله بفضل الله تعالى، من الآثار المحمودة، التي نجمت عن تطبيق العقيدة الصحيحة، والشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية، والتي بدأها الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله تعالى - وحرص عليها، ودعا إليها، وشدد النكير على من خالفها.

وفي الختام، فإنني أدعو المسلمين إلى مقاومة البدع في الدين، ومكافحتها، مهما كان اسمها ونوعها، وحجمها وتأثيرها، لما تسببه من الضعف، والتفكك، والانحلال، والخراب، وأنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بكتاب ربها، وسنة نبيها، صلى الله عليه وسلم، والرجوع إلى النبع الصافي، الذي فيه خير الدنيا والآخرة، فبهذا تستعيد الأمة مجدها، وتنال رضى ربها، وتقمع أعداءها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

المراجع

- ١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح الفوزان، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، ١٤١٢هـ.
- ٢- إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد القاسمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٣- أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م.
- ٤- الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: أحمد عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الفخر الرازي، شركة الطباعة الفنية المتحدة بالعباسية، مصر ١٣٩٨هـ.
- ٦- أعلام الحجاز، محمد المغربي، مطبعة المدني، ١٤١٠هـ.
- ٧- الأعلام، الزركلي.
- ٨- إنسانية ملك، د. عبدالعزيز الثنيان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ٩- الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام، أ. د. ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، ١٤١٥هـ.
- ١٠- البدع الحولية، عبدالله التويجري، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١هـ.

- ١١- البدع والمحدثات وما لا أصل له، حمود المطر، دار ابن خزيمة.
- ١٢- البدع والنهي عنها، ابن وضاح القرطبي، تحقيق: محمد دهمان، دار البصائر، ١٤٠٠هـ.
- ١٣- البلاد العربية السعودية، فؤاد حمزة، مطبعة دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ.
- ١٤- تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل وعهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، أمين سعيد، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، رقم المطبوع (٩).
- ١٥- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، أحمد ياسين الخياري، مطابع الثغر، جدة، ط السادسة، ١٤٢٤هـ.
- ١٦- تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، دار مكة للطباعة، ط الرابعة، ١٣٩٩هـ.
- ١٧- التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، محمد السلطان، طبع دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ١٨- توحيد المملكة العربية السعودية، محمد المناع، مطبعة المطوع، الدمام، ط ١، سنة ١٤٠٢هـ.
- ١٩- جدة خلال الفترة (١٢٨٦ - ١٣٢٦هـ)، صابرة مؤمن إسماعيل، إصدارات دار الملك عبدالعزيز، ١٣١٨هـ.

- ٢٠- الجغرافيا الأدبية، محمد البليهد، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٧هـ.
- ٢١- حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، رابح لطفي جمعة، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ٢٢- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، أ. د. ناصر العقل، دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ٢٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن القاسم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٣٨٥هـ.
- ٢٤- الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، محمد الشثري، دار الحبيب، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ٢٥- رجال حول الملك عبدالعزيز، عبدالله أبو راس، ١٤١٦هـ.
- ٢٦- السلاح والعدة في تاريخ جدة، عبدالقادر الحجازي، دار ابن كثير، دمشق.
- ٢٧- سنن الترمذي.
- ٢٨- سنن الدارمي.
- ٢٩- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، الشقيري، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٣٠- شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، الزركلي، ط الأولى، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٨هـ.

٣١- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد العثيمين، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٣٢- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، زين الدين مرعي الكرمي، تحقيق: جمال صلاح، طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط١، سنة ١٤١٨هـ.

٣٣- صحيح البخاري.

٣٤- صحيح مسلم، الإمام النووي، دار إحياء الكتب العربية.

٣٥- الطباعة في المملكة بين عام (١٣٠٠ - ١٤١٩هـ)، عباس طاشكندي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

٣٦- عبدالعزيز عبدالرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر، كمال كيلاني، دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٣٧- عبدالعزيز في التاريخ، حمد الحقييل، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ، الرياض.

٣٨- علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، صالح العمري، ط٢، عام ١٤٢٨هـ.

٣٩- علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله البسام، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ.

٤٠- علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله البسام، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ.

- ٤١ - عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية، محمد الخميس، طبع داره الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٤٢ - عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ط الرابعة، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ٤٣ - الفرق الصوفية في الإسلام، سبنسر - ترمنجهام، ترجمة: عبدالقادر البحر اوي، ط الأولى، دار النهضة، بيروت.
- ٤٤ - قضايا عقدية معاصرة، أ. د. ناصر العقل، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ٤٥ - الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمد القاسم، المكتبة الإسلامية، ط الثانية، ١٤١٣هـ، الأردن.
- ٤٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٧م.
- ٤٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن القاسم، مطابع الرياض، ١٣٨٢هـ.
- ٤٨ - مختصر ترجمة حال محمد سلطان المعصومي، بعناية د. محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى.
- ٤٩ - المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مطبوع بهامش (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين).
- ٥٠ - معجم البلدان، ياقوت الحموي.
- ٥١ - المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد غامد وزهران).

- ٥٢- معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، شرف يحيى الأمين، دار الأضواء، بيروت، ط الأولى، سنة ١٩٨٦هـ.
- ٥٣- المعجم الوسيط.
- ٥٤- الملك الراشد، عبد المنعم الغلامي، دار اللواء، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- ٥٥- الملك عبدالعزيز الشخصية والقيادة، إبراهيم السماري، طبع داره الملك عبدالعزيز، الرياض.
- ٥٦- الملك عبدالعزيز والعمل الخيري، عمر العمري، داره الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- ٥٧- الملك عبدالعزيز والمملكة: المنهج القويم في الفكر والعمل، د. عبدالله التركي، الرياض.
- ٥٨- الملك عبدالعزيز وفتح الرياض، دراسة وتحليل، عبدالواحد محمد راغب، من مطبوعات داره الملك عبدالعزيز، رقم المطبوع (٣٧).
- ٥٩- الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، سعود الدريب.
- ٦٠- من حياة الملك عبدالعزيز، الأحيدب، ط الأولى، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- ٦١- من شيم الملك عبدالعزيز، فهد المارك، ط الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ٦٢- موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً، أحمد بن سعيد بن سليم، نادي المدينة المنورة، ١٩٩٢م.

٦٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثالثة، ١٤١٨هـ.

٦٤- موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة، عبدالرحمن عبدالخالق، مركز البحث العلمي، جمعية إحياء التراث الإسلامي.

٦٥- نظرات وتأملات من واقع الحياة، د. محمد الخميس، مكتبة الصحابة، الإمارات، ١٤١٩هـ.

٦٦- النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية، عمر المدخلي.

٦٧- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٢هـ.

الصحف والدوريات:

- جريدة أم القرى.
- مجلة المنار.
- ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية، حمايتها والمحافظة عليها.
- من وثائق الملك عبدالعزيز، إصدار المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالحرس الوطني، ١٤١٠هـ.
- موقع ملتقى أهل الحديث.

فهرس المحتويات

٣٦٧	ملخص البحث
٣٧٤	التمهيد
٣٧٤	نبذة في سيرة الملك عبدالعزيز - رحمه الله -
٣٧٩	المبحث الأول خطورة انتشار البدع وأثرها على المجتمع
٣٧٩	المطلب الأول: تعريف البدعة
٣٨٠	المطلب الثاني: أنواع البدع
٣٨١	المطلب الثالث: أثر البدعة في الانحراف العقدي والانحطاط الاجتماعي
٣٨٥	المطلب الرابع: فضيلة نشر السنة ومحاربة البدعة
٣٨٦	المبحث الثاني جهود الملك عبدالعزيز في محاربة البدع
٣٨٨	المطلب الأول: الجهود القولية
٤١٦	المطلب الثالث: الجهود العلمية
٤٣١	نتائج البحث
٤٣٣	المراجع
٤٤٠	فهرس المحتويات